التُّرَاثُ الشَّاذُلِيُّ (١)

النَّتَائِجُ الفِكْرِيَّةُ

فِي شَرْحِ بَعْضِ أَدْعِيَةِ سَيِّدِ الطَّائِفَةِ الشَّاذِلِيَّة

مَعَ حَاشِيَةِ الأَنْوَارِ الإِلهَامِيَّةِ

فِي بَيَانِ مَعَانِي السَّادَةِ الشَّاذِلِيَّةِ

تَأْلِيفُ وَجَمْعُ كَاتِبِهِ الفَقِيرِ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ القَدِيرِ

مُصْطَفَى بْنِ مُحَمَّدٍ العَرُوسِيِّ الصَّغِيرِ

(ت ١٢٩٣ هـ)

شَيْخِ الجَامِعِ الأَزْهَرِ الشَّافِعِيِّ مَذْهَبًا

الشَّاذِلِيِّ عَهْدًا، الأَحْمَدِيِّ طَرِيقَةً

دراسة وتحقيق

محمد عوض المنقوش — عبد العزيز معروف

تحت إشراف

أ.د. علي جمعة

إمام الطريقة الصديقية الشاذلية العلية

النَّتَائِجُ الفِكْرِيَّةُ

فِي شَرْحِ بَعْضِ أَدْعِيَةِ سَيِّدِ الطَّائِفَةِ الشَّاذِلِيَّةِ
مَعَ حَاشِيَةِ الأَنْوَارِ الإِلْهَامِيَّةِ
فِي بَيَانِ مَعَانِي السَّادَةِ الشَّاذِلِيَّةِ

اعتَنَى بِتَنسِيقِهِ وَإِخرَاجِهِ

عبد الرحمن عبد المنعم مُصطفى

اعتَنَى بِضَبطِهِ وَشَكلِهِ

عمار محمّد صبري نجا

مقدّمة

الأستاذ الدكتور علي جمعة
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد، فإن خزينة الأزهر العامرة بالعلم والفكر والأدب والفقه ومختلف العلوم كالبحر الزاخر بالدرر واللآلي طالما تجود على كل غواص ماهر نذر نفسه للبحث؛ ليخرج للناس العلم النافع كي يجدد معارفهم، ويطلعهم على تراث أجدادهم الذين ملئوا الدنيا علما، وكانت حضارتهم ملء السمع والبصر.

وبين أيدينا درة فاخرة لشيخ جليل من مشايخ الأزهر وكبار علمائه، وهو الشيخ مصطفى العروسي الشافعي الشاذلي، شيخ الأزهر التاسع عشر، وقد جاء تاليا بعد الإمام شيخ الإسلام الباجوري، وتوفي عام ١٢٩٣ هـ.

وقد تناول الشيخ العروسي بالشرح والتحليل والاستفاضة بعض الأدعية والأذكار والأحزاب لسيدي أبي العباس المرسي سيد الطائفة الشاذلية كما أطلق عليه، وقد عبر من خلالها عن معاني التصوف السني الذي جمع الذاكرين وغذى أرواح العابدين، وعرفهم على طريقهم إلى رب العالمين.

ومن عزوبة تلك المعاني الرقيقة التي استغرق فيها الشيخ وملكت عليه مجامعه رأى أن يتبع شرحه الذي سماه «النتائج الفكرية في شرح بعض أدعية سيد الطائفة الشاذلية»؛ بحاشية استطرد فيها وفصل الأمور المجملة في الشرح فخرجت أصلا رصينا جامعا في التعريف بالطريقة الشاذلية في التصوف أركانها وفرعها، مع مزيد من النقول والآثار الواردة على لسان أئمتها رضي الله عنهم أجمعين.

وقد أحسن المحققون حيث جمعوا بين متن النتائج الفكرية ومع الحاشية المسماة بالأنوار الإلهامية، وقد خدموا النص خدمة كبيرة بالشكل والإخراج والتوثيق والتدقيق، وقد أشرت عليهم أن يكون هذا العمل مقدمة لجملة من التحقيقات التي تبرز التراث الشاذلي وتكشف عن كنوزه المغمورة.

فأسأل الله أن ينفع بهذا العمل ويتمه على خير وجه، ويدخر لنا منه الثواب في الآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله ولي التوفيق

الأستاذ الدكتور علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أفاضَ على قلوب أوليائه مِن نفَحات فيضِ فضْله الأنفَس، وأمدَّهم بنفوس قدسية فأمدَّها بالنور الأقدَس، وأطلعَهم على حقائق الأشياء مِن غير افتقار إلى النظر في المبادئ، وحفِظَهم في ذلك مِنَ الحجاب المُلبِس، والصلاة والسلام على السيد الفاتح لِمَا أُغلِق، جمعِ الجوامع، وصخرةِ الكونين، وسيدِ الثقلين، وسِرِّ الأسرار، مَن كان مِن نوره سائِرُ الأنوار، فهو الاسمُ الأعظم الناطق بلسان: أنا سيد ولد آدم، صلاة دائمة كاملة بدوام الله وكماله.

أما بعد، فإن الله تعالى ألهمَ أولياءه ما يناجونه به، وهذه الأدعية والمناجاة لها معانٍ وأسرار تُوصل إلى الحضرة العليَّة، وتحتاج إلى الوقوف عليها ومعرفتها والإحاطة بها، ولما وقف مؤلفنا شيخ الإسلام العروسي على مناجاة لسيدي أبي العباس المرسي، أراد أن يوضحها، ولما وضحها وجد أن فيها ما هو مستغلق بعضَ الشيء، فأراد أن يفك هذا الاستغلاق، فوضع حاشية عليه، ويتجلى في كل من الشرح والحاشية : العقلية العلمية الفارقة التي تجمع بين المعرفة والعرفان، ويظهر النفَس الصوفي العالي الذي لم يفارق علماء الأزهر طيلة حياتهم، وأعني بهم من تحقق بوصف الأزهري، ويظهر في كلام المؤلف بقُوّةٍ المشربُ الشاذلي الفائق لكل ذائق، فهو شاذلي متحقق، وأيضا يظهر النفس الأكبري، وسيظهر هذا للقارئ، في كلام الشيخ حول القدمين، وكلامِه حول النفس، وغيره مما سيظهر في ثنايا الشرح والحاشية.

واختيارنا لهذا الكتاب يرجع إلى:

١- المناجاة المشروحة هي لسيدي أبي العباس المرسي، وهو من هو في الطريقة الشاذلية، فهو سيد السادة الشاذلية، بعد سيدي أبي الحسن الشاذلي.

٢- شخصية مؤلفه ومكانتها العلمية، فهو شيخ الأزهر والإسلام في عصره، وأن شرحه هذا سيكون إضافة في التراث الشاذلي.

٣- قوة الشرح ومتناته وتعدد الفوائد والفرائد التي يدرك كل من له دراية بهذه العلوم قوتها.

٤- النفَس الصوفي الرفيع الذي أفاض الله به على مؤلفه رضي الله عنه، وغير ذلك مما سيتضح لمطالع كلٍّ من الشرح والحاشية.

وقد قمنا بما يلي:

١- جمع ما تيسر لنا من نسخ لكل من الشرح والحاشية، ونسخناها وطابقناها.

٢- توثيق غالب النصوص التي أحال عليها المؤلف.

٣- تشكيل الشرح تشكيلا كاملا، أما في الحاشية، فقمنا بتشكيل المُشكل.

٤- قدمنا بدراسة موجزة، ضمناها ترجمة شيخ الإسلام العروسي، وسيدي المرسي، وسبب تأليفه للشرح والحاشية، وذكرنا فيها مصادره، وقسمنا الدراسة إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ترجمة شيخ الإسلام العروسي.

المطلب الثاني: ترجمة موجزة لسيدي أبي العباس المرسي.

المطلب الثالث: مدخل موجز حول الكتاب.

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف

اسمه:

مصطفى بن محمد بن أحمد بن موسى بن داود العروسي، الشافعي الأحمدي الشاذلي، شيخ الجامع الأزهر، كان يلقب نفسه بـ «الصغير» تفرقة بينه وبين أبيه وجده[(١)].

مولده، ونشأته[(٢)]:

ولد ليلة السبت لسبع بقين من رجب سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، في بيت علم وأدب ومناخ أزهري، وعائلته كانت في وقتها مشهورة من أهل الحل والعقد في هذا القطر، فجده [أبو الصلاح أحمد بن موسى العروسي ت:١٢٠٨هـ] كان شيخا للأزهر، وأيضا والده ت:١٢٤٤هـ.

وذكر الدهلوي أن المترجَم له تولى في عهد محمد علي باشوية الرديف.

---

(١) - المعجم الأصغر لتراجم ومؤلفات علماء الأزهر، أبو الوفا المراغي، مخطوط: مكتبة الأزهر ٧٧١٣٠، ل ٣٦٠/٣ ، كنز الجوهر ص١٤٦، فهرست الخديوية ١٤٦/٢، فيض الملك الوهاب ١٨٠٨/٣، الخطط التوفيقية ٧١/١٦، الأزهر في ألف عام ٣٦٣/٢، وقد استفدت كثيرا من قسم الترجمة الذي قام به الأفاضل بمكتب تحقيق التراث بالمشيخة في تحقيقهم لرسالة: الهداية بنور الولاية» للمترجَم له، مقدمة التحقيق قسم الترجمة- ص ١٥.

(٢) - فهرست الخديوية ١٤٦/٢، فيض الملك الوهاب ١٨٠٨/٣، الخطط التوفيقية ٧١/١٦، الأزهر في ألف عام ٣٦٣/٢، كنز الجوهر ص١٤٦، الهداية بنور الولاية، ترجمة المؤلف، مقدمة التحقيق قسم الترجمة- ص ١٥.

كان عالما فاضلا، أخذ العلم عن أكابر عصره، حتى برع ودرس وأفاد، وألف وأجاد، ودرس بالأزهر، ونشر العلوم حين تولى مشيخة الجامع الأزهر بعد شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري، فحضر دروسه الأكابر، وكان بهذا الشيخ التاسع عشر للأزهر الشريف.

صفاته الخِلقية والخُلُقية:

كان رحمه الله نحيف الجسم، أسمر اللون، متوسط القامة، وفيه عفة وقناعة، فصيح اللسان، شجاعا قَوَّالًا للحق، صاحب عقل سديد، ونفس صوفي رشيد(١).

شيوخه:

الشيخ من عائلة علمية عريقة، وكان عصره مليئا بأكابر العلماء، وهو العصر الذهبي للأزهر، فتتلمذ على يد هؤلاء الأكابر، ويظهر هذا في تفننه في مصنفاته، ولكن ما بين أيدينا من المصادر لا ينص على من أخذ عنهم ولازمهم إلا البعض القليل، ولم أذكر هنا إلا من ثبتت له رواية عنهم، فمنهم:

١- والده: محمد بن أحمد بن موسى العروسي أبو شيخ الأزهر الشريف، [ت١٢٤٤هـ]، وهو يروي عن والده العروسي الكبير الذي يروي عن الملوي والشبراوي، ويروي أيضا عن الأمير والشرقاوي وغيرهم.(٢)

---

(١) - فيض الملك الوهاب ١٨٠٨/٣، الأزهر في ألف عام ٣٦٣/٢

(٢) - فهرس الفهارس ٨٦٨/٢، أسانيد المصريين ٧٦٨، وانظر: قسم الترجمة من تحقيق الهداية بنور الولاية ص ١٨.

٢- شيخ الأزهر حسن بن درويش القويسني، المشهور بالبرهان القويسني ت: ١٢٥٤.[١]

تلاميذه[٢]:

١- شيخ رواق الفشنية: الشيخ أحمد ابن الشيخ عبد الجواد ابن الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ حسين ابن الشيخ عطية ابن الشيخ عبد الجواد القاياتي يتصل نسبه بسيدنا أبي هريرة رضي الله عنه[ت:١٣٠٨هـ]، أجازه الشيخ العروسي.[٣]

٢- محمد بن محمد بن حسن الإنبابي شيخ الأزهر شمس الدين، ت١٣١٣هـ: ، تقلد أمانة الفتوى للشيخ العروسي، وأفرد له العلامة السيد أحمد رافع الطهطاوي كتابا سماه «القول الإيجابي في ترجمة العلامة شمس الدين الإنبابي».[٤]

٣- العلامة الشيخ عبد الغني بن محمد العناني المالكي الأحمدي

---

(١) - جمهرة أعلام الأزهر ١٢١٧/٢، وأسانيد المصريين ٧٦٨، لمعرفة مرويات الشيخ القويسني انظر: فهرس الفهارس ٩٦/١، ٤٠٥،١٧٢، ٣٠٧/٢، ١٠٦٦/٢.

(٢) - لم تذكر مصادر الترجمة الكثير من تلاميذه مع توافر الشيخ على التدريس فترة طويلة، وقد قام السادة الباحثون في مكتب إحياء التراث بمشيخة الأزهر، في تحقيقهم على رسالة الهداية بنور الولاية بجمع أربع تلاميذ بعد طول استقراء وعناء، وقد اعتمدت ما ذكروه بعد الرجوع والتأكد بارك الله في جهودهم.

(٣) - حلية البشر ص٢٠٥، الأعلام ١٤٣/١، جمهرة علماء الأزهر ١١٦/٢.

(٤) - الأعلام ٧٥/٧، جمهرة أعلام الأزهر ١٨٦/٢.

الأزهري المنشاوي، ت: ١٣١٥، نسبة إلى المنشية، منشية النيدة، بلد من أعمال أخميم الصعيد، جاور في الأزهر الشريف، سمع عليه أوائل عبد الله بن سالم البصري في مسجد الشيخ العريان، وحرر له العروسي إجازة جليلة القدر.[1]

٤- مصطفى بن أحمد عز الشافعي، ت: بعد ١٣١٧هـ.

توليته مشيخة الأزهر[2]:

لما كبر الشيخ إبراهيم الباجوري [ت: ١٢٧٧هـ] وضعفت قواه عن أداء مهمته شيخا للأزهر الشريف مع وجود بعض المشكلات والحوادث في الجامع الأزهر اتفق وكلاء سعيد بن محمد علي حاكم مصر وقتها الذي كان في سفر، وكان يدير البلاد وكلاء أربعة عنه، اتفقوا على إصدار قرار بتوكيل أربعة من العلماء لإدارة الجامع الأزهر يمثلون المذاهب التي فيه، وكلف الشيخ العروسي بعقد جمعية من علماء الأزهر لانتخابهم ويكون هو رئيسهم، وتم الاختيار وهم:

١- أحمد كابوه العدوي المالكي ت: ١٢٨٤هـ.[3]

٢- إسماعيل الحلبي الحنفي.

---

(١) - جمهرة أعلام الأزهر ٢١٦/٢.

(٢) - الخطط التوفيقية ٤٠/٤، ٧١/١٦، كنز الجوهر ص١٤٦.

(٣) - الخطط التوفيقية ٩٦/٩.

٣- خليفة السفطي الفشني الشافعي، شيخ رواق الفشنية ومشيخة المقارئ ت: ١٢٩٣هـ.[١]

٤- الشيخ مصطفى الصاوي الشافعي شيخ رواق ابن معمر.

تولى هؤلاء الأربعة إدارة الجامع الأزهر حتى بعد وفاة الشيخ الباجوري حتى صدر قرار من الخديوي إسماعيل بتوليته مشيخة الأزهر سنة ١٢٨١هـ، وباشر التدريس» وكانت له محاضرات جلية وأجوبة مرضية»[٢] ، وظهر منه الحزم والجدية في إدارة شؤون الجامع، وعزم على عمل امتحان لمن يدرس بالأزهر بلا استحقاق، ولكن الوشاة والحسدة لم يتركوه لحاله، وقد ذكر في نهاية حاشيته الإلهامية أنه كان بينه وبين الشيخ حسن العدوي الحمزوي [ت: ١٣٠٣هـ] شيء من هذا، فحملوا الشكوى لإسماعيل ضده الذي انتهزها فرصة فعزله سنة ١٢٨٧هـ، وعين الشيخ محمد المهدي العباسي بعده.

مؤلفاته:

ذكر له الشيخ محمد مصطفى أبو الوفا المراغي في كتابه المعجم الأصغر أن من مؤلفاته[٣]:

١- الهــدايــة بنور الولاية تفسير قوله تعالى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن

(١) - فيض الملك الوهاب المتعالي ٥١٧/١.

(٢) - هذه عبارة الدهلوي في فيض الملك الوهاب ١٨٠٨/٢.

(٣) - المعجم الأصغر لتراجم ومؤلفات علماء الأزهر، مخطوط: ٧٧١٣٠/ ٣/ ٣٦٠.

رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢].(١)

٢- الأنوار الإلهية في بيان أحقية مذهب الشافعية.(٢)

٣- نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني الرسالة القشيرية، وهي حاشية على شرح الشيخ زكريا الأنصاري [ت: ٩٢٦هـ] على الرسالة القشيرية المسمى بإحكام الدلالة على متن الرسالة.(٣)

٤- رسالة في البسملة.

٥- رسالة في مسائل منوعة.(4)

٦- مسائل المفاكهات في الفنون المتفرقات.(٥)

٧- النتائج الفكرية في شرح بعض أدعية سيد الطائفة الشاذلية، و هو كتابنا موضع التحقيق، وسيأتي الكلام عليه في الدراسة إن

---

(١) - طبع في حلة قشيبة بتحقيق مكتب إحياء التراث بمشيخة الأزهر، مع عدد مجلة الأزهر – جمادى الأولى ١٤٤١هـ، يناير ٢٠٢٠، وقد استوفى الباحثون وفقهم المولى ترجمة الشيخ.

(٢) - طبع بدار الإحسان، تحقيق وتعليق عمرو يوسف الجندي سنة ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

(٣) - طبع بالمكتبة العامرية ببولاق في أربع مجلدات سنة ١٢٩٠هـ، ١٨٧٣م، باعتناء وتصحيح: إبراهيم عبد الغفار الدسوقي. وانظر: فهرست الخديوية ٢/١٤٦.

(٤) - لعلها هي: «نصيحة لنفسي ولإخواني الذين هم من أبناء جنسي» فقد اطلعت عليها، وفيها مسائل في فنون متفرقة بالفعل وتحريرات لبعض المسائل من لغة وفقه، وهي محفوظة في الأزهرية ٣٢٩٢/ معارف عامة /٤٢٧٩٨ عروسي.

(٥) - لعلها مسائل المفاكهة في الفنون المتفرقة ومنها بالأزهرية أربع نسخ [انظر: فهرس الأزهرية ١٩/ ٣٦٥].

شاء الله تعالى.

٨- الأنوار الإلهامية في بيان معاني الإشارات الشاذلية، وهو حاشية على الكتاب السابق ذكره.

٩- القول الفصل في مذهب ذوي الفضل، وله عليها حاشية سماها «كشف الغمة عن مذهب أهل السنة»[1] ولم يذكر الشيخ المراغي «الآيات البينات في تأويل المتشابهات»[2] وهو مختصر للكتاب السابق.

وفاته: انتقل الشيخ إلى رحمة الله في جمادى الأولى سنة ١٢٩٣هـ[3]

(١) - ذكر الكتاب والحاشية في رسالته «الآيات البينات» ٢٢/ب/أزهرية، وذكر أن رسالته «الآيات البينات» مختصرة من الرسالة الأولى.

(٢) - منه نسخة في الأزهرية برقم ١٨٣٣/علوم قرآن، انظر: فهرس الأزهرية ٢٤٤/١(٨٥١).

(٣) - الخطط التوفيقية ٧٢/١٦، وانظر: ما ذكره محققو رسالة الهداية بنور الولاية ص٢٩، في وفاته رضي الله عنه.

المطلب الثاني

التعريف بالشيخ العارف الكبير أبي العباس المرسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١)

أولًا: اسمه ونسبه:

هو: أحمد بن عمر بن محمد الأنصاري المرسي، أبو العباس، شهاب الدين، المالكي مذهبا، الأشعري معتقدا، قطب زمانه ورأس أصحاب الشيخ أبي الحسن الشاذلي.

ثانيًا: مولده ونشأته:

ولد بمرسية، في غضون سنة ٦١٦هـ، وخرج منها وهو شاب إلى تونس، وهناك لقي شيخه الإمام العالم العارف الكبير سيدي أبا الحسن الشاذلي حوالي سنة ٦٤٠هـ، وانتقل إلى مصر، ونزل ثغر الإسكندرية.

كان علّامة زمانه فى العلوم الإسلاميّة، وله القدم الراسخة في علم التحقيق، وله الكرامات الباهرة، وكان يقول: شاركنا الفقهاء فيما هم فيه، ولم

---

(١) اعتمدت في هذه الترجمة على ما يلي: لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري، ص٦٤، ٧٦، وتاريخ الإسلام ٥٨٤/١٥، وذيل مرآة الزمان ٣١٨/٤، ونفح الطيب ١٩١/٢، ١ النجوم الزاهرة ٣٧١/٧، طبقات الشاذلية الكبرى=جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية ص٦٩، تعطير الأنفاس بمناقب سيدي أبي الحسن الشاذلي وسيدي المرسي أبي العباس، للرميلي: علي بن محسن الصعيدي،[مخطوط/جامعة محمد بن سعود، رقم ٩٢٢، لوحة ٧٣/ب]، طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٤١٨، شجرة النور الزكية ٢٦٩/١.

يشاركونا فيما نحن فيه.

أذن له شيخه الشاذلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في إلقاء الخطب والدروس وإرشاد المريدين سنة ٦٤٦هـ في جامع العطارين بالإسكندرية.

ثالثا: مؤلفاته:

لم يكتب الشيخ العارف أبو العباس المرسي أية مؤلفات، وكانت له في هذا كلمة مشهورة لمّا سئل عن عدم تأليفه الكتب؛ فقال: «كتبي أصحابي».

رابعا: تلاميذه ومريديه:

سأذكر هنا بعضا منهم، والحق أن هذا الأمر يحتاج إلى حصر دقيق:

١- العارف الكبير لسان القوم: أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عَطَاء الله الإسكندري، ت: ٧٠٩هـ.[1]

٢- الشيخ أبو بكر الشيرازي، صحب الشيخ المرسي، وكان قرين الشيخ شمس الدين الأصفهاني، ت: ٧٣١هـ.[2]

(١) طبقات الشافعية الكبرى، ٢٣/٩، حسن المحاضرة ٥٢٤/١، الدرر الكامنة ٣٢٤/١.

(٢) المغانم المطابة في معالم طابة ١٤٦/٣.

٣- الشيخ ياقوت بن عبد الله الحبشي، المشهور بـ: «ياقوت العرشي»، توفي ليلة الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة ٧٣٢هـ.[1]

٤- محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري شرف الدين أبو عبد الله البوصيري، صاحب البردة، والهمزية، ت:٦٩٦هـ.[2]

وفاته: توفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في ٢٥ من ذي القعدة سنة ٦٨٦ هـ، ودفن في الإسكندرية في مقبرة باب البحر، ومقامه مشهور يُزار.

---

(١) الدرر الكامنة لابن حجر ١٧٦/٦ حسن المحاضرة ٥٢٥/١.

(٢) الأعلام، للزركلي ١٣٩/٦.

المطلب الثالث

المدخل إلى الكتاب

أولًا: اسم الكتاب والحاشية، والباعث على تأليفهما

عنوان الكتاب خير معبر عما يخفى على المطالع أو القارئ من مضامينه، وما يتبع ذلك من المنهج وسماته وغيره من الدقائق والحقائق العلمية المتعلقة بالمؤلِّف والمؤلَّف، فقد طالع المؤلف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أدعية للسادة الكمل العارفين، وكان مما طالعه حزبٌ لسيدي أبي العباس المرسي قدس سره، فوجد أن فيه جملة تحتاج إلى مزيد إيضاح، وهي قوله: إلهي ....] فقال رحمه الله: «أَحْبَبْتُ أَنْ أَشْرَحَهَا بِفَتْحِ الفَتَّاحِ، مُسْتَمِدًّا مِنَ النُّورِ الوَضَّاحِ، وَمُعْتَمِدًا عَلَى بَرَكَاتِ سَادَاتِي ذَوِي الفَلَاحِ وَالصَّلَاحِ، وَمُعَوِّلًا عَلَى مَكَارِمِهِمُ الَّتِي لَا تَخْفَى إِلَّا عَلَى أَعْمَى البَصِيرَةِ مِمَّنْ لَا عُدَّةَ لَهُ وَلَا سِلَاحَ»، ثم سمى الكتاب: «النَتَائِجَ الفِكْرِيَّةَ فِي شَرْحِ بَعْضِ أَدْعِيَةِ سَيِّدِ الطَّائِفَةِ الشَّاذِلِيَّةِ»، ويعني بسيد الطائفة الشاذلية: سيدي أبا العباس المرسي.

ثم لما وجد أن الشرح يحتاج إلى مزيد إيضاح، حل ما صعب من تراكيب، وأبان عما استغلق، وجلى كثيرا من الحقائق وكنوز الأسرار التي احتواها شرحه، وتضمنتها المناجاة، ولذا سماها بـ «**الأنوار الإلهامية في بيان معاني الإشارات الشاذلية**».

أما بالنسبة للنتائج الفكرية، «فالنتائجُ جمعُ نتيجة، وهي مما تولّد مِن الأفكار المُقدّسة عن ظُلمات الأوهامِ بواسطة إشْراق الأنوار القَلْبية»، وأما

«الأنوار»، فالأنوار جمع نور وهو خلاف الظلمة، فلما انجلت القلوب في النتائج، وهذه النتائج «مما تولّد مِن الأفكار المُقدّسة عن ظُلمات الأوهامِ بواسطة إشْراق الأنوار القَلْبية» بفتح الفتاح، خرجت الأغيار من القلوب وكانت محلا لتنزل الأنوار، وهذه الأنوار أتت من عين الحضرة، ولذا كانت إلهامية.

وقد ذكر المصنف اسم الشرح والحاشية، في بداية كل واحد منهما.

ثانيا: تاريخ التأليف

١- «النتائج الفكرية»: يوم الأحد ٢٢ شوال سنة ١٢٧٨هـ.ولكن جاء في هوامش نسخة النتائج مسودة الحاشية التي معنا.

٢- الأنوار الإلهامية في ذي الحجّة سنة ١٢٨٥ هـ، ومكث في تأليفها عشرة أيام.

ثالثا: صحة نسبة الكتابين

أما صحة نسبة كل من الشرح والحاشية، فقد اجتمعت عدة أمور تؤكد نسبة كل من الشرح والحاشية له، من أهمها أن النتائج عليها خط يده، وعليها ختمه الخاص، وعليها مسودة للأنوار بخط يده أيضا.

ومنها:

١- أن الشيخ أبا الوفا المراغي ذكرهما في المعجم الأصغر، ناهيك عن النتائج بخط يده.

٢- إحالة المؤلف في الحاشية على شرحه على حاشيته على شرح الشيخ زكريا على الرسالة.

رابعا: مصادر الحاشية

تنوعت مصادر الشرح والحاشية إلا أن هناك مصادر أكثر المؤلف رضي الله عنه من النقل عنها، منها:

١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، ت: نحو ٧٧٠هـ.

٢- كتب السنة النبوية الشريفة وكتب التفاسير المسندة، وكان أحيانا ينقل بواسطة، كما حدث في رواية ابن أبي حاتم في حاشية الأنوار، فقد نقل من كتاب عمدة المريد شرح جوهرة التوحيد.

٣- كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ت: ٨١٦هـ.

٤-الحاوي في الفتاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ

٥- فتاوى النووي، يحي بن شرف النووي أبو زكريا محيي الدين، ت: ٦٧٦.

٦- التذكرة في الأحاديث المشتهرة= اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة، محمد بن عبد الله بن بهادر أبو عبد الله بدر الدين الزركشي الشافعي، ت: ٧٩٤هـ.

٧- لطائف المنن، المؤلف: أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عطاء الله الإسكندري، ت: ٧٠٩هـ.

٨- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، ت: ٣٨٦هـ.

٩- الفتوحات المكية، وكتاب التراجم كلاهما: للشيخ الأكبر، محمد بن علي بن محمد بن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، ت: ٦٣٨ هـ.

١٠- لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية، المؤلف: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، أبو محمد، ت:٩٧٣.

١١- عمدة المريد شرح جوهرة التوحيد، المؤلف: برهان الدين أبي الإمداد إبراهيم اللقاني، ت: ١٠٤١هـ.

١٢- شرح المقاصد في علم الكلام، المؤلف: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ت: ٧٩٣هـ.

١٣- الرسالة القشيرية، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ت: ٤٦٥هـ.

١٤- إحكام الدلالة على متن الرسالة، المؤلف: شيخ الإسلام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحي السنيكي، ت: ٩٢٦هـ.

١٥- نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، وهي حاشية المؤلف على إحكام الدلالة للشيخ زكريا الأنصاري.

هذه هي المصادر التي نص عليها المؤلف، في شرحه وحاشيته، أو نقل منها باللفظ، إلى غير هذا مما نقل عنه بواسطة، وكل هذا سيجده القارئ في فهرست المراجع.

النسخ المعتمدة:

الكتاب الأول: «النتائج الفكرية»

١- اعتمدت على نسخة محفوظة بالمكتبة الأزهرية، رقم ١٠٤١ خصوصي[أدعية وأوراد]، ٤٢٧٤١عروسي، وعليها خطه وختمه الخاص، ويوجد على هامش المخطوط مسودة حاشيته الأنوار الإلهامية بخط يشبه الخط الذي على غلاف الكتاب.

وخطها نسخي معتاد، وفي نهايتها، تقريظ إسماعيل بن علي معتوق العطار.

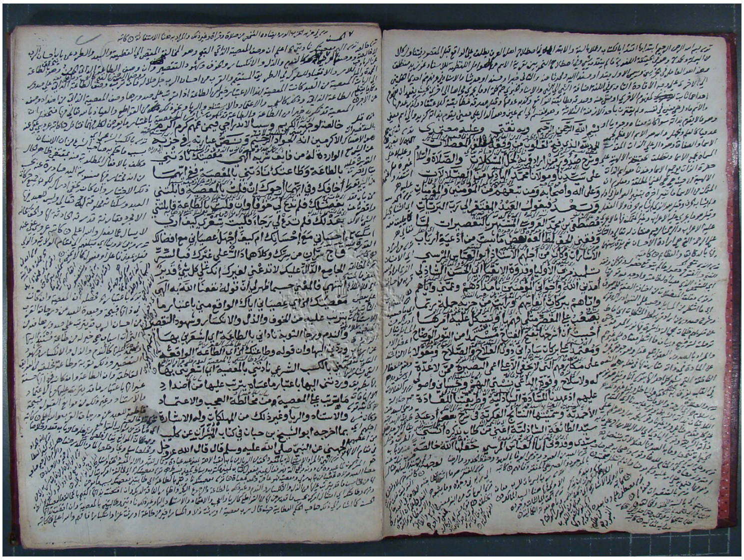
عدد الأسطر: ٢١ تقريبا.

٢- وتوجد نسخة أخرى في الأزهرية، وهي مسودة هذا الكتاب، بخطه، وسعينا في الحصول عليها ولكن لم نستطع؛ لأنها لم تصور بعد، وتحمل رقم [٨٦٤ مجاميع، ٤٢٨٤١/عروسي].

الحاشية: الأنوار الإلهامية.

له نسخة واحدة، رقم: [١٠٤٢ أدعية وأوراد/ ٤٢٧٤٢ عروسي]، ويبدو أنها بخط أحد تلاميذه؛ حيث ورد في غلافها، هذه الأنوار الإلهامية في بيان معاني شرح الإشارات الشاذلية المسمى بالنتائج الفكرية ... وكل منهما لمؤلفهما... إلى أن قال: أستاذي السيد مصطفى محمد العروسي.

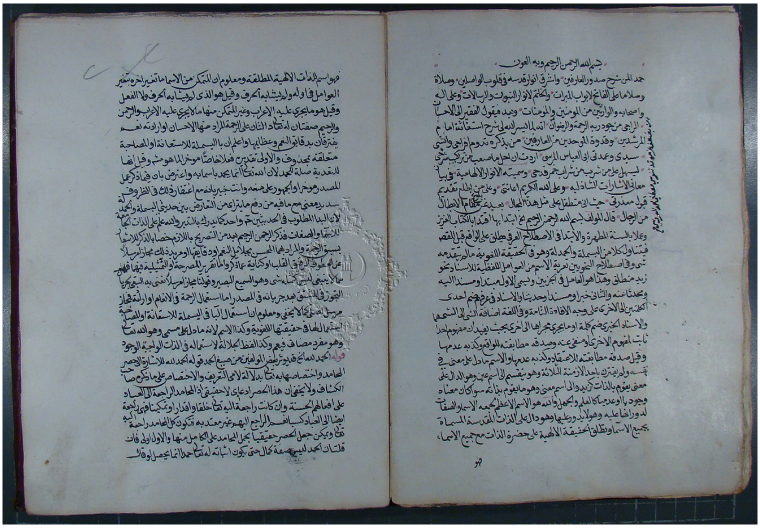
وخطها نسخي معتاد، عدد الأسطر: ٢٥ سطرًا تقريبا.



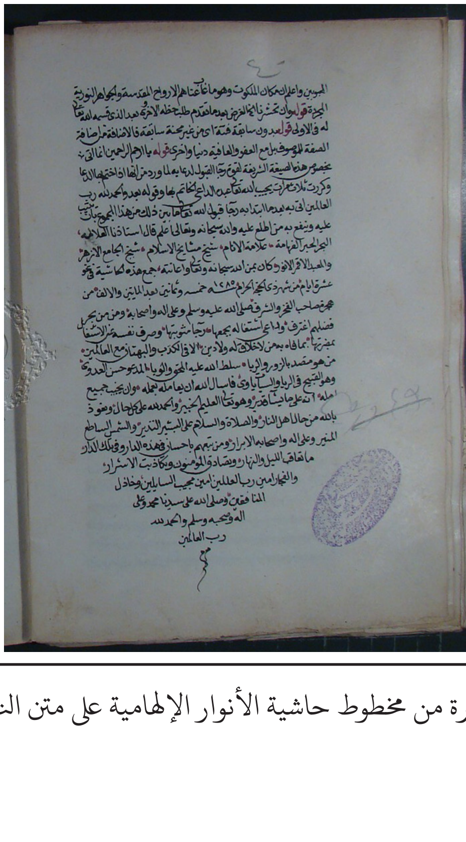
اللوحة الأولى من مخطوط متن النتائج الفكرية بخط العروسي.



الصفحة الأخيرة من مخطوط متن النتائج الفكرية بخط العروسي.



اللوحة الأولى من مخطوط حاشية الأنوار الإلهامية على متن النتائج الفكرية.



الصفحة الأخيرة من مخطوط حاشية الأنوار الإلهامية على متن النتائج الفكرية.

النَّتائِجُ الفِكْرِيَّةُ

في شرحِ بعضِ أدعيةِ سيدِ الطائفةِ الشاذليةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَبِهِ ثِقَتِي وَعَلَيْهِ مُعْتَمَدِي

الحَمدُ للهِ الَّذِي فَتَحَ لِقُلُوبِ مَنْ وَفَقَّهُ مُغْلَقَ المُعْضِلَاتِ، وَشَرَحَ صُدُورَ مَنْ أَرَادَ قُرْبَهُ لِحَلِّ المُشْكِلَاتِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الهَادِي مِنَ الضَّلَالَاتِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنِاتِ، وَبعْدُ:

فَيَقُولُ العَبْدُ المُفْتَقِرُ إِلَى رَبِّ البَرِيَّاتِ، مُصْطَفَى بْنُ مُحَمَّدٍ العَرُوسِيُّ المُشْتَهِرُ بِالتَّقْصِيرَاتِ: لَمَّا وَفَّقَنِي الحَقُّ لمُطَالَعَةِ بَعْضِ مَا ثَبَتَ مِنْ أَدْعِيَةِ أَرْبَابِ الإِشَارَاتِ، وَكَانَ مِنْ أَجَلِّهِمُ الأُسْتَاذُ أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِيُّ، تِلْمِيذُ مُرَبِّي الأَوْلِيَاءِ، وَقُدْوَةِ الأَتْقِيَاءِ، أَبِي الحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ أَمَدَّنِي اللهُ وَإِخْوَانِي المُؤْمِنِينَ بِأَمْدَادِهِمْ، وَعَمَّنِي وَإِيَّاهُمْ بِبَرَكَاتِ أَنْفَاسِهِمْ، وَرَأَيْتُ مِنْ حِزْبِهِ جُمْلَةً رُبَّمَا يَصْعُبُ عَلَى المُقَصِّرِ مِثْلِي فَهْمُهَا، وَيُشْكِلُ عَلَيْهِ أَمْرُهَا، أَحْبَبْتُ أَنْ أَشْرَحَهَا بِفَتْحِ الفَتَّاحِ، مُسْتَمِدًّا مِنَ النُّورِ الوَضَّاحِ، وَمُعْتَمِدًا عَلَى بَرَكَاتِ سَادَاتِي ذَوِي الفَلَاحِ وَالصَّلَاحِ، وَمُعَوِّلًا عَلَى مَكَارِمِهِمُ الَّتِي لَا تَخْفَى إِلَّا عَلَى أَعْمَى البَصِيرَةِ مِمَّنْ لَا عُدَّةَ لَهُ وَلَا سِلَاحَ، وَقُوَّةُ الدَّاعِي نِسْبَتِي إِلَيْهِمْ وَحُسْبَانِي وَأُصُولِي عَلَيْهِمْ؛ إِذْ عَهْدُنَا للسَّادَةِ الشَّاذِلِيَّةِ، وَطَرِيقَتُنَا للقَادَةِ الأَحْمَدِيَّةِ، وَسَمَّيْتُهَا:

«النَتَائِجُ الفِكْرِيَّةُ فِي شَرْحِ بَعْضِ أَدْعِيَةِ سَيِّدِ الطَّائِفَةِ الشَّاذِلِيَّةِ»

أَعْنِي مَنْ طَابَ بِذِكْرِهِ أُنْسِي، سَيِّدِي وَقُدْوَتِي، أَبَا العَبَّاسِ المُرْسِي، جَعَلَهَا اللهُ خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَسَبَبًا لانْدِرَاجِي فِيمَنْ عَمَّهُمْ كَرْمُ أَكْرَمِ الأَكْرَمِينَ؛ إِنَّهُ الجَوَادُ الرَّحِيمُ، وَنَصُّ عِبَارَتِهِ فِي حِزْبِهِ الوَارِدَةِ لَهُ مِنْ فَائِقِ شِرْبِهِ: «**إِلَهِي، مَعْصِيَتُكَ نَادَتْنِي بِالطَّاعَةِ، وَطَاعَتُكَ نَادَتْنِي بِالمَعْصِيَةِ، فَفِي أَيِّهِمَا أَخَافُكَ، وَفِي أَيِّهِمَا أَرْجُوكَ! إِنْ قُلْتُ بِالمَعْصِيَةِ قَابَلْتَنِي بِفَضْلِكَ، فَلَمْ تَدَعْ لِي خَوْفًا، وَإِنْ قُلْتُ بِالطَّاعَةِ قَابَلْتَنِي بِعَدْلِكَ، فَلَمْ تَدَعْ لِي رَجَاءً، فَلَيْتَ شِعْرِي! كَيْفَ أَرَى إِحْسَانِي مَعَ إِحْسَانِكَ، أَمْ كَيْفَ أَجْهَلُ عِصْيَانِي مَعَ إِفْضَالِكَ!**»

«**ق ج**»، سِرَّانِ مِنْ سِرِّكَ، وَكِلَاهُمَا دَالٌّ عَلَى غَيْرٍ، فَبِالسِّرِّ الجَامِعِ الدَّالِّ عَلَيْكَ لَا تَدَعْنِي لِغَيْرِكَ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. انْتَهَى.(١)

فَالمَعْنَى حَسْبَمَا ظَهَرَ لِي أَنَّ قَوْلَهُ: نَفَعَنَا اللهُ بِهِ: «إِلَهِي، مَعْصِيَتُكَ...إِلَخ»؛ أَيْ عِصْيَانِي إِيَّاكَ الوَاقِعُ مِنِّي بِاعْتِبَارِ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الخَوْفِ وَالذُّلِّ وَالانْكِسَارِ، وَشُهُودِ التَّقْصِيرِ، وَالنَّدَمِ، وَرَجَاءِ التَّوْبَةِ، **نَادَانِي بِالطَّاعَةِ**: أَيْ أَشْعَرَنِي بِهَا، وَرَدَّنِي إِلَيْهَا، وَأَنَّ قَوْلَهُ: وَطَاعَتُكَ ...إِلَخ: أَيِ الطَّاعَةُ الوَاقِعَةُ مِنِّي بِالكَسْبِ الشَّرْعِيِّ، **نَادَتْنِي بِالمَعْصِيَةِ**: أَيْ أَشْعَرَتْنِي بِهَا، وَرَدَّتْنِي إِلَيْهَا بِاعْتِبَارِ مَا عَسَاهُ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ أَضْدَادِ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى المَعْصِيَةِ مِنْ مُخَالَطَةِ العُجْبِ، وَالاعْتِمَادِ، وَالاسْتِنَادِ، وَالرِّيَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المُهْلِكَاتِ، وَلَهُ الإِشَارَةُ بِمَا أَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْخِ بْنُ حِبَّانَ فِي كِتَابِ المُبَشِّرَاتِ عَنْ كُلَيْبٍ الجُهَنِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللهُ

(١) هذا جزء من حزب الشيخ المرسي، وهو يقال بعد العشاء الآخرة كما نص على ذلك سيدي ابن عطاء الله، انظر: لطائف المنن، أحمد بن محمد ابن عطاء الله السكندري، ص: ٢١١، مكتبة المقطم، حققه واعتنى به: نجاح صام، ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م.

عَزَّوَجَلَّ: «لَوْلَا أَنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لِعَبْدِي المُؤْمِنِ مِنَ العُجْبِ مَا خَلَّيْتُ بَيْنَ عَبْدِي المُؤْمِنِ وَبَيْنَ الذَّنْبِ»(١)، وَمَا أَخْرَجَهُ الدَّيلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الفِرْدَوْسِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «لَوْلَا أَنَّ المُؤْمِنَ يُعْجَبُ مِنْ عَمَلِهِ لَعُصِمَ مِنَ الذَّنْبِ حَتَّى لَا يَهُمَّ بِهِ، وَلَكِنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ العُجْبِ»(٢)، وَمَا أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ لَخِفْتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ: العُجْبَ العُجْبَ»(٣)، وَمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ الأَوْلِيَاءِ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الحِلْيَةِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ جِبْرِيلَ يَقُولُ اللهُ: «وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي المُؤْمِنِينَ لَمَنْ يَسْأَلُنِي البَابَ مِنَ العِبَادَةِ، فَأَكُفُّهُ أَلَّا يَدْخُلَهُ عُجْبٌ فَيُفْسِدَهُ ذَلِكَ»(٤) ذَكَرَهُ فِي أَثْنَاءِ حَدِيثٍ طَوِيلٍ عَلَى أَنَّ الطَّاعَةَ تَكُونُ مَذْمُومَةً؛ لِنُقْصَانِهَا بِتَخَلُّفِ أُمُورٍ يَنْبَغِي أَلَّا تَتَخَلَّفَ عَنْهَا، كَالذِّكْرِ مَثَلًا يَنْبَغِي أَنْ يُقَارِنَهُ حُضُورُ القَلْبِ.

وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الكُمَّلِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ: «اسْتِغْفَارُنَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِغْفَارٍ»(٥)، وَكَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، يَنْبَغِي أَنْ يُقَارِنَهُمَا الانْتِهَاءُ وَالائْتِمَارُ،

---

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في ثواب الأعمال [كما في جمع الجوامع للسيوطي ١٣٧/٦]، وليس كما ذكر المؤلف في المبشرات]، وانظر: إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٠٦/٢.

(٢) مسند الفردوس ٣٥٥/٣/ح٥٠٦٩.

(٣) أما حديث سيدنا أنس، فقد أخرجه الخرائطي في مساوي الإخلاق ح٥٦٨، والقضاعي في مسند الشهاب ٢٣٠/٢/ح١٤٤٧، وحديث ابن مسعود أخرجه الحارثي في مسند أبي حنيفة ٤٧٤/١/ ح٧٧٠، وانظر: المغني عن حمل الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ح ١٢٨٧.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأولياء ص ٩/ح١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣١٨/٨.

(٥) عزاه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠٦/٢ لرابعة العدوية.

وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي مَعْرِضِ الإنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ: ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [البقرة: ٤٤]، وَفِيهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي ذَمِّ مَنْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ وَلَمْ يَنْتَهِ عَنْهُ، وَمَنْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ يَأْتَمِرْ بِهِ، وَكَالصَّلَاةِ، يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ نَاهِيَةً عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وَكَالصَّوْمِ، يَنْبَغِي أَنْ يُنَزَّهَ عَنِ الغِيبَةِ وَنَحْوِهَا، قَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»[١] إلى غير ذَلِكَ مِنْ أَفْرَادِ الطَّاعاتِ الَّتي لاَ تحمد مَا لَمْ تَبْلُغْ رُتْبَةَ الكَمَالِ، وَتَخْلُص مِنْ شَوَائِبِ النُّقْصَانِ.

وَقَوْلُهُ نَفَعَنَا اللهُ بِبَرَكَاتِ أَنْفَاسِهِ: إنْ قُلْتُ بِالمَعْصِيَةِ قَابَلْتَنِي بِفَضْلِكَ: أيْ إنْ جَعَلْتُ ذَنْبِي نُصبَ عَيْنِي وَأَدَمْتُ طَوَارِقَ الخَوْفِ وَالقَلَقِ عَلَى قَلْبِي قَابَلْتَنِي بِفَضْلِكَ: أيْ ذَكَّرْتَنِي إحْسَانَكَ وَسِعَةَ رَحْمَتِكَ وَمَغْفِرَتِكَ، فَلَمْ تَدَعْ لِي خَوْفًا حَيْثُ فَتَحْتَ لِي أَبْوَابَ رَجَائِكَ، وَفِي «الحِكَمِ العَطَائِيَّةِ»: «رُبَّ مَعْصِيَةٍ أَوْرَثَتْ ذُلًّا وَانْكِسَارًا خَيْرٌ مِنْ طَاعَةٍ أَوْرَثَتْ عِزًّا وَاسْتِكْبَارًا»، وَفِي الحَدِيثِ: «لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»[٢] إلى غير ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ فِي هَذَا المَعْنَى.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/٢٦ح١٩٠٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٧٤٨(٩).

وَقَوْلُهُ: «**وَإِنْ قُلْتُ بِالطَّاعَةِ**»: أَيْ وَإِنْ عَوَّلتُ فِي النَّظَرِ عَلَيْهَا قَابَلْتَنِي بِعَدْلِكَ؛ أَيْ أَوْرَدْتَّ عَلَى قَلْبِي وَذَكَّرْتَنِي مَا جُبِلْتُ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالمُخَالَفَاتِ وَالتَّقْصِيرِ فِي الطَّاعَاتِ الَّذِي يَكَادُ يَمْنَعُهَا مِنَ الاعْتِدَادِ بِهَا، فَضْلًا عَنْ تَكْفِيرِ المَآثِمِ.

وَقَوْلُهُ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ العَزِيزَ: «**فَلَمْ تَدَعْ لِي رَجَاءً**»؛ أَيْ فَلَمْ تَتْرُكْ لِي بَابًا مِنْ أَبْوَابِ جُودِكَ وَإِحْسَانِكَ؛ لِغَلَبَةِ طَوَارِقِ الخَوْفِ عَلَيَّ حِينَئِذٍ وَاتِّسَاعِ أَبْوَابِهِ، جَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا يُجَرُّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ خَوْفًا فِي مَرْضَاةِ اللهِ تَعَالَى لَحَقِرَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

وَقَوْلُهُ: **فَلَيْتَ شِعْرِي! كَيْفَ أَرَى إِحْسَانِي مَعَ إِحْسَانِكَ**؛ أَيْ كَيْفَ أَعُدُّ مَا صَدَرَ عَنِّي مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَاتِ إِحْسَانًا يَسْتَوْجِبُ الجَزَاءَ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّ إِقْدَارِي عَلَيْهِ إِحْسَانٌ مِنْكَ، وَنِعْمَةٌ تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ وَالمَزِيدَ فِي العَمَلِ، فَكُلَّمَا وَقَعَ مِنِّي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَالأَمْرُ فِيهِ كَذَلِكَ مَعَ مَزِيدِ الإِحْسَانِ، وَجَزِيلِ الإِفْضَالِ الخَارِجِ عَنْ ذَلِكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الجُمْلَةَ تُنَاسِبُ جُمْلَةَ الخَوْفِ.

وَقَوْلُهُ قُدِّسَ سِرُّهُ: **أَمْ كَيْفَ أَجْهَلُ عِصْيَانِي مَعَ إِفْضَالِكَ**؛ يَعْنِي فَضْلَكَ بِالحِلْمِ وَالإِمْهَالِ وَالإِنْعَامِ وَالعَفْوِ وَالغُفْرَانِ، فَلَا يُمْكِنُنِي الوُقُوفُ بِكَثْرَةِ عِصْيَانِي عَنْ شُهُودِ أَبْوَابِ جُودِكَ وَكَرَمِكَ، وَهَذِهِ الجُمْلَةُ تُنَاسِبُ جُمْلَةَ الرَّجَاءِ.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ح١٧٦٤٩، والطبراني في مسند الشاميين ح ١١٣٨، وتمام في فوائده ١٦٥٤.

وَقَوْلُهُ نَفَعَنَا اللهُ بِعُلُومِهِ وَأَسْرَارِ إِشَارَاتِهِ: «**ق ج**» سِرَّانِ مِنْ سِرِّكَ، الظَّاهِرُ فِي مَعْنَاهُ أَنَّ «**القَافَ**» مُقْتَطَعَةٌ مِنِ اسْمِ اللهِ القَدِيرِ، أَوْ مِنِ اسْمِهِ المُقْتَدِرِ، وَأَنَّ «**الجِيمَ**» مُقْتَطَعَةٌ مِنِ اسْمِهِ تَعَالَى الجَوادِ، وَهُمَا يُنَاسِبَانِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَالخَوْفُ يُنَاسِبُهُ القُدْرَةُ وَالاقْتِدَارُ، وَالرَّجَاءُ يُنَاسِبُهُ الجُودُ، وَأَخَذَ الحَرْفَيْنِ المَذْكُورَيْنِ مِنَ الاسْمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا عَلَى مَا دَرَجَ عَلَيْهِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ: «**ألم طس ق ن ص**» مِنْ أَنَّهَا حُرُوفٌ مُقْتَطَعَةٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَفِي رِوَايَةٍ: إِنَّهَا مِنَ الاسْمِ الأَعْظَمِ، وَعَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهَا مِنْ أَسْرَارِ اللهِ تَعَالَى(١).

وَقَوْلُهُ أَمَدَّنَا اللهُ بِمَدَدِهِ: وَكِلَاهُمَا دَالٌّ عَلَى غَيْرِكَ، يَحْتَمِلُ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ لَهُمَا تَعَلُّقًا بِالغَيْرِ؛ إِذِ القُدْرَةُ تَتَعَلَّقُ بِمَقْدُورٍ، وَالاقْتِدَارُ بِمَقْدُورٍ عَلَيْهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ المُرَادَ أَنَّهُمَا يَجُوزُ شَرْعًا أَنْ يُوصَفَ بِهِمَا غَيْرُهُ تَعَالَى بِأَنْ يُطْلَقَا عَلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ عَقِبَهُ: **فَبِالسِّرِّ الجَامِعِ الدَّالِّ عَلَيْكَ**؛ أَيْ بِالاسْمِ الخَاصِّ بِكَ، وَهُوَ اللهُ؛ إِذْ لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالغَيْرِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ تَعَالَى، فَهُوَ الاسْمُ الأَعْظَمُ فِيمَا رُوِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، وَهُوَ الدَّالُّ عَلَى الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ، وَالجَامِعُ لِسَائِرِ النُّعُوتِ وَالصِّفَاتِ، فَهُوَ حِيطَةُ دَائِرَةِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ لِرجُوعِهَا إِلَيْهِ، وَلَا يَرْجِعُ هُوَ إِلَيْهَا فَيُوصَفَ بِهَا، وَلَا يَقَعُ هُوَ وَصْفًا لَهَا.

وَقَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **لَا تَدَعْنِي لِغَيْرِكَ**؛ أَيْ لَا تَتْرُكْ فِيَّ شَيْئًا لِمَا سِوَاكَ، بَلِ اجْعَلْنِي وَعِبَادَاتِي وَدُعَائِي وَخَوْفِي وَرَجَائِي وَتَوَجُّهَاتِي وَحَرَكَاتِي وَسَكَنَاتِي لَكَ خَالِصًا مُخْلَصًا

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية ١/٨٢.

مِنْ شَائِبَةِ الأَغْيَارِ.

قَوْلُهُ رَضِيَ اللهُ عَنَّا بِهِ: **إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**؛ فِي قُوَّةِ التَّعْلِيلِ لِقَبُولِ الدُّعَاءِ.

هَذَا مَا تَيَسَّرَ لِي فَهْمُهُ، ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ كَلَامًا عَلَى هَذَا الفَصْلِ للشِّهَابِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الوَاحِدِ(١) أَحْبَبْتُ أَنْ أُلَخِّصَهُ تبركا بِنَفسِهِ.

قَالَ: قَوْلُ الأُسْتَاذِ يَعْنِي أَبَا العَبَّاسِ المُرْسِي: إِلَهِي، مَعْصِيَتُكَ نَادَتْنِي بِالطَّاعَةِ، يَحْتَمِلُ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ: أَنْ يَكُونَ مُشِيرًا إِلَى أَنَّهُ سَبَقَ تَعَلُّقُ عِلْمِكَ بِهَا، وَقُدْرَتِكَ بِإِيجَادِهَا، وَإِرَادَتِكَ بِتَخْصِيصِهَا، فَتَعَيَّنَ وُجُودُهَا عَلَى حَسَبِ تَعَلُّقِ العِلْمِ وَالقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ تَعَيُّنًا لُزُومِيًّا للعَبْدِ ضَرُورَةَ بُطْلَانِ تَعَلُّقِ العِلْمِ وَتَبَدُّلِهِ جَهْلًا، وَبُطْلَانِ تَعَلُّقِ القُدْرَةِ وَتَبَدُّلِهَا عَجْزًا، فَلَيْسَ إِلَّا وُقُوعُ هَذَا المَقْضِيِّ بِهِ عَلى حَسَبِ سَابِقِ القَضَاءِ الأَزَلِيِّ، فَأَنَّى يُمَكَّنُ العَبْدُ وَوُقُوعُهَا حَتْمًا عَدْلًا مِنَ القَهَّارِ لَا ظُلْمًا، فَلِهَذَا كَانَتْ مُنَادِيَةً عَلَيْهِ بِالطَّاعَةِ: أَيْ بِالدُّخُولِ تَحْتَ مَجَارِي القَهْرِ اسْتِسْلَامًا للقَهَّارِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ١١]، فَهَذِهِ هِيَ الطَّاعَةُ المُشَارُ إِلَيْهَا فِي كَلَامِ الأُسْتَاذِ، وَسَيَأْتِي تِلْوَ هَذَا أَنَّهَا مَجَازٌ، وَقَوْلُهُ: وَطَاعَتُكَ نَادَتْنِي بِالمَعْصِيَةِ، يَحْتَمِلُ تَمْشِيَتَهُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّهُ يُشِيرُ بِهِ إِلَى سَبْقِ تَعَلُّقِ العِلْمِ وَالقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ، فَكَانَ الحَقُّ وُقُوعَ مَا جَرَى عَلَى يَدِ العَبْدِ

(١) هو: العلامة شهاب الدين أحمد بن عبد الواحد بن محمد اللخمي، المشهور بابن المَيْلَق، أصله من الإسكندرية،كان شافعيًّا شاذليًّا شهيرًا ت: ٧٤٩هـ. انظر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ١٣٣٣/٤، تاريخ ابن حجي ١١١/١.

مِنَ الطَّاعَاتِ؛ لِبُطْلَانِ امْتِنَاعِهَا؛ لِمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، هَذَا مَعَ أَنَّ العَبْدَ يَرَى أَنَّهُ قَدْ أَطَاعَ وَمَا خَالَفَ، فَيَكُونُ مُنَادِيًا عَلَى نَفْسِهِ بِلِسَانِ حَالِ رُؤْيَتِهِ طَاعَةَ مَوْلَاهُ بِدَعْوَى القُدْرَةِ عَلَى المُخَالَفَةِ فِي حَالِ الإِطَاعَةِ حَقِيقَةً، فَعَدَلَ عَنِ المُخَالَفَةِ لِلطَّاعَةِ فَأَطَاعَ، وَإِذَا كَانَ بِهَذَا الحَالِ فِي حَالِ جَرَيَانِ الفَضْلِ المَقْدُورِ المُسَمَّى بِالطَّاعَةِ، فَهُوَ فِي عَيْنِ المَعْصِيَةِ، فَتَبَيَّنَ مِنْ هُنَا أَنَّ نِسْبَةَ الطَّاعَةِ لَهُ مَجَازٌ كَنِسْبَتِهَا لِلسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمِنْ هَذَا الطَّرِيقِ يُفْهَمُ مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ لِسَيِّدِ خَلْقِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وَقَوْلِهِ عَزَّ شَأْنُهُ لَهُ أَيْضًا: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

ثُمَّ قَوْلُهُ عَمَّنَا اللهُ بِبَرَكَاتِ أَنْفَاسِهِ: **فَفِي أَيِّهِمَا أَخَافُكَ، وَفِي أَيِّهِمَا أَرْجُوكَ، إِنْ قُلْتُ بِالمَعْصِيَةِ قَابَلْتَنِي بِفَضْلِكَ، فَلَمْ تَدَعْ لِي خَوْفًا، وَإِنْ قُلْتُ بِالطَّاعَةِ قَابَلْتَنِي بِعَدْلِكَ، فَلَمْ تَدَعْ لِي رَجَاءً**؛ يَعْنِي وَاللهُ أَعْلَمُ إِنْ رَأَيْتُ مَعْصِيَتَكَ الوَاقِعَةَ مِنِّي مِنْ حَيْثُ الأَدَبُ الشَّرْعِيُّ قَامَ الخَوْفُ بِي مِنْكَ، فَأَطْفَأَهُ وَارِدُ الفَضْلِ مِنْكَ عَلَيَّ بِإِشْهَادِي الحَقِيقَةَ مِنْ لَدُنْكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣].

فَيَذْهَبُ الخَوْفُ، وَإِنْ قُلْتُ بِالطَّاعَةِ: أَيْ إِنْ رَأَيْتُهَا مِنِّي لَكَ مِنْ حَيْثُ النِّسْبَةُ الشَّرْعِيَّةُ، قَامَ الرَّجَاءُ بِي فَأَفْنَاهُ وَارِدُ العَدْلِ مِنْكَ عَلَيَّ بِإِشْهَادِي الحَقِيقَةَ مِنْ لَدُنْكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨].

وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَلْتَعْلَمْ أَنَّ للفَضْلِ تَعَلُّقَاتٍ، وَأَنَّ للعَدْلِ تَعَلُّقَاتٍ، وَكِلَاهُمَا دَالٌّ عَلَى غِنَاهُ تَعَالَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَمِنْ تَعَلُّقَاتِ فَضْلِهِ مَا يُعَامِلُ بِهِ مَنْ عَصَاهُ مِنْ سِتْرٍ وَعَطْفٍ وَلُطْفٍ وَحَنَانٍ وَإِحْسَانٍ وَجُودٍ وَكَرَمٍ، وَبَسْطِ يَدِ الرَّحْمَةِ للعَاصِي مِنْ غَيْرِ حَدٍّ، وَمِنْ تَعَلُّقَاتِ عَدْلِهِ مَا يُعَامِلُ بِهِ مَنْ أَطَاعَهُ مِنْ قَبْضٍ فِي الرِّزْقِ وَدُحُوضٍ بَيِّنٍ بَيْنَ الخَلْقِ، وَضَعْفٍ فِي الجَسَدِ، وَقِلَّةِ حَظٍّ فِي الأَهْلِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ.

وَإِذْ قَدْ تَبَيَّنَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ مُقَابَلَةَ العَاصِي بِأَثَرٍ مِنْ آثَارِ الفَضْلِ فِي حَالِ عِصْيَانِهِ رُبَّمَا يُزِيلُ عَنْهُ الخَوْفَ، وَمُقَابَلَةَ الطَّائِعِ بِأَثَرٍ مِنْ آثَارِ العَدْلِ فِي حَالِ طَاعَتِهِ رُبَّمَا يُزِيلُ عَنْهُ الرَّجَاءَ، وَذَلِكَ؛ لأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ وُرُودِ أَثَرِ الفَضْلِ عَلَى سَلَامَةِ العَاقِبَةِ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ وُرُودِ أَثَرِ العَدْلِ عَلَى عَطَبِ العَاقِبَةِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَقَعَ الإِبْهَامُ عَلَى الخَلْقِ، فَجَاءَ المُرَادُ بِقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] بِأَنْ تَرَى الأَشْيَاءَ مِنْهُ حَقِيقَةً مَعَ التَّبَرِّي مِنَ الحَوْلِ وَالقُوَّةِ، وَمَعَ رَدِّ الأَشْيَاءِ اللَّائِقَةِ بِالسَّبَبِ للعِبَادِ كَسْبًا شَرِيعَةً مَعَ الانْسِلَاخِ عَنْ لُحُوظِ العِبَادَاتِ تَوَكُّلًا عَلَيْهِ، وَاسْتِسْلَامًا إِلَيْهِ، وَفَنَاءً لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَذَا هُوَ مُقْتَضَى العُبُودِيَّةِ المَحْضَةِ، ثُمَّ رَأَيْتُ شِعْرًا لِبَعْضِهِمْ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: «ق» وَهُوَ:

لَقَدْ رَمَزَ الأَشْيَاخُ سِرًّا مُكَتَّمًا
عَنِ القَافِ لَمْ يُبْدُوا لَهَا أَبَدًا حَلَّا
يَقُولُونَ عِنْدَ القَافِ قِفْ لِتَرَى الَّذِي
أَرَدْنَاهُ لَا تَبْغِي بِهِ بَدَلًا أَصْلًا

وَقَدْ رَأَيْتُ نَظْمًا للشَّيْخِ عَبْدِ السَّلَامِ البَغْدَادِيِّ مُجِيبًا بِهِ مَنْ سَأَلَهُ عَنْ مَعْنَى «ق»، وَهُوَ:

يُرِيدُونَ قَافَ الرِّقِّ يَا ذَا النُّهَى فَكُنْ
بِمَقْصُودِهِمْ كَيمَا تَرَى الغُنْمَ وَالفَضْلَا
فَفِي الخَبَرِ المَشْهُورِ هُمْ يَزْعُمُونَ مَنْ
عَرَف نَفْسَهُ فَهْوَ الَّذِي عَرَفَ المَوْلَى
عَرَفهَا بِرِقٍّ وَانْكَسَارٍ وَذِلَّةٍ
وَخَالِقَهُ رَبًّا لَهُ المَثَلُ الأَعْلَى
وَقَدْ جَاءَ فِي نَصِّ القُرَانِ دَلِيلُهُمْ
هِيَ المُبْتَغَى مِنْ خَلْقِهِ حَقِّقِ النَّقْلَا
بِآخِرِ آيِ الذَّارِيَاتِ تَرَاهُمُ
بِتَأْوِيلِهِمْ كَيْ يَعْرِفُوا حَبَّذَا وَصْلَا
ثَلَاثْمِائَةِ عِلْمٍ لِمَنْ شَاء فَهْمَهَا
مِنَ الرَّاءِ وَالقَافِ الَّذِي جُعلَا أَصْلَا
مَنَازِلُ سَيْرِ السَّالِكِينَ تَعُدُّهَا
بِأَقْسَامِ عَشْرٍ فَاجْعَلَنْ مِا بِهِ عَدْلَا
فَأَوَّلُهَا بَابُ الإِنَابَةِ يَا فَتَى
وَآخِرُهَا التَّوْحِيدُ وَالمَطْلَبُ الأَعلَى

ثَلَاثُ عُلُومٍ مِنْ طِبَاقٍ أَتَى بِهَا
هُوَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ جَادَ بِهَا نَقْلَا

عَوَامٌّ خَوَاصٌّ ثُمَّ خَاصُّ خَوَاصِّهَا
فَكُنْ أَوْحَدِيًّا عَارِفًا دَامِغًا فَحْلَا

فَهَذَا جَوَابٌ مِنْ فَقِيرٍ مُحَصِّلٍ
وَطَالِبِ فَهْمٍ أُلْهِمَ الرَّمْزَ وَالحَلَّا

وَمُـــوَلِدُهُ دَارُ السَّــلَامِ وَاسْـــمُهُ
بِعَبْدٍ لِلسَّلَامِ مِصْرَكُمُ حَلَّا

إِلَى العَالِمِ النَّحْرِيرِ نُعْمَانَ يَنْتَمِي
إِمَامِ الهُدَى وَالفَضْلِ كَمْ مُشْكِلٍ حَلَّا(١)

ثُمَّ أَقُولُ وَاللهُ وَلِيُّ السُّؤَالِ حَيْثُ ذَكَرَ النَّاظِمُ فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ خَبَرَ:

«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ»، يَنْبَغِي أَنْ أَتَكَلَّمَ عَلَى هَذَا الخَبَرِ الَّذِي قَدْ اشْتُهِرَ عَلَى الأَلْسِنَةِ؛ لأَنَّهُ رُبَّمَا يُفْهَمُ مِنْهُ مَا لَا صِحَةَ لَهُ فِيهِ، فأَبتَدِئُ أَوَّلًا بِأَنَّ هَذَا الحَدِيثَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ النَّوَوِيُّ فِي فَتَاوِيهِ فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِثَابِتٍ(٢)، وَقَالَ الزَّرْكَشِيُّ فِي الأَحَادِيثِ المَشْهُورَةِ: ذَكَرَ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ: أَنَّهُ مِنْ

(١) انظر: الحاوي في الفتاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ٢/٢٨٧، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م. فقد نقل السيوطي الكلام السابق.

(٢) فتاوى النووي، يحي بن شرف النووي أبو زكريا محيي الدين ، ترتيبُ: تلميذه الشيخ عَلاَء الدِّين بن العَطّار، تحقِيق وتعلِيق: محمَّد الحجَّار، ص ٢٤٨، الناشر: دَارُ البشائرِ الإسلاميَّة للطبَاعَة

كَلَامِ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ الرَّازِي(١)، ثُمَّ أَقُولُ مَا يَظْهَرُ لي مِنْ مَعْنَاهُ عَلَى فَرْضِ ثُبُوتِهِ: إِنَّمَا عَلَّقَ مَعْرِفَةَ الرَّبِّ عَلَى مَعْرِفَةِ النَّفْسِ؛ لأَنَّهَا إِذَا تَطَهَّرَتِ اسْتَنَارَتْ بِنُورِ الحَقِّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]: أيْ مِنْ ظُلُمَاتِ الجَهْلِ إِلَى نُورِ المَعْرِفَةِ، فَإِذَا بَرَقَتْ عَلَيْهَا الأَنْوَارُ الإِلَهِيَّةُ، وَحَلَّتْ فِيهَا السَّكِينَةُ القُدْسِيَّةُ تَرَفَّعَتْ إِلَى أَوْجِ العُلُومِ العِرْفَانِيَّةِ، وَتَأَلَّقَتْ بِسَنَاءِ المَجْدِ، وَاسْتَنَارَتْ بِنُورِ القُدْسِ، فَيُسْمَعُ دُعَاؤُهَا فِي المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ.

وَلَا سِيَّمَا إِذَا دَامَتْ لَهَا الفِكْرَةُ فِي آيَاتِ الجَبَرُوتِ وَاشْتَاقَتْ إِلَى عَالَمِهَا النُّورَانِيِّ، وَتَلَطَّفَتْ بِالعِشْقِ السُّبْحَانِيِّ، وَاتَّصَفَتْ بِالخَيْرِ وَالجُودِ وَالكَرَمِ، فَتُبْصِرُ مِنَ الأُفُقِ الأَعْلَى، وَتَتَقَوَّى عَلَى الأَعْدَاءِ؛ لانْدِرَاجِهَا فِي جُمْلَةِ حِزْبِ اللهِ المُفْلِحِينَ الغَالِبِينَ: ﴿ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦ ﴾ [المائدة: ٥٦]﴿ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢ ﴾ [المجادلة: ٢٢] ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣ ﴾ [الصافات: ١٧٣]، وَذَلِكَ لأَنَّ القُوَّةَ الفِكْرِيَّةَ إِذَا اشْتَغَلَتْ بِالأُمُورِ الرُّوحَانِيَّةِ وَأَقْبَلَتْ عَلَى المَعَارِفِ الحَقِيقِيَّةِ، كَانَتْ هِيَ الشَّجَرَةَ المُبَارَكَةَ ذَاتَ الأَغْصَانِ المُتَوَصَّلِ بِهَا إِلَى نُورِ اليَقِينِ، قَالَ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا ﴾ [يس: ٨٠]؛ يُشِيرُ إِلَى القُوَّةِ الفِكْرِيَّةِ، وَخُضْرَتُهَا ارتِوَاؤُهَا بِمَسَالِكِ النَّظَرِ وَانْصِرَافُهَا بِالعَوْدِ إِلَى عَالَمِ النُّورِ، وَقَالَ عَزَّ

وَالنشرَ والتوزيع، بَيروت – لبنان، الطبعة: السَادسَة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

(١) التذكرة في الأحاديث المشتهرة= اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة، محمد بن عبد الله بن بهادر أبو عبد الله بدر الدين الزركشي الشافعي، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، ص ١٢٩/ح١٠، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

شَأْنُهُ: ﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ ﴾ [الواقعة: ٧٢]

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وَهُوَ الأُفُقُ الأَعْلَى، ﴿ تَنبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠]: أَيْ يَكْتَسِبُ بِهَا دُهْنِيَّةَ المَعْقُولَاتِ الَّتِي تُغَذِّي النَّفْسَ وَتُرَبِّيهَا للوَمِيضِ القُدُسِيِّ، وَاشْتِعَالِ مِصْبَاحِ اليَقِينِ الأُنْسِيِّ، فَهِيَ شَجَرَةُ مُوسَى الَّتِي سَمِعَ مِنْهَا النِّدَاءَ فِي البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ [النور: ٣٥]، هِيَ الأَبُ المُقَدَّسُ مِنْ رُوحِ القُدُسِ المُشَارِ إِلَيْهَا بِـ ﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ [النمل: ٨] يَعْنِي بِهِمُ المُتَّصِلِينَ ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [النمل: ٨]يَعْنِي مِنَ المُحِبِّينَ، وَالمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ [طه: ١٠] الإِشَارَةُ إِلَى تَرْكِ حَوَاسِّهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿ سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ [النمل: ٧] فَالقَبَسُ للمُصْطَلِمِ، وَالخَبَرُ لِمَنْ حَوْلَهَا، فَانْظُرْ إِلَى إِعْجَازِ الوَحْيِ الإِلَهِيِّ، وَالإِشَارَةِ إِلَى الأَنْفُسِ، وَأَحْوَالِهَا بِالأُمُورِ المَحْسُوسَةِ، فَسُبْحَانَ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ.

ثُمَّ اعْلَمْ وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ نُفُوسَنَا هِيَ بِالقُوَّةِ أَوَّلُ مَا يَحْصُلُ فِيهَا الأَوَائِلُ، وَيَنْتَقِلُ مِنْهَا إِلَى الثَّوَانِي، فَبِوَاسِطَةِ وُجُودِ نُفُوسِنَا وَمُكَمِّلِهَا وَمُخْرِجِهَا مِنَ القُوَّةِ إِلَى الفِعْلِ يَنْشَأُ مَا سَمَّاهُ الحُكَمَاءُ العَقْلَ الفَعَّالَ، وَيُسَمِّيهِ الشَّرْعُ رُوحَ القُدُسِ نِسْبَةً إِلَى عُقُولِنَا كَنِسْبَةِ الشَّمْسِ إِلَى أَبْصَارِنَا، وَهُوَ الرُّوحُ المُضَافُ إِلَى الحَقِّ فِي قَوْلِهِ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر: ٢٩]، وَهُوَ وَاسِطَةُ وُجُودِ العَالَمِ العُنْصُرِيِّ، وَهُوَ الَّذِي يَنْقُشُ نُفُوسَنَا بِالفَضَائِلِ إِذَا اتَّصَلَتْ بِهِ بِإِشَارَةِ قَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ ﴾ [العلق: ٣ – ٤]، وَالقَلَمُ

فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ قَلَمٌ ذَاتِيٌّ بِالفِعْلِ، نِسْبَةُ نُفُوسِنَا إِلَيْهِ نِسْبَةُ اللَّوْحِ إِلَى القَلَمِ، فَنُفُوسُنَا أَلْوَاحٌ مُجَرَّدَةٌ، وَهُوَ قَلَمٌ يَنْقُشُهَا بِالعُلُومِ وَالمَعَارِفِ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ سُلْطَانُهُ: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وَيَشْهَدُ أَيْضًا لِكَوْنِ التَّعْلِيمِ مِنَ القُدُسِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي حَقِّ نَبِيِّهِ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٥]، يُشِيرُ بِهِ إِلَى العَقْلِ الفَعَّالِ الَّذِي أَمَدَّهُ اللهُ بِالقُوَّةِ غَيْرِ المُتَنَاهِيَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل: ٦]، ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ٥]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ٣ – ٤]، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ الإِشَارَةُ إِلَى خُرُوجِ الإِنْسَانِ مِنَ القُوَّةِ إِلَى الفِعْلِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَيْضًا أَنَّ الرُّوحَ الَّتِي فِي الرَّأْسِ نُورَانِيٌّ؛ وَلِذَا إِذَا قَلَّتْ نُورَانِيَّتُهُ اضْطَرَبَتِ الحَيَاةُ، وَحَصَلَ نَحْوُ المَالِيخُولْيَا، فَأَوَّلُ عَلَاقَةِ النَّفْسِ مَعَ النُّورِ، وَأَوَّلُ رَفِيقٍ للحَيَاةِ النُّورُ؛ وَلِذَا تَرَى مَيْلَ الحَيَوَانَاتِ إِلَى النُّورِ، وَرُكُودَ الحَوَاسِّ وَهُدُوءَ الحَرَكَاتِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ النُّورَ الجِرْمِيَّ هَيْئَةٌ فِي الجِرْمِ، فَهُوَ ظُهُورٌ لِغَيْرِهِ وَنُورٌ لِغَيْرِهِ، وَلَوْ كَانَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ لَكَانَ نُورًا لِذَاتِهِ، فَالأَوَّلُ هُوَ نُورُ النُّورِ المُفِيضُ للحَيَاةِ وَنُورِيَّتِهَا، فَهُوَ ظَاهِرٌ لِذَاتِهِ، مُظْهِرٌ لِغَيْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، فَنُورِيَّةُ الأَنْوَارِ وَالنَّيِّرَاتِ ظِلٌّ لِنُورِهِ، قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، فَهُوَ الَّذِي يَكْسُوهَا البَهَاءَ وَالإِشْرَاقَ وَالنُّضْرَةَ، سُبْحَانَ مَنْ صَوَّرَهُ وَنَوَّرَهُ، وَفِي شَوْقِ جَلَالِهِ سَيَّرَهُ.

وَاعْلَمْ أَيْضًا أَنَّ النُّفُوسَ النَّاطِقَةَ وَالعُقُولَ وَإِنْ كَانَتْ تَشْتَرِكُ فِي كَوْنِهَا مُجَرَّدَةً وَغَيْرَ جِسْمِيَّةٍ، وَلَا تَنْقَسِمُ لَا فِي الوَهْمِ وَلَا فِي العَيْنِ؛ لأَنَّهَا بَرِيئَةٌ عَنِ المَقَادِيرِ، إِلَّا أَنَّ النُّفُوسَ تَتَصَرَّفُ فِي الأَجْسَامِ، وَالعُقُولَ لَا تَتَصَرَّفُ فِيهَا؛ إِذْ هِيَ جَوَاهِرُ مُجَرَّدَةٌ مِنْ كُلِّ الوُجُوهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾ [النازعات: ٥]؛ يَعْنِي الجَوَاهِرَ المُفَارِقَةَ المُدَبِّرَةَ للأَجْسَامِ، وَهِيَ النُّفُوسُ وَالعُقُولُ الفَعَّالَةُ[١]، هَذَا، وَقَالَ النوويُّ فِي مَعْنَى الخَبَرِ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالضَّعْفِ، وَالافْتِقَارِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَالعُبُودِيَّةِ لَهُ عَرَفَ رَبَّهُ بِالقُدْرَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَالكَمَالِ المُطْلَقِ، وَالصِّفَاتِ العُلَى[٢].

وَقَالَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ بْنُ عَطَاءِ اللهِ فِي «لَطَائِفِ المِنَنِ» فِي مَعْنَاهُ: سَمِعْتُ شَيْخَنَا أَبَا العَبَّاسِ المُرْسِي يَقُولُ: فِي هَذَا الحَدِيثِ تَأْوِيلَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِذُلِّهَا وَعَجْزِهَا وَفَقْرِهَا، عَرَفَ اللهَ رَبَّهُ بِعِزِّهِ وَقُدْرَتِهِ وَغِنَاهُ، فَتَكُونُ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ أَوَّلًا، ثُمَّ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى مِنْ بَعْدُ.

وَثَانِيهِمَا: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهَ فَقَدْ دَلَّ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ عَرَفَ رَبَّهُ مِنْ قَبْلُ، فَالأَوَّلُ حَالُ السَّالِكِينَ، وَالثَّانِي حَالُ المَجْذُوبِينَ[٣].

وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ المَكِّيُّ فِي «قُوتِ القُلُوبِ»: مَعْنَى الخَبَرِ: إِذَا عَرَفْتَ صِفَاتِ نَفْسِكَ فِي مُعَامَلَةِ الخَلْقِ، وَأَنَّكَ تَكْرَهُ الاعْتِرَاضَ عَلَيْكَ فِي أَفْعَالِكَ، وَأَنْ يُعَابَ

---

(١) انظر: المواقف، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي، المحقق: عبد الرحمن عميرة ٢٣٣/١، الناشر: دار الجيل - لبنان – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

(٢) فتاوى النووي ص ٢٤٨.

(٣) لطائف المنن، ص ٤٦.

عَلَيْكَ مَا تَصْنَعُهُ عَرَفْتَ مِنْهَا صِفَاتِ خَالِقِكَ، وَأَنَّهُ يَكْرَهُ ذَلِكَ، فَارْضَ بِفِعْلِهِ، وَعَامِلْهُ بِمَا تُحِبُّ أَنْ تُعَامَلَ بِهِ(١).

وَقَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ: قَدْ ظَهَرَ لِي مِنْ سِرِّ هَذَا الحَدِيثِ مَا يَجِبُ كَشْفُهُ وَيُسْتَحْسَنُ وَصْفُهُ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَضَعَ هَذِهِ الرُّوحَ الرُّوحَانِيَّةَ فِي هَذِهِ الجُثَّةِ الجِسْمَانِيَّةِ لَطِيفَةً لَاهُوتِيَّةً مَوْضُوعَةً فِي كَثِيفَةٍ نَاسُوتِيَّةٍ دَالَّةٍ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَرَبَّانِيَّتِهِ، وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنْ عَشْرَةِ أَوْجُهٍ:

الأَوَّلُ: أَنَّ هَذَا الهَيْكَلَ الإِنْسَانِيَّ لَمَّا كَانَ مُفْتَقِرًا إِلَى مُدَبِّرٍ وَمُحَرِّكٍ، وَهَذِهِ الرُّوحُ مُدَبِّرَةٌ وَمُحَرِّكَةٌ لَهُ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا العَالَمَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُدَبِّرٍ وَمُحَرِّكٍ.

الثَّانِي: لَمَّا كَانَ مُدَبِّرُ الجَسَدِ وَاحِدًا، وَهُوَ الرُّوحُ عَلِمْنَا أَنَّ مُدَبِّرَ العَالَمِ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي تَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ، لَا جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء: ٤٢ - ٤٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

الثَّالِثُ: إِذَا كَانَ هَذَا الجَسَدُ لَا يَتَحَرَّكُ إِلَّا بِإِرَادَةِ الرُّوحِ وَتَحْرِيكِهَا عَلِمْنَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُرِيدٌ لِمَا هُوَ كَائِنٌ فِي كَوْنِهِ لَا يَتَحَرَّكُ مُتَحَرِّكٌ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَّا بِتَقْدِيرِهِ

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي ٦٨/٢،الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م.

وَإِرَادَتِهِ وَقَضَائِهِ.

الرَّابِعُ: لَمَّا كَانَ لَا يَتَحَرَّكُ مِنَ الجَسَدِ شَيْءٌ إِلَّا بِعِلْمِ الرُّوحِ وَشُعُورِهَا بِهِ لَا يَخْفَى عَلَيْهَا مِنْ حَرَكَاتِ الجَسَدِ وَسَكَنَاتِهِ شَيْءٌ عَلِمْنَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

الخَامِسُ: لَمَّا كَانَ هَذَا الجَسَدُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَى الرُّوحِ مِنْ شَيْءٍ، بَلْ هُوَ قَرِيبٌ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي الجَسَدِ، عَلِمْنَا أَنَّهُ تَعَالَى أَقْرَبُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ، لَا بِمَعْنَى قُرْبِ المَسَافَةِ؛ لأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْهُ.

السَّادِسُ: لَمَّا كَانَ الرُّوحُ مَوْجُودًا قَبْلَ وُجُودِ الجَسَدِ عَلِمْنَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَوْجُودٌ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَكُونُ مَوْجُودًا بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ مَا زَالَ، وَلَا يَزَالُ، وَتَقَدَّسَ عَنِ الزَّوَالِ.

السَّابِعُ: لَمَّا كَانَ الرُّوحُ فِي الجَسَدِ لَا يُعْلَمُ لَهُ كَيْفِيَّةٌ عَلِمْنَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَقَدَّسَ عَنِ الكَيْفِيَّةِ.

الثَّامِنُ: لَمَّا كَانَ الرُّوحُ فِي الجَسَدِ لَا يُعْلَمُ لَهُ أَيْنِيَّةٌ عَلِمْنَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الأَيْنِيَّةِ، فَلَا يُوصَفُ بِأَيْنٍ وَلَا كَيْفٍ، بَلِ الرُّوحُ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ الجَسَدِ مَا خَلَا مِنْهَا شَيْءٌ، فَكَذَلِكَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَوْجُودٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ مَا خَلَا مِنْهُ مَكَانٌ، وَتَنَزَّهَ عَنِ المَكَانِ وَالزَّمَانِ.

التَّاسِعُ: لَمَّا كَانَ الرُّوحُ فِي الجَسَدِ لَا يُدْرَكُ بِالبَصَرِ عَلِمْنَا أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُدْرَكُ بِالبَصَرِ وَلَا يُمَثَّلُ بِالصُّوَرِ وَالآثَارِ، وَلَا يُشَبَّهُ بِالشُّمُوسِ وَالأَقْمَارِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى: ١١].

العَاشِرُ: لَمَّا كَانَ الرُّوحُ لَا يُحَسُّ وَلَا يُمَسُّ عَلِمْنَا أَنَّ البَارِيَ مُنَزَّهٌ عَنِ الحِسِّ وَالمَسِّ، فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ، فَطُوبَى لِمَنْ عَرَفَ، وَبِتَقْصِيرِهِ اعْتَرَفَ.(١)

غَيْرَ أَنَّ قَوْلَ الشَّيْخِ عِزِّ الدِّينِ فِي الوَجْهِ السَّادِسِ: لَمَّا كَانَ الرُّوحُ مَوْجُودًا قَبْلَ وُجُودِ الجِسْمِ، رُبَّمَا يُقَالُ عَلَيْهِ: إِنَّ وُجُودَهَا قَبْلَ الجِسْمِ كَيْفَ يُتَصَوَّرُ؛ لأَنَّهَا إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُتَكَثِّرَةً، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مُتَّحِدَةً، أَمَّا الأَوَّلُ فَبَاطِلٌ؛ لأَنَّ التَّكَثُّرَ دُونَ مُمَيِّزٍ مُحَالٌ، وَلَا مُمَيِّزَ قَبْلَ الجِسْمِ، وَأَمَّا الثَّانِي وَهُوَ كَوْنُهَا مُتَّحِدَةً فَلَا يَصِحُّ أَيْضًا؛ لأَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي جَمِيعِ الأَجْسَامِ، فَيَكُونُ للجَمِيعِ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ؛ لأَنَّهُ حِينَئِذٍ كَانَ يَجِبُ أَنْ يُدْرِكَ جَمِيعُ النَّاسِ مَا أَدْرَكَ وَاحِدٌ، وَذَلِكَ غَيْرُ وَاقِعٍ، عَلَى أَنَّهَا لَا يَصِحُّ قِسْمَتُهَا بَعْدَ الوَحْدَةِ؛ لأَنَّ القِسْمَةَ مِنْ عَوَارِضِ الأَجْسَامِ، وَقَدْ قَامَ البُرْهَانُ عَلَى امْتِنَاعِ جِسْمِيَّتِهَا، وَالَّذِي قَالُوهُ فِي حَدِّهَا أَنَّهَا جَوْهَرٌ غَيْرُ جِسْمِيٍّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُدْرِكَ المَعْقُولَاتِ وَيَتَصَرَّفَ فِي الأَجْسَامِ، فَالنَّفْسُ إِذًا حَادِثَةٌ مَعَ البَدَنِ، وَهِيَ نُورٌ مِنْ أَنْوَارِ اللهِ القَائِمَةِ لَا فِي أَيْنٍ، فَسُبْحَانَ فَاعِلِ العَجَائِبِ، مُبْدِعِ الهُوِيَّاتِ، وَمُظْهِرِ الآيَاتِ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ، هَكَذَا أَوْرَدَ بَعْضُهُمْ مِمَّنْ يَذْهَبُ مَذْهَبَ تَحْكِيمِ العَقْلِ.

---

(١) هذه الأوجه العشرة نقلها الشيخ من رسالة الحافظ السيوطي القول الأشبه في حديث من عرف ربه، الحاوي للفتاوي ٢/٢٩٠.

وَالصَّوَابُ الرُّجُوعُ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الحَقِّ وَالعَدْلِ مِمَّنْ يَقِفُ عِنْدَ صَحِيحِ المَنْقُولِ بِمَا تَوَاتَرَ عَنْ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّ الأَرْوَاحَ خُلِقَتْ قَبْلَ الأَجْسَامِ بِأَلْفَيْ عَامٍ، فَمَا أَوْرَدَهُ السَّائِلُ فِي تَرْدِيدَاتِهِ النَّاشِئَةِ مِنْ وَاهِي تَشْكِيكَاتِهِ، لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ، وَلَا يُعَوَّلُ فِي شَيْءٍ عَلَيْهِ.

وَالحَاصِلُ أَنَّهَا خُلِقَتْ قَبْلَ الأَجْسَامِ مُتَعَدِّدَةً مُتَمَيِّزَةً عِنْدَ الحَكِيمِ، وَمَا أَوْرَدَهُ السَّائِلُ مِنْ عَدَمِ إِمْكَانِ تَمْيِيزِهَا، فَهُوَ بِالنِّسْبَةِ لِعَقْلِهِ القَاصِرِ عَنْ مَنَاطِهَا، هَذَا، وَفِي الحَدِيثِ تَفْسِيرٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّكَ تَعْرِفُ أَنَّ صِفَاتِ نَفْسِكَ عَلَى الضِّدِّ مِنْ صِفَاتِ رَبِّكَ، فَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالفَنَاءِ عَرَفَ رَبَّهُ بِالبَقَاءِ، وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالجَفَاءِ وَالخَطَأِ، عَرَفَ رَبَّهُ بِالوَفَاءِ وَالعَطَاءِ، وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ كَمَا هِيَ عَرَفَ رَبَّهُ كَمَا هُوَ، وَلَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى مَعْرِفَتِكَ إِيَّاهُ، كَمَا إِيَّاكَ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَكَ سَبِيلٌ إِلَى مَعْرِفَتِكَ إِيَّاهُ كَمَا إِيَّاهُ، فَكَأَنَّهُ فِي قَوْلِهِ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ، عَلَّقَ مُسْتَحِيلًا عَلَى مُسْتَحِيلٍ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ وَكَيْفِيَّتَهَا وَكَمِّيَّتَهَا وَأَيْنِيَّتَهَا، فَإِنَّكَ إِذَا كُنْتَ لَا تُطِيقُ أَنْ تَصِفَ نَفْسَكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ بِكَيْفِيَّةٍ وَأَيْنِيَّةٍ وَهَيْكَلِيَّةٍ وَسَجِيَّةٍ، وَلَا هِيَ بِمَرْئِيَّةٍ، فَكَيْفَ تُطِيقُ أَنْ تَصِفَ الرُّبُوبِيَّةَ بِكَيْفٍ وَأَيْنٍ، وَهُوَ مُقَدَّسٌ عَنِ الكَيْفِ وَالأَيْنِ.

وَيُؤَكِّدُ مَا ذُكِرَ قَوْلُ القونويِّ فِي شَرْحِ التَّعَرُّفِ: ذَكَرَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الحَدِيثِ أَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّعْلِيقِ بِمَا لَا يَكُونُ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْرِفَةَ النَّفْسِ قَدْ سَدَّ الشَّارِعُ بَابَهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، فَنَبَّهَ عَلَى أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا عَجَزَ عَنْ إِدْرَاكِ نَفْسِهِ الَّتِي هِيَ مِنْ جُمْلَةِ المَخْلُوقَاتِ، وَهِيَ أَقْرَبُ الأَشْيَاءِ إِلَيْهِ، فَهُوَ عَنْ مَعْرِفَةِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ، بَلْ هُوَ عَاجِزٌ عَنْ إِدْرَاكِ

حَوَاسِّهِ كَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَشَمِّهِ وَذَوْقِهِ وَكَلَامِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ لِلنَّاسِ فِي كُلٍّ مِنْهَا اخْتِلَافَاتٍ وَمَذَاهِبَ لَا يَحْصُلُ النَّاظِرُ فِيهَا عَلَى طَائِلٍ، فَإِذَا كَانَ الحَالُ عَلَى هَذَا المِنْوَالِ، فَكَيْفَ يَكُونُ الحَالُ فِي مَعْرِفَةِ الكَبِيرِ المُتَعَالِ، وَفِي ذَلِكَ المَعْنَى قِيلَ:

قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُول
قَصِّرِ القَوْلَ فَذَا شَرْحٌ يَطُول

هُوَ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ
ضُرِبَتْ وَاللهِ أَعْنَاقُ الفُحُول

أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِيَّاكَ وَلَا
تَدْرِي مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الوُصُول

لَا وَلَا تَدْرِي صِفَاتٍ رُكِّبَتْ
فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا العُقُول

أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا
هَلْ تَرَاهَا فَتَرَى كَيْفَ تَجُول؟

هَذِهِ الأَنْفَاسُ هَلْ تَحْصُرُهَا
لَا وَلَا تَدْرِي مَتَى مِنْكَ تَزُول

أَيْنَ مِنْكَ العَقْلُ وَالفَهْمُ إِذَا
غَلَبَ النَّوْمُ فَقُلْ لِي يَا جَهُول

أَنْتَ أَكْلُ الخُبْزِ لَا تَعْرِفُهُ
كَيْفَ يَجْرِي مِنْكَ أَمْ كَيْفَ تَبُول

فَــإِذَا كَانَــتْ طَوَايَــاكَ الَّــتِي
بَــيْنَ جَنْبَيْــكَ كَــذَا فِيهَــا جَهُــول

كَيْفَ تَــدْرِي مَنْ عَلَى العَرْشِ اسْــتَوَى
لَا تَقُــلْ كَيْفَ اسْــتَوَى كَيْفَ النُّزُول

كَيْــفَ تَجَــلَّى اللهُ أَمْ كَيْــفَ يُــرَى
فَلَعَمْـــرِي لَيْــسَ ذَا إِلَّا فُضُـــول

هُــوَ لَا كَيْــفَ وَلَا أَيْــنَ لَهُ
وَهْــوَ فِي كُلِّ النَّــوَاحِي لَا يَــزُول

جَــلَّ ذَاتًــا وَصِفَــاتٍ وَسَــمَا
فِي التَّعَــالِي قَــدْرُهُ عَمَّــا أَقُــول

فَأَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ العَمِيمِ أَنْ يُثَبِّتَ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِهِ القَوِيمِ، بِبَرَكَةِ نَبِيِّهِ السَّيِّدِ السَّنَدِ العَظِيمِ، وَأَنْ يَخْتِمَ لَنَا بِالحُسْنَى كَمَا اخْتَارَ لَنَا فِي المَبْدَأِ الدِّينَ الأَسِينَ(١)، وَأَدْعُوكَ اللَّهُمَّ يَا قَيُّومَ الوُجُودِ، وَمُنَزِّلَ البَرَكَاتِ، وَمُنْتَهى الرَّغَبَاتِ، وَنُورَ النُّورِ، وَمُدَبِّرَ الأُمُورِ أَنْ تُصَلِّيَ وَتُسَلِّمَ عَلَى سَيِّدِنَا وَرَسُولِنَا وَالمُخْتَارِ لَكَ مِنْ خَلْقِكَ، مَنْ جَعَلْتَهُ نُقْطَةَ دَائِرَةِ فَلَكِ سَمَاءِ السَّعَادَاتِ، وَتَاجَ عِزِّ ذَوِي النُّبُوَّاتِ وَالرِّسَالَاتِ، وَوَاسِطَةَ عِقْدِ أَهْلِ الخُصُوصِيَّاتِ، مُحَمَّدِكَ المَحْمُودِ فِي جَمِيعِ سَمَاوَاتِكَ، وَأَحْمَدُكَ فِي سَائِرِ بِقَاعِ أَرْضِكَ، وَعَلَى إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ، وَآلِ كُلٍّ، وَالصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، فَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِهِمْ وَبِآلِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ أَنْ تُؤَيِّدَنَا

(١) في حاشيته الأنوار الإلهامية: الأعلى.

بِنُورِكَ، وَأَنْ تُوَفِّقَنَا لِمَرْضَاتِكَ، وَأَنْ تُلْهِمَنَا رُشْدَكَ، وَأَنْ تُطَهِّرَنَا مِنْ رِجْسِ الظُّلُمَاتِ، وَأَنْ تُخَلِّصَنَا مِنَ الوَسْوَاسِ حَتَّى نَتَهَيَّأَ إِلَى مُشَاهَدَةِ أَنْوَارِكَ، وَشُمُولِ رِضْوَانِكَ، وَمُعَايَنَةِ أَضْوَائِكَ، وَمُجَاوَرَةِ تَقَرُّبِكَ، وَمُرَافَقَةِ سُكَّانِ مَلَكُوتِكَ، وَأَنْ تَحْشُرَنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ بِدُونِ سَابِقَةِ فِتْنَةٍ وَمِحْنَةٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَأَحْبَابِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَكَانَ الفَرَاغُ مِنْ تَحْرِيرِ هَذِهِ العُجَالَةِ يَوْمَ الأَحَدِ المُبَارَكَ المُوَافِقَ لاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ مِنْ شُهُورِ عَامِ ١٢٧٨ ثَمَانِيَةٍ وَسَبْعِينَ بَعْدَ المِائَتَيْنِ وَالأَلْفِ مِنْ هِجْرَةِ مَنْ لَهُ العِزُّ وَالشَّرَفُ عَلَى يَدِ جَامِعِهَا وَمُحَرِّرِ رُقُومِهَا بِقَلَمِهِ الفَقِيرِ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ القَدِيرِ مُصْطَفَى بْنِ مُحَمَّدٍ العَرُوسِيِّ الصَّغِيرِ غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ، وَسَتَرَ فِي الدَّارَيْنِ عُيُوبَهُ، وَرَحِمَ اللهُ وَالدَيْهِ، وَإِخْوَانَهُ المُسْلِمِينَ.

آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حَمْدًا لِمَنْ فَتَحَ لِقُلُوبِ مَنْ أَرَادَهُ بَابَ مَعْرِفَتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَكَشَفَ عَنْ عُقُولِهِمْ بَرَاقِعَ الحُجُبِ الظُّلْمَانِيَّةِ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى أَدْعِيَةٍ وَأَوْرَادٍ يَتَوَصَّلُونَ بِهَا إِلَى بَابِ حَضْرَتِهِ القُدْسِيَّةِ، وَقَرَّبَهُمْ إِلَيْهِ تَعَالَى فَشَاهَدُوا عَظِيمَ أَسْرَارِ ذَاتِهِ العَلِيَّةِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ذِي المَقَامَاتِ السَّنِيَّةِ، وَالطَّلْعَةِ البَهِيَّةِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ مِفْتَاحُ الحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَبَعْدُ:

فَيَقُولُ كَثِيرُ المَسَاوِئِ وَالأَوْزَارِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ مَعْتُوقِ العَطَّارِ: لَمَّا أَيْنَعَ زَهْرُ رِيَاضِ الحَقِيقَةِ، وَأَثْمَرَ وَفَاحَ شَذَاهُ عَلَى الوُجُودِ وَاسْتَكْثَرَ، وَفَّقَ اللهُ جَنَابَ الإِمَامِ الأَوْحَدِ الأَمْجَدِ السَّيِّدِ مُصْطَفَى العَرُوسِيِّ بْنِ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ لِشُرُوحِ نُبْذَةٍ مِنْ نُبَذِ أَرْبَابِ الإِشَارَاتِ، فَجَاءَتْ بِحَمْدِ اللهِ يَانِعَةَ النَّفْعِ، كَثِيرَةَ البَرَكَاتِ، وَسَمَّاهَا بِالنَّتَائِجِ الفِكْرِيَّةِ؛ لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ المَنَافِعِ، وَعَطِرَتِ الأَرْجَاءُ مِنْ شَذَا طِيبِهَا الفَائِقِ النَّافِعِ، وَهَامَ عِنْدَ تِلَاوَتِهَا قَلْبُ كُلِّ قَارِئٍ وَسَامِعٍ، وَأَضَاءَ نُورُهَا فَكَانَ بَيْنَ الثَّقَلَيْنِ سَاطِعَ لَامِعٍ، وَهَبَّ عَبِيرُ مِسْكِهَا عَلَى الكَوْنَيْنِ وَفَاحَ، وَطَلَعَ فَجْرُ بَدْرِهَا المُنِيرِ وَلَاحَ، وَلَمَّا جَنَى نَظَرِي مَا فِيهَا مِنَ الثَّمَرَاتِ، جَعَلْتُ أَقُولُ مُؤَرِّخًا بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ:

قَوْلُ النَّتَائِجِ مَرْفُوعٌ إِلَى الأُفُقِ
وَرِيحُهَا قَدْ عَلَا لِلجَوِّ وَالشَّفَقِ
فَإِنَّهَا نَفْحَةٌ بَانَتْ مَكَارِمُهَا
وَسِرُّهَا ظَاهِرٌ فِي سَائِرِ الطُّرُقِ

فَيَا لَهَا عَطْرَةٌ سَادَتْ طَرِيقَتَهَا
كَأَنَّهَا اللُّؤْلُؤُ المَنْظُومُ فِي العُنُقِ
مَنْ ضَلَّ عَنْهَا فَقَدْ ضَلَّتْ طَرِيقَتُهُ
وَعَاشَ أَعْمَى مُعَنًّى عَاجِزًا وَشَقِي
وَمَنْ تَمَسَّكَ فِي أَذْيَالِهَا فَلَهُ
عِزُّ البَقَاءِ وَيَبْقَى صَالِحًا وَتَقِي
للهِ دَرُّ الَّذِي أَنْشَا مَحَاسِنَهَا
فَهْوَ العَرُوسِي إِمَامُ الحَضْرَتَيْنِ نَقِي
عَظِّمْ بِفَضْلِكَ يَا رَحْمَانُ حُرْمَتَهُ
بِحَقِّ مَنْ جَاءَنَا بِالنَّاسِ وَالفَلَقِ
وَأَنِلْهُ يَا رَبَّنَا مَا كَانَ يَأْمُلُهُ
بِجَاهِ مَنْ لِلطِّبَاقِ السَّبْعِ مُخْتَرِقِ
لَمَّا زَهَى نُورُهَا أَرَّخْتُهُ بِيَدِي
قَوْلُ النَّتَائِجِ مَرْفُوعٌ إِلَى الأُفُقِ

النَّتَائِجُ الفِكْرِيَّة

فِي شَرْحِ بَعْضِ أَدْعِيَةِ سَيِّدِ الطَّائِفَةِ الشَّاذِلِيَة

مَعَ حَاشِيَةِ الأَنْوَارِ الإِلهَامِيَّة

فِي بَيَانِ مَعَانِي السَّادَةِ الشَّاذِلِيَّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَبِهِ ثِقَتِي وَعَلَيْهِ مُعْتَمَدِي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَبِهِ العَوْنُ

حمدًا لمَنْ شرَحَ صُدور العارفين، وأشرَقَ أنوارَ قُدُسه في قلوب الواصلين، وصلاةً وسلامًا على الفاتح لأبواب المَبرَّات، والخاتمِ لأنوار النُّبوَّات والرِّسالات، وعلى آله وأصحابه، والوارثين مِن المؤمنين والمؤمنات، وبعدُ:

فيقول الفقيرُ إلى الإحسان، الراجي مِن جُودِ رَبِّه الرَّحمةَ والرِّضوانَ: إنه لمَّا يسَّر الله لي شرحَ استغاثة إمام المرشدين، وقدوة الموحدين من العارفين، مَنْ بذِكْرِه تدوم أفراحي وأُنسي، سيِّدي وعُمْدتي أبي العبَّاس المُرْسِي، أردتُّ أن أحُلَّ ما صعُب مِن تراكيب شرحي؛ ليسهل على مَنْ شرب مِن شرابِ خمْرِ قَدَحي، وسمَّيتُه «**الأنوار الإلْهاميَّة في بيان معاني الإشارات الشَّاذليَّة**»، وعلى الله الكريمِ إعانتي، وعلى مَن اطَّلَعَ تقديم قَبولِ معذرتي، حيث إنِّي مُتطفِّل على مِثْل هذا المجال، بعيدٌ عن بلوغ مقام الأبطال مِن الرجال.

قال المؤلِّفُ: «بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ»... إلخ.

ابتدَأَ بها اقتداءً بالكتاب العزيز، وعملًا بالسُّنَّة المطهَّرة، والابتداءُ في الاصطلاح العُرْفيِّ: يُطلَق على الواقع قَبْلَ المقصود[1]، فيتناول كُلا مِن البسملة والحمدلة، وهو

---

(١) انظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ص٧، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

....

في الحقيقة اللُّغويَّة: ما لم يتقدَّمْه شيءٌ[١]، وفي اصطلاح النَّحْويِّين: تَعْرِيَةُ الاسم مِن العوامل اللفظيَّة للإسناد، نحو: زيدٌ مُنطلق، وهذا هو العامِل في الجزئين، ويُسمَّى الأوَّلُ مُبتدأً، ومُسندًا إليه، ومُحَدَّثًا عنه، والثَّاني خبرًا، ومُسندًا، وحَدِيثًا[٢]، والإسنادُ في عُرْفهم: ضَمُّ إحدَى الكلمتين إلى الأخرى على وجهِ الإفادة التامة[٣]، وفي اللُّغة: إضافةُ الشَّيء إلى الشيء[٤]، والإسنادُ الخبري: ضَمُّ كلمةٍ أو ما يجري مجراها إلى أخرى بحيث يفيد أنَّ مفهومَ إحداهما ثابتٌ لمفهوم الأخرى، أو منفيٌّ عنه، وصِدْقُه مطابقتُه للواقع، وكَذِبُه عَدَمُها، وقيل: صِدْقُه مطابقتُه للاعتقاد، وكَذِبُه عَدَمُها[٥].

والاسمُ ما دلَّ على معنًى في نفسه، ولم يقترن بأحد الأزمنة الثَّلاثة، وهو ينقسم إلى: اسمِ عَيْنٍ، وهو الدالُّ على معنًى يقومُ بالذات كزيد، وإلى اسمِ معنًى، وهو ما يَقومُ

(١) انظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ٢١٢/١، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

(٢) التعريفات، ص:٧، وانظر: شرح التسهيل، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، ٢٦٧/١، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

(٣) التعريفات، ص ٢٣، ومعنى الإفادة التامة؛ أي على وجه يحسن السكوت عليه.

(٤) التعريفات، ص ٢٣، وانظر: مقاييس اللغة، ١٠٥/٣.

(٥) المرجع السابق، وانظر: الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ٢٢٤/١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

....

بذاته، سواء كان معناه وُجوديًّا أو عدَميًّا، كالعِلم والجهل[١].

والله: هو الاسم الأعظم؛ لجَمْعِه الأسماءَ والصِّفاتِ لدوَرانها عليه، وهو لا يدور عليها، وهو دالٌّ على الذات المقدَّسة المُسمَّاة بجميع الأسماء، وتُطلَق الحقيقةُ الإلهيَّة على حضْرة الذات مع جميع الأسماء، فهو اسم للذات الإلهية المطلقة، ومعلومٌ أنَّ المُتمكِّن مِن الأسماء ما تغيَّر آخرُه بتغيُّر العوامل في أوَّلِه، ولم يشابهِ الحرفَ، وقيل: هو الذي لم يشابهِ الحرف ولا الفِعْلَ، وقيل: هو ما يجري عليه الإعرابُ، وغيرَ المُتمكِّنِ منها ما لا يجري عليه الإعرابُ[٢].

«والرَّحمن والرَّحيم» صفتانِ له تعالى دَالَّتانِ على الرحمة المُرادِ منها الإحسانُ أو إرادتُه، نَعَمْ يَفتَرِقانِ بدقائق النِّعَم وعَظائمها[٣].

واعلمْ أنَّ باء البسملة للاستعانة، أو المُصاحَبة، مُتعلِّقةٌ بمحذوف، والأَوْلى

(١) التعريفات للجرجاني، ص٢٣، وانظر: كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي الفاروقي الحنفي التهانوي، ١٢١٧/٢، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

(٢) التعريفات، ص٢٥، ولمعرفة الاسم المتمكن وأنواعه، ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، ٣٧/١، دار المعارف.الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

(٣) الشيخ يقصد أنهما اسمان يشتملان على صفتين، انظر: الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، ٦٣٢/١، ضبط نصه: عبد الله التوراتي، خرج أحاديثه ووثق نقوله: أحمد عروبي، الناشر: دار الحديث الكنانية.

....

تقديره فِعْلًا خاصًّا مُؤخَّرًا؛ لِمَا هو مشهور.

وقيل: إنها للتَّعدية صِلَةً للحمد؛ لأنَّ الله تعالى إنَّما يُحمَد بأسمائه.

واعتُرِض: بأنَّ فيما ذُكِرَ عَمَلَ المصدرِ مُؤخَّرًا، والجمهورُ على مَنْعه، وأنت خبير بأنَّه مع اغْتِفار ذلك في الظروف سَدِيدٌ مَعْنًى[1]، مع ما فيه مِن دفْع ما يترآى مِن التعارُض بين حديثَي البسملة والحمدلة؛ لأنَّ البدء المطلوبَ في الحديثين حينئذ واحدٌ، كما يُدْرَك بالتَّدبُّر.

و«الله» علَمٌ على الذات الجامعة للأسماء والصفات، فذكر الرحمن الرحيم بعدُ مِن التصريح باللَّازم، خَصًّا بالذكر للإشعار بسَبْق الرحمة، والمرادُ بهما المحسنُ بجلائل النِّعَم أو دقائقِها، أو مُرِيدُ ذلك مجازًا مرسلًا عن العَطُوف الرقيقِ القَلْب، أو كنايةٌ عمَّا ذُكِرَ، وأمَّا تقرير المُصرَّحة أو التمثيلية فيهما فهو مما لا ينبغي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

وقولنا: مجازًا مُرسلًا؛ نعني به التَّبَعيَّ لجرَيان التجوُّز في المشتقّ بعدَ جرَيانه في المصدر.

---

(١) في معنى الباء وما يتعلق بها، انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي= الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفسْيرِ البَيضَاوي، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، ٣٢/١، دار النشر: دار صادر – بيروت.

الحَمدُ للهِ الَّذِي فَتَحَ لِقُلُوبِ مَنْ وَفَقَّهُ مُغْلَقَ المُعْضِلَاتِ، وَشَرَحَ صُدُورَ مَنْ أَرَادَ قُرْبَهُ لِحَلِّ المُشْكِلَاتِ ...

أمَّا استعمال الرَّحمة في الإنعام أو إرادتِه، فمجازٌ مرسل أصليّ كما لا يخفى، ومعلوم أنَّ استعمال الباء في البسملة للاستعانة، أو المصاحبة استعمالُها في حقيقتها اللغوية، وكذا الاسمُ؛ لأنه ما دلَّ على مسمى، وهو الله تعالى، وهو مُفردٌ مُضافٌ فيعُمُّ، وكذا لفظُ الجلالة؛ لاستعماله في الذات الواجبةِ الوجود.

قوله: «**الحمد لله**» ... إلخ، قد يُؤثِر بعضُ المؤلفين مِن صِيَغ الحمد قولَه: الحمد لله؛ للإشارة إلى حصْر المحامد واختصاصِها به تعالى بدَلالة» لـامَي التَّعريفِ»، والاختصاص على ما ذكَرَه صاحبُ الكشَّاف[1]، ولا يخفى أن هذا الحصر ادعائيٌّ لا حقيقيّ[2]، إذِ المحامد الراجعة إلى العباد على أفعالهم الحسنة وإن كانت راجعةً إليه تعالى خَلقًا وإقدارًا أو تمكينًا، فهي راجعةٌ أيضًا إلى العباد كَسْبًا، نَعَمِ الراجعُ إليهم غيرُ مُعتَدٍّ به، فتكون كلُّ المحامد راجعةً إليه تعالى، ويُمكِنُ جعلُ الحصر حقيقيًّا بحمْل المحامد على الكامل منها، والأوَّلُ أَوْلى.

فإن قُلت: إنَّ الحمد ليس صفةَ كمالٍ حتَّى يكون إثباته له تعالى حمدًا إنَّما يحصُل لو قال: القادر، أو العالم، أو نحوهما.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم الزمخشري جار الله، ١٣/١، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

(٢) الحصر الحقيقي هو: أن يختص المحصور بالمحصور عليه كما هو في الواقع، نحو: **ما جاءني إلا زيد**، إذ لم يأتك إلا زيد حقيقةً، أما الحصر الادعائي فهو: أن يختص المحصور بالمحصور عليه إدعاءً، نحو: **ما تكلم إلا زيد**، إذا كان غيره قد تكلم، غير أنك لم تقم لكلام غيره وزنا.

....

قلتُ: ما ذكَر مِن مفهوم الحمد، وقد جعَل هذا المفهوم آلةً لملاحظة أفرادِه، وأثبَتَها لله تعالى، وهذا أبلغُ مِن الإتيان بالأفراد ملحوظةً بخصوصها؛ إذ لا يمكِن الإتيانُ بالجميع لهذا الوجه، والإتيانُ بالبعضِ يفوِّتُ الإتيانَ بالباقي، بخِلاف ما ذَكَر؛ فإنَّه إتيانٌ بالجميع، فتأملْ.

قوله: «**الحمد لله**» ... إلخ، يُقالُ فيه لغةً: حَمِدتُّه على شجاعته وإحسانه حمدًا: أثنيتُ عليه، ومنه كان الحمدُ غيرَ الشُّكر؛ لأنَّه يُستعمَل لصفةٍ في الشخص، وفيه معنَى التعجُّب، ويكون فيه معنَى التَّعظيمِ للممدوحِ وخضوعِ المادح، كقول المُبْتلَى: الحمد لله، إذ ليس هنا شيءٌ مِن نِعَم الدنيا، ويكونُ في مُقابلةِ إحسانٍ يَصِلُ إلى الحامِدِ أوَّلًا، وأمَّا الشُّكر فلا يكون إلا في مُقابلةِ الصَّنيع، فلا يُقال: شَكَرتُه على شجاعته، وأحْمَدْتُّهُ بالألِفِ وجدتُّه مَحمودًا، وفي الحديث: «سُبحانَكَ اللّٰهُمَّ وَبِحَمْدِكَ»[1] تقديرُه: سُبْحانَك اللّٰهُمَّ، والحمدُ لك، ويَقرُب منه ما قيل في قولِه تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾[البقرة: ٣٠]: أي نسبِّحُ حامدينَ لك، أو: «والحمدُ لك»، وقيل: التقديرُ: وبحمدك نزَّهْتك وأَثْنَيتُ عليك، فلك النِّعمةُ والمِنَّة على ذلك، وقيل: التقدير: سُبحانك اللّٰهُمَّ بجميع صفاتِك، وبِحَمدِك سبَّحْتك، وقيل: التقدير والمعنى: سبحانك اللّٰهُمَّ وبذِكْرك، وعلى هذا فالواوُ زائدةٌ كزيادتها في: رَبَّنا ولك الحمدُ، والمعنى: بذكْرك الواجبِ لك مِن التحميد والتعظيم؛ ولأنَّ الحمد ذِكرٌ.

---

(١) هذه الصيغة وردت في العديد من الأحاديث، ولكن الأليق بهذا المقام: ما أخرجه أحمد في مسنده ٣٦٨٣ .

وقال الأزهريُّ[1]: سبحانك اللّٰهُمَّ وأبتدِئُ بحمدك، وإنما قدَّر فعلاً؛ لأنَّ الأصْل في العَمَل للأفعال، وفي: ربَّنا ولك الحمدُ دُعاءُ خُضوعٍ واعترافٍ بالرُّبوبيَّة، وفيه معنَى الثَّناءِ والتَّعظيم والتَّوحيد، وتزادُ الواو فيُقالُ: ولك الحمدُ.[2]

والمَحْمَدةُ بفتح الميم نقيضُ المَذَمَّة[3]، ونَصَّ ابن[4] السَّراج[5] وجماعةٌ على الكَسْر[6]، فتحصَّلَ أنَّ الحمد لله هو: الثَّناءُ عليه كما يليقُ بجلاله وجماله بتفرُّده في أُلوهيَّته، فيُحمَد لذاته وصفاته، وإنْ كان الحمدُ في مُقابلة نعمةٍ يكونُ مما يُثابُ عليه ثوابُ الواجبِ، فهو أفضلُ مِن الحمد مُطلقًا، فَتدبَّرْ.

قَوْلُه: «**الذي فَتَحَ**» ...إلخ، جملةُ الموصولِ وصلتِه صفةٌ للفظ الجلالة، ومِن المعلوم أنَّ تعليقَ الحكم بالمُشتَقِّ يُؤْذِنُ بالعِلِّيَّة لِمَا منه الاشتِقاقُ، فيصيرُ المعنى: الحمد لله؛

(١) هو: محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة، أبو منصور الهَرَوِي الأزهَرِي النَّحْوِي اللُّغَوي الشّافعي، ت: ٣٧٠هـ. تاريخ الإسلام ٣٢٥/٨. وكلامه الذي بالأعلى ذكره في كتابه: تهذيب اللغة ٢٥٢/٤، طبعة دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى.

(٢) نقل المصنف جميع ما سبق بتصرف يسير من المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس،١٤٩/١، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت .

(٣) تهذيب اللغة، ٢٥١/٤.

(٤) سقطت من المخطوط، وأثبتناها من المصباح.

(٥) هو: محمد بْن السِرَّيّ بن سَهل البغداديّ النَّحْويّ، أبو بكر ابن السرَّاج، ت: ٣١٦هـ. تاريخ الإسلام ٣١٣/٧.

(٦) المصباح المنير ١٤٩/١.

....

لأجْل الفتح المذكور، والفتحُ حُصُول ما لم يتوقَّعْ حصولُه، والفتحُ مصدر فَتَحَ، يُقال: فتحتُ الباب فَتْحًا خِلافَ أغْلَقتُه، وفتحْتُه فانفتحَ، وفرَّجته فانفرج، وفتحْتُ القناةَ فجَّرتُها ليجريَ الماء فيَسْقي الزَّرع، وفَتَحَ الحاكمُ بين الناس: قضَى، وفتَّاحٌ: مبالغةٌ، وفتَح السُّلطان البلاد: غَلَب عليها قهرًا[١]، والمرادُ به هنا هو المعنى الأوَّل.

قوله: «**لِقُلُوبِ مَنْ وَفَّقه...إلخ**»، المُرادُ بالقلوبِ العقولُ، لا الجسم الصَّنَوْبَرِيُّ الشَّكلِ، فهو مِن إطلاق المحلِّ وإرادة الحالِّ على طريق المجاز المرسل، ومَنْ بمعنَى شخصٍ.

والتوفيقُ: خَلْقُ قُدرةِ الطَّاعةِ فيه[٢]، فالمعنى: الثَّناءُ لله الذي فتحَ للشخص الذي هيَّأهُ لطاعته وأوْجَدَ قُوَّتَها فيه.

قَلْبُه: يعني عقلَه بإشراقِ أنوارِ التَّبصُّر والعِلم والقهر.

وقوله: «**مُغْلَقَ المُعضِلات**»، مِن إضافة الصفة إلى الموصوف، يعني ما أشْكَلَ مِن المسائل، وصعُب إدراكُ معانيها على النَّفس بأنْ سهَّلَ لها سبيلَ الإدراك ويسَّرَه لها، يُقال: أعْضلَ الأمرُ بالألف اشْتَدَّ، وفي المقام مجازٌ بالاستعارة التي لا يخفى إجراؤُها

(١) المصباح المنير ٢/٤٦١.

(٢) انظر: الإسعاد في شرح الإرشاد، عبد العزيز بن إبراهيم الشهير بابن بزيزة، تحقيق: د عبد الرازق بسرور، د عماد السهيلي، ص ٤٦٥، دار الضياء للتوزيع والنشر- الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م، وإشارات المرام من عبارات الإمام، القاضي كمال الدين البياضي، ص١٩٩، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الاولى - ٢٠٠٧ م.

على مَنْ له إلمامٌ بفَنِّ البَيان.

قوله: «**وشَرَح صُدورَ**» إلخ، الشَّرْحُ لذلك بمعنى وسَّعَه لقَبول الحقِّ، كما يُقال في قولِه تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾[الزمر: ٢٢] ، والإرادةُ: صِفةٌ تُخصِّص المُمكنَ ببعضِ ما يَجوز عليه[١]، والصُّدور المُرادُ بها القلوبُ مجَازًا مُرسلاً مِن إطلاقِ المحلِّ وإرادة الحالِّ فيه، و «**مَنْ**»: بمعنى إنسانٍ، ووفَّقَه: خَلَقَ قُدرةَ طاعتِه فيه، كما قدَّمْناه.

وقربُ العَبْد مِن مولاه قُربٌ معنويٌّ يتحقَّقُ مِن دوام العبد على عمَلِ الطَّاعات، والبُعد عن طُرُق المَزلَّات، يعني أماطَ عن قلبِه ظُلُماتِ الجَهالة، وأشرَقَ فيه أنوارَ المعرفةِ حتَّى تهيَّأَ بذلك إلى توضيحِ وبيانِ ما أشكلَ معناه، والمرادُ بالقَلْبِ العقلُ، كما قدَّمْناه، وَهُوَ جوهرٌ مُجرَّدٌ عن المادَّة في ذاتِه مُقارنٌ لها في فعْله، وهو النَّفْسُ النَّاطقةُ المُشارُ إليها مِن كلّ أحَدٍ بقوله: «أنا»، وقيل: هو نورٌ في القَلْب يُفرِّق به بين الحقِّ والباطل، وقيل غيرُ ذلك[٢].

قوله: «**لحل المُشكلاتِ**»، يُقال: حللْتُ العَقْد حلًّا، مِن باب قَتَلَ، واسمُ الفاعل حَالٌّ، والمُشكلات جمعُ مشكلة، وهي ما الْتبسَ مِن المسائل وخفيَ المرادُ منها، يُقال

(١) انظر: تحفة المريد على جوهرة التوحيد، إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي الباجوري، حققه وشرح غريب ألفاظه: أد. علي جمعة محمد الشافعي ص١٢٣، مطبعة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠٢ م.

(٢) التعريفات، ص١٥١.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الهَادِي مِنَ الضَّلَالَاتِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنِاتِ ...

لغةً: أشكَلَ الأمرُ: الْتبسَ(١).

قوله: «و**الصَّلاةُ والسلامُ**»... إلخ، قيل: أصلُ الصَّلاةِ في اللُّغة: الدعاءُ، كقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]: أيِ ادعُ لهم، ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] :أي دُعاءً، ثم سمَّى بها أفعالَ الصلاة؛ لاشتمالها على الدعاء، وهل سبيلُه النقلُ حتَّى تكون الصلاةُ حقيقيةً شرعية في هذه الأفعال، مجازًا لغويًا في الدُّعاء؛ لأنَّ النقلَ في اللغات كالنسخ في الأحكام، أو يُقال: استعمالُ اللفظ في المنقول إليه مجازٌ راجح، وفي المنقول عنه حقيقةٌ مرجوحة؟ فيه خلافٌ بين أهل الأصول.

وقيل: الصلاةُ في اللُّغة مُشترِكة بين الدعاء والتعظيم، والرحمة والبركة، ومنه الصلاةُ هنا(٢)، فلا يقالُ فيها بالاشتراك بين معنيَين، بل مفردٌ في كل واحد، وهو

---

(١) انظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي،

المحقق: يوسف الشيخ محمد ص١٦٨، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٢) المصباح المنير ٣٤٦/١، وقد ذكر المناوي هنا فائدة عن الفخر الرازي: أن الصَّلاةَ عنْدَ المُعْتزلةِ من الأسماءِ الشَّرْعِيَّةِ، وعنْدَ أَصْحابِنا- أي أهل السنة والجماعة- مِن المَجازاتِ المَشْهورَةِ لغة مِن إطْلاقِ اسْم الجُزءِ على الكُلِّ، فلما كانت مُشْتملةً على الدُّعاءِ أُطْلِقَ اسْمُ الدُّعاءِ عليها مَجازًا؛ قالَ: فإن كانَ مراد المُعْتزلةِ من كَوْنها اسماً شَرْعيّاً هذا فهو حَقٌّ، وإن أَرادُوا أنَّ الشَّرْعَ ارْتَجَلَ هذه اللَّفْظَةَ فذلك يُنافِيهِ قوْلُه تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[يوسف:٢]. التوقيف على مهمات التعريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ص: ٢١٨، الناشر: عالم الكتب-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

....

التعظيم، فالمعنى هنا الرحمةُ والأمان اللَّائِقانِ بذاته الشريفة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالجملة خبريةٌ لفظًا، إنشائيةٌ معنًى كما لا يخفى.

«**والسَّلامُ**» السَّلامَةُ مِنَ الآفاتِ، يُقَالُ: سَلِمَ المُسافِرُ -يسلَم من باب تعب- سلامةً خلَص مِن الآفات فهو سالم، وسلَّمه الله بالتثقيل في التعدية خلَّصه من المخاوف وأمَّنه[١]، فتأملْ.

قوله: «**على سيِّدنا**»، مِن سادَ إذا تقدَّم، فالمعنى: والصلاة والسلام على المُقدَّم علينا، بل على كل مُقدَّم منّا ومِن غيرنا، وَعَطْفُ المولى للتفسير.

قوله: «**محمَّد**»، بدلٌ مِن سيِّدنا، وهو علَمٌ على ذاته الشّريفة كأحمد، ومُحمدٍ منقولٌ من صفة الحمد، وهو محمود مع ما فيه مِن المبالغة؛ لأنه الذي حُمد مرَّة بعد مرّة إلى غير نهاية، أو هو الذي تكاملتْ فيه الخصالُ المحمودة، وأما أحمدُ فهو منقول مِن صفة أفعلَ المُنبِّئةِ عن الانتهاء إلى غايةٍ ليس وراءها نهاية، فمعناه: أحمدُ الحامدين؛ لما في الصحيح مِن أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفتَح عليه في المقام المحمود بمحامدَ لم يُفتح

---

(١) انظر: العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ٧/٢٦٥، الناشر: دار ومكتبة الهلال، والمصباح المنير١/٢٨٦، والزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، ١/٦٤، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢.

....

بها على أحد قبلَه[١]، فهو أكثرهم حمدًا بمعنى فاعل، وقيل: مفعول، أي محمود؛ يعني أنه أحقُّ الناس أن يُحمَد، فيكون حينئذ كمُحمَّد، نعم قد يفرَّق بأنَّ مُحمدًا هو الكثيرُ الخصالِ التي يُحمَد عليها، وأحمدُ هو الذي يُحمد أكثرَ مما يُحمَد غيرُه، فمحمد في الكثرة والكَمِّيَّة، وأحمد في الصفة والكيفيَّة، فيستحقّ مِن الحمد أكثرَ مما يستحقُّه غيرُه، فالاسمان واقعان على المفعول، وبالجملة فأسماؤه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كأسمائه تعالى أعلامٌ دالّة على معانٍ، هي أوصافُ مدحٍ، وإن كانت في حق غيرِه أعلامًا محضة، كما قاله ابن القيم[٢].

واعلم أن الغزالي قد حكى الاتفاقَ وأقرَّه غيرُه على منع تسميته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ باسمٍ لم يُسمِّه به أبوه، ولا سَمَّى به نفسَه، وإن دلَّ على صفة كمال؛ لأنه ربما وُصِفَ بما لا يليق إلا بالله تعالى، وهو لا يجوز[٣].

قوله: «**الهادي مِن الضلالات**»، الهُدَى: البيانُ، واهتدَى إلى الطريق: تبيَّنَه، يقال: هديتُه الطريق أَهدِيه هِدايةً دللتُه وبيَّنته له، وهي لغة الحجاز، ولغةُ غيرِهم

(١) أخرجه البخاري ، ح: ٤٧١٢، ومسلم، ح:٣٢٧(١٩٤).

(٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، محمد بن أبي بكر بن أيوب الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، ص:٥٤، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

(٣) ذكره عن الغزالي الشيخ الزرقاني في شرحه على الموطأ ٦٩٨/٤، والمؤلف في هذا المبحث ينقل عنه باللفظ.

....

يتعدَّى بالحرف فيقال: هديتُه إلى الطريق وللطريق، وهداه اللهُ إلى الإيمان هُدًى[١]، والهُدَى: البَيانُ كما قدَّمناه.

والضَّلال: الزَّللُ، يُقال: ضلَّ الرجلُ الطريقَ وضلَّ عنه يَضِلُّ مِن باب ضَرَبَ ضَلَالًا وضلالةً: زَلَّ عنه ولم يهتدِ إليه فهو ضالٌّ، هذه هي لغةُ نجدٍ، وهي الفُصحى، وبها جاء القرآن في قوله: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ [سبأ: ٥٠]، وفي لُغةٍ مِن باب تَعِبَ، فتحصَّل أن الضلال مقابل للهدى[٢].

قوله: «**الهادي مِن الضلالات**»، أيِ المُنقذِ منها بالإرشاد إلى الإيمان والطريق المستقيم.

قوله: «**وعلى آله**»... إلخ، المُرادُ بهم في مقام الدعاء جميعُ المؤمنين والمؤمنات، وإلا فَهُم بنو هاشم وبنو المُطَّلب فِي الزكاة، وآلُ الرجل: أقاربُه الأدنَوْن، ويُطلَقُ الأهلُ على الزوجة، وأهلِ البيت، والأصل فيه القرابةُ، وقد أُطلِق على الأتْباع، والجمع أهلون، وربما قيل: الأهالي.

قوله: «**وأصحابه**»، يقال: صَحِبته أصحَبه صُحبةً فأنا صاحب، والجمع صَحْب وأصحاب وصَحابة، والأصل في هذا الإطلاق لمَن حصل رؤيتُه ومجالسته، ووراء

---

(١) تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ٢٥٣٣/٦، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

(٢) المصباح المنير ٣٦٢/٢.

وَبعْدُ: فَيَقُولُ العَبْدُ المُفْتَقِرُ إِلَى رَبِّ البَرِيَّاتِ، مُصْطَفَى بْنُ مُحَمَّدٍ العَرُوسِيُّ المُشْتَهِرُ بِالتَّقْصِيرَاتِ ...

ذلك شروطٌ للأصوليين، ويُطلق مجازًا على مَن تمذْهبَ بمذهبٍ من مذاهب الأئمة، والمراد به هنا مَن اجتمعَ به ﷺ اجتماعًا مُتعارفًا في الدنيا، والله أعلم[(١)].

قوله: «**ومَن تبِعهم**»: أي تبعهم في الإيمان من أمة سيِّدنا محمدٍ ﷺ وإن لم يكونوا أتقياء؛ لأنه مقامُ دعاءٍ.

وقوله: «**من المؤمنين والمؤمنات**»: أي المُصدِّقين والمصدقات بما جاء به سيِّدُ السادات ﷺ.

قوله: «**وبعدُ**»، الكلامُ عليها أشهرُ مِن أن يُذكر[(٢)]، يُطلَب مِن فنِّه.

قوله: «**العَبْدُ**»: أيِ المُنقادُ الخاضع لربّه، يُقال: عبَدتُّ الله أعبُده عِبادةً،

---

(١) حرر الإمام العلائي هذه المسألة وذكر أقوال العلماء في تحرير معنى الصحبة، انظر: تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة، المؤلف: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، ص:٢٩، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

(٢) وبعد فصل خطاب، ينتقل بها من حديث إلى آخر، والواو فيها نائبة عن «أمَّا» بدليل الفاء في حيزها: أي الأصل: أما بعد فيقول، والأصل الأصيل: مهما يكن من شيء بعدُ، فيقول، على أن «يكن» تامة، و «من» زائدة، و«شيء» فاعلها، وما دام علق قوله بحصول أي شيء فإنه قائل لا محالة، فأفادت من هذا التوكيد، ولبعد أربع حالات: ثلاث منها معربة، والرابعة مبنية على الضم، على حذف المضاف، ونية تقدير معناه دون لفظه: أي بعد البسملة والحمدلة، أو بعد الذكر، أو بعد المذكور، لا يتعين لفظ بعينه، وإنما المعنى معبرا عنه بأي لفظ. وبعد: ظرف إما للمكان بالنظر إلى موقعه من النقش، وإما للزمان بالنظر إلى وقته من النطق. انظر : حاشية السجاعي على قطر الندى، ص: ٥، ط الحلبي.

....

والفاعلُ[١] عابِدٌ، والجمع عُبَّاد وعَبَدَة، مثل: كافر وكُفَّار وكَفَرَة، ثم استُعْمِل فيمن اتَّخذَ إلهًا غيرَ الله وتقرَّب إليه، كعابِد الوثَن ونحوه، وعَبَّادٌ بلفظ الفاعل للمُبالغة اسمُ رجلٍ، ومِنه عَبَّادانِ بصيغة التثنية اسمُ بلدٍ على بحر فارس بقُرب البصرة شرقًا منها بمَيْلَة إلى الجنوب، قيل فيها غيرُ ذلك[٢]، والعبد خلاف.. إلخ، وهو عَبْدٌ بين العَبدية والعُبُودة، واستُعمل له جموعٌ كثيرة، الأشهرُ منها أعبُد وعَبِيد وعُبَّاد[٣].

واعلم أن العبودية الكاملة لا تكون إلا إذا أسقَطَ العبدُ رؤيةَ التعبُّد في جنب مشاهدة المعبود الحقِّ، ولهذا قال بعض العارفين: «إذا استوفى العبدُ مقاماتِ العبودية كلَّها يَصير حُرًّا مِن تعَب العبودية»[٤]، فيتحقَّقُ بها دون عناء وكلفة، وذلك مقامُ الأنبياء والمرسلين والصِّدِّيقينَ مِن أتباعهم، وأقول: هو أعزُّ مِن الكِبْرِيت الأحمر، قال بعضهم شعرًا:

مـــا بَـــقِي فِي الإنْـــسِ حُـــرٌّ
لَا وَلَا فِي الجِـــنِّ حُـــر

---

(١) أي: واسم الفاعل، فثَمَّ مُضاف محذوف.

(٢) معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الرومي أبو عبد الله الحموي، ٧٤/٤، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثانية ١٩٩٥م.

(٣) انظر: العين ٤٨/٢، تهذيب اللغة ١٣٨/٢.

(٤) نسب القشيري هذه المقولة للحسين ابن منصور الحلاج. الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، ٣٧٢/٢، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

....

قَـــدْ مَـــضَى حُـــرُّ الفَـــرِي

قَـــينِ فحُلْـــوُ العيـــشِ مُـــر

قوله: «الفَقِيرُ»، هو مَن اشتدَّتْ حاجتُه إلى أمداد ربِّه في حال وجوده وما يَتْبعه مِن لوازمه، فهو فعيل بمعنى فاعل، يقال: فَقِرَ يَفْقَرُ من باب تعِب إذا قلَّ ماله.

قال ابن السَّرَّاج: ولم يقولوا: فقُرَ بالضم استغناءً عنه بافتقر، والفَقرُ بالفتح، والضُّمُّ لغةُ اسمٍ منه، ويُقال للمؤنث: فقيرة، وجمعها كالمذكر فُقَراء، ومثله سَفيهة وسُفَهاء، ولا ثالثَ لهما، ويُعدَّى بالهمزة فيقال: أفْقرتُه فافتقر، وفَقَرتِ الدَّاهيةُ الرّجُلَ فَقْرًا مِن باب قَتَلَ نزلتْ به، فهو فقير أيضًا فعيل بمعنى مفعول[1]، والمرادُ به هنا دائمُ الافتقارِ إلى مولاه في وجوده افتقارًا ذاتيًّا لا ينفكُّ دنيا وأخرى، والمفتقرُ دائمُ شدَّةِ الافتقار إلى إحسان ربِّه.

والفقيرُ في اصطلاح الصُّوفية: مَن لا يستغني إلا بالله، ورسمُه عدَمُ الأسبابِ كُلِّها[2].

قال ابن القَصَّار[3]: الفقر لَبِاسٌ يُوجِب الرضا إذا تحقَّقَ العبدُ بحقائقه، أقول:

(١) المصباح المنير ٢/٤٧٨.

(٢) انظر: لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ٣٨/٢، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه الصوفية أهل العرفان٢٧٦/١.

(٣) هو إبراهيم بن داود القصار أبو إسحاق الرقّي الزاهد، من جلة مشايخ الشام، عمَّرَ زمانًا

....

ويدلُّ على ذلك أنَّهُ قَدِمَ فقيرٌ على أبي الدَّقَّاق وعليه مسح وقَلَنْسُوَة فقال له بعضُ أصحابه: بكم اشتريتَ هذا المسح؟ على وجه المُطايَبة فقال: اشتريتُه بالدُّنيا، وَطُلِبَ مني بالأخرى فلم أبعْه.

قوله: «**إلى ربّ البَرِيّات**»، للرّبّ معانٍ: الأولى منها هنا: السّيِّد المالك، والبريّاتُ جمعُ بَريّة فَعِيلة بمعنى مفعولة، أي مخْلوقة له تعالى، يقال: برَأ الله الخليقةَ يبرَؤُها بفتحتينِ خلَقها، فهو البارِئ، وبَرِئ مِن المرض من بابي نَفَعَ وتَعِبَ، وبرُؤَ بُرءًا مِن باب قرُب لغة[1].

قوله: «**مُصطفى**»، علَمٌ على المؤلف، ومُحمَّد اسم أبيه، وأحمد اسم جَدّه، وقد ابتلى اللهُ الثلاثةَ بمشيخة العلماء بالأزهر، وكان أشدُّهم امتحانًا بها المُؤلفَ لهذه الورقات؛ لزيادة تغيُّر أحوال العلماء في زمن مَشْيَخته؛ لتهافُتِهم على حُبّ الدنيا وطَلَبِ الرِّياسة حتَّى كان ذلك مِن خُلُق صِغارِهم فضلًا عن الكِبار، فللهِ الحمدُ، وندومُ رافعينَ أكُفَّ الضَّراعة لله تعالى أن يُسلِّمنا مِن شرورهم؛ إنه جوَاد كريم، والعَرُوسي نسبةٌ إلى بلده في الأصل بإقليم المنوفية على البحر الغربيّ، قريبةٌ مِن أُشْمون جريس.

قوله: «**المُشتهرُ بالتّقصيرات**»، المُشتَهِرُ مَأخوذٌ مِنَ الشُّهرة، وهي الانتشار، يُقال لغةً: شهَرتُ زيدًا بكذا، وشهَّرته بالتشديد مبالغةٌ: أبرَزْته بين الناس بما نشَرته لهم

وصحب الكبار كالجنيد وأبو عبد الله بن الجلاء، توفي ٣٢٦ هـ، وكلامه في الرسالة القشيرية ٤٣٠/٢ .

(١) لسان العرب١/٢٧٣.

لَمَّا وَفَّقَنِي الحَقُّ لمُطَالَعَةِ بَعْضِ مَا ثَبَتَ مِنْ أَدْعِيَةِ أَرْبَابِ الإِشَارَاتِ ...

عنه، وأما أشْهَرته بالألف بمعنى شهَرته فغيرُ منقول، وشهَرت الحديث شَهْرًا وشُهرة أفشيته فاشتهر.[١] والقصورُ: العجزُ عن الشيء، يقال: «قصرت» عن الشيء «قُصورًا» من باب قعد: عجَزتُ عنه، والاقتصارُ: الإمساكُ عن الشيء مع القُدرة عليه.[٢]

قوله:«**لما وفَّقني الحق**»**... إلخ**، مقولٌ لقولِه «فيقول»، والتوفيق: خلق قُدر الطاعة في العبد، وقيل: العَرَض المقارنُ لها، والحَقُّ هو: الثابتُ وجودُه والعامُّ جوده.

قوله: «**لمُطالعة بعضِ ما ثبت.. إلخ**»، طَلَعَ بابُه قَعَدَ، يقال: طَلَعت الشمسُ عليه تطلُع، والمَطْلع بفتح اللام وكسرها، والمرادُ هنا الإشرافُ على الشيء والعلمُ به، و «ما» موصولةٌ، أو موصوفةٌ، وثَبَتَ بمعنى صحَّ نقلُه عن العارف المذكور، ويُقال على ما استقرَّ ودام، ويتعدَّى بالهمز والتضعيف فيقال: أثْبَته وثبَّته، والاسمُ منه الثَّبات.

قوله: **مِن أدْعِية**؛ بيانٌ لـ«ما»، وكان الأوْلى أن يعبِّر بـ«استغاثة» بدَلَ أدعية، والخَطْبُ سهلٌ؛ إذ لا تخرج عن الدعاء الذي هو الطلَب، وهو لا يصحُّ إلا إذا كان الطَّلَب من المولى الذي لا تنقضي خزائنُه ويَغْضب على مَن تَرَك سؤالَه.

قوله: «**أربابِ الإشارات**»: أيْ أصحابِها المُشتهرين بها، والإشاراتُ جمعُ إشارة، والمراد الرَّمزُ إلى الشيء رَمْزًا خَفيًّا ضَنًّا عن غير الأهلِ، يُشير إلى حقيقةٍ مِن حقائق

---

(١) المصباح المنير، ص: ١٧٠.

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٥٥٢٤/٨، مختار الصحاح، ص: ٢٥٤، والمصباح المنير، ص: ١٧٠.

وَكَانَ مِنْ أَجَلِّهِمُ الأُسْتَاذُ أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِيُّ، تِلْمِيذُ مُرَبِّي الأَوْلِيَاءِ، وَقُدْوَةِ الأَتْقِيَاءِ، أَبِي الحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ أَمَدَّنِي اللهُ وَإِخْوَانِي المُؤْمِنِينَ بَأَمْدَادِهِمْ ...

طريقِ الحقّ جلّ وعلا.[1]

قوله: «**أربابِ الإشارات**»، يعني أهلَها الذين يُشيرون إلى قُصَّادِهم ممَّن أراد الوصولَ على يَدِهم مِن المُريدِين، وهؤلاء هم أكابرُ العارفين مِمَّن شَرِب مِن بحر الحقائق، وذاق مِن خمْرِ مَن نالَ الرَّقائقَ بواسطة إلهامٍ ونفْث مَلَكٍ من ملائكة الرّبّ السَّلامِ.

قوله: «**وكان مِن أجلِّهم**»: أيْ مِن أعظمهم في طريق السُّلوك في سبيل مَلِك المُلوك.

قوله: «**الأستاذُ**»، يعني به الواسطةَ مِن مشايخ الطريق، وأبو العباس كُنيةُ الشّيخ، والمُرسِي لقبُه.

قوله: «**تلميذُ مربِّي الأولياء**»: أيِ الآخذُ عنه والوارثُ منه، وأكابر الأولياء العُظَماء فيهم، والأولياءُ جمعُ وَلِيٍّ فعيل بمعنى مفعولٍ أو بمعنى فاعلٍ[2]، وهو مَن تولّاه اللهُ أو قام بحقوق مَن اجتباه مولاه، والمُرَبِّي لهم هو من بلَّغَهم كمالَهم تدريجًا.

---

(١) راجع في هذا المعنى: موسوعة الكسنزان مادة «رمز» ص٤٦، وقد وضح القشيري والسراج الطوسي، والشيخ الشعراني سبب استخدام السادة الإشارة أو الرمز، وفي ذلك يقول أبو العباس ابن عطاء الله: ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه ولعزته علينا. الرسالة القشيرية ص ٢٢٩، اليواقيت والجواهر ١٩/١.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة ١٤١/٦.

وَعَمَّنِي وَإِيَّاهُمْ بِبَرَكَاتِ أَنْفَاسِهِمْ ...

قوله: «**وقدوة الأتقياء**»: أيْ مَنْ يقتدِي به أربابُ الكمالات مِن ذوي الكَرامات، والأَتْقياءُ جمعُ تَقِيٍّ، والمرادُ به هنا مَن اتَّقى المُحرَّماتِ والمكروهات، ودامَ على منهج المأمورات؛ إذِ المقامُ للمدح، وإلا فيكفي في تحقُّقِه مجرَّدُ الإيمان، وإن لم يُساعدْ على ما يلزم في عِبادة المَلِك الديان.

قوله: «**أبي الحسَن الشاذلي**»، كُنيةُ الأستاذ، وهو إمام السّادة الشّاذليّة[1] وتلميذُه المذكور أوَّلُ خليفةٍ له بعد انتقال الشيخ إلى جَنَّة الرضوان، الذي يشاهد فيها ربّه الرحيمَ الرحمن، ومناقبُ الأستاذ والتلميذِ لا تخفى على مُحبٍّ عزيز؛ لاشتهارها كالشمس في رابعة النهار، على ألْسِنة أرباب البصائر والاستبصار، فمن أرادها فليرجِعْ إلى مَظانِّها.

قولُه: «**أمدني الله إلخ**» جملةٌ دُعائية: أي زادني اللهُ ممّا زادهم مِن التّوفيق للأعمال والقَبول، وبابه قَتَلَ، والثلاثيُّ منه والرُّباعيُّ يُستعمل كلٌّ منهما لازمًا ومتعديًا فيُقال: مدّه وأمدَّه على ما ذكرناه.

قوله: «**وإخواني**»، المرادُ بهم الإخوانُ ولو في الدِّين فقط، و**المؤمنين** هم المُصدِّقون بالله وبما جاء على لسان رُسُلِه مِن الكتب وأحكام الشرائع.

قوله: «**وعمَّني وإيَّاهم**»: أي شمِلَني وإخواني المذكورين ببركاتِ أنْفاسهم، البَركاتُ

---

(١) هو: شيخ الطائفة الشاذلية، معدن الأسرار، ومظهر تجلي الحضرة المحمدية، الشريف علي بن عبد الله بن عبد الجبار، المتوفى سنة ٦٥٦هـ. انظر: تاريخ الإسلام ٨٢٩/١٤، حسن المحاضرة ٥٢٠/١.

وَرَأَيْتُ مِنْ حِزْبِهِ جُمْلَةً رُبَّمَا يَصْعُبُ عَلَى المُقَصِّرِ مِثْلِي فَهْمُهَا، وَيُشْكِلُ عَلَيْهِ أَمْرُهَا...

جمعُ برَكة، وهي النُّموُّ والزِّيادة[١]، والأنفاسُ جمعُ نفَسٍ بفتح الفاء، والمرادُ به ما يُتنفَّسُ به مِن الأذكار القَوْليّة والقَلْبية.

قوله: «**ورأيت**»: أيْ علمتُ مِن حِزْبه: أيِ الطائفةِ مِن أدْعيتِه وأوْرَادِه؛ إذِ الحزْبُ الوِرْدُ يَعتادُه الشَّخصُ مِن صلاة وقراءة وغيرِ ذلك، والحزْبُ يُطلَق على النَّصِيب أيضًا، وعلى الطَّائفة مِن الناس، والجمعُ أحزابٌ، وتحزَّبَ القومُ صاروا أحزابًا، ويومُ الأحزابِ يومُ الخنْدَق، وحزَبهم أمرٌ مِن باب قَتَلَ: أصابَهم[٢].

قوله: «**جُملةً**»: أي شيئًا مَجْموعًا مِن غير تفصيلٍ، يُقال لغةً: أجْملت الشيءَ إجمالًا جمَعْتُه مِن غير تفصيل[٣].

قوله: «**رُبَّما يصعُب**» إلخ، يعني قد يعسُر ويشتدّ ويشُقّ على مَن قصَّر في التعلم حالةَ كونِه مثلي يعني مُماثلًا لي في ذلك، والفَهم هو إدراكُ المرادِ مِن الشيء، وبابُ فَهِم تَعِبَ، وتسكينُ المصدرِ منه لغةٌ، وقيل: الساكن اسمٌ للمصدر، ويُعدَّى بالهمزة والتضعيف.

قوله: «**ويُشكل عليه أمرُها**»: أي يلتبسُ عليه الحالُ فيها؛ إذ الأمرُ الحالُ، والجمعُ

---

(١) لسان العرب ٣٩٥/١٠.

(٢) انظر: المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، أبو الحسن، المحقق: خليل إبراهم جفال، ٣٢١/١، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ١٩٩٦م.

(٣) مقاييس اللغة ٤١٨/١، والمصباح المنير ص٦١.

أَحْبَبْتُ أَنْ أَشْرَحَهَا بِفَتْحِ الفَتَّاحِ...

أمورٌ، ومنه: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧﴾ [هود: ٩٧].

قوله: «**أحبَبْت**» إلخ، قالوا: كُلّ ما كان على فعيلٍ مِن الصِّفات إن كان غيرَ مضاعفٍ، فبابُه فُعَلاء مِثل شريف وشُرَفاء، وإن كان مُضاعفًا فبابُه أفْعِلاء، مثل حبيب وطبيب وخليل(١)، وأحببتُ الشيءَ بالألف فأنا محب، واستحببْتُه مثلُه، وحَبَبْته أَحِبُّه مِن باب ضَرِب، والقياس أُحِبه بالضم، لكنه غيرُ مستعمَل، وحَبِبْتُه أَحَبُّه مِن باب تَعِب لغةٌ، وفيه لغةٌ لهُذَيل حاببته حِبابًا مِن باب قَاتَل، والحبُّ اسمٌ منه فهو محبوب وحبيب، والأُنْثى حبيبة وجمعُها حبائب، وجمعُ المذكَّر أحِبّاءُ، وكان القياس أن يكون جمعُه جمعَ شُرَفاء، ولكنه استُكره؛ لاجتماع المِثْلينِ، والحُبّ: ميلُ القلب إلى الشيء يفعلُه أو يتركُه(٢)، فالمعنى هنا: مالَ وانعطف إلى شرحِ هذه الاستغاثة.

قوله: «**أن أشرحها**» إلخ، أي أفسِّرَها وأبيِّن معانيَها وأُوضِحَها لمن أراد الوقوف على المقصود منها، يُقال لُغةً: شَرَحت الحديثَ شَرْحًا بمعنى فسَّرته وبيَّنته وأوْضَحت معناه.

قوله: «**بفتحِ الفَتَّاح**»، يُقال: فتَحت الباب فَتْحًا خِلافَ أغْلَقته وردَدْته، وفتَحته

---

(١) انظر: الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضَرْمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور، ص ٣٣٠، الناشر: مكتبة لبنان، الطبعة: الأولى ١٩٩٦، شرح المكودي على ألفية ابن مالك، : عبد الرحمن بن علي بن صالح ، أبو زيد المكودي، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، ص: ٣٣٢، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٥.

(٢) المصباح المنير ١١٧/١.

مُسْتَمِدًّا مِنَ النُّورِ الوَضَّاحِ...

فانفتح، وبابٌ مفتوحٌ خِلافُ المغلُوق، وفتحَ الحاكم بين الناس قضى، فهو فاتح، وفتَّاحٌ مُبالغة، والمرادُ إزالةُ الله الظُّلُماتِ عن القَلْب، وإفاضةُ أنوار المعارف عليه حتَّى يتهيَّأ ويستعِدَّ بالتوفيق الإلهي لتوضيح معاني هذه الاستِغاثة، والفَتَّاحُ اسمٌ مِن أسماء اللهِ تعالى، واللهُ أعلم.

قوله: «**مُسْتَمِدًّا**»: أيْ حالةَ كَوْني طالبَ الزِّيادةِ في توفيقي لِمَا قصدته من النُّور الوَضَّاح، النُّورُ هو الضَّوْءُ خلاف الظُّلمة، والجمعُ أنوار، وأنار الصُّبحُ إنارةً أضاء، ونوَّر تنويرًا، واستنار استِنارة، كُلُّها لازمة بمعنًى، ونَار الشيءُ يَنُور نِيارًا بالكسر، وبه سُمِّيَ: أضاءَ أيضًا فهو نيِّرٌ، وهذا يتعدَّى بالهمزة والتضعيف، ونوَّرت المِصباح تنويرًا أزْهرته[1].

هذا والمرادُ أنّ استِمداده إنما يكون بسبب قذْفِ نور الحق في قلْبه بتحلِيَته بعْد تخليته مِن ظُلمات الكُدورات حتى يتهيَّأَ لتوضيح معاني هذه الاستغاثة، كما قدَّمناه، وفي ذلك مِن المُؤلِّف التبرِّي مِن حوله وقُوّته، والاعترافُ بالعجز في ذاته، والبعدُ عن دعوى العلم إلا ما علَّمَه ربُّه، كما أشار إلى ذلك خبرُ: «لا أعلمُ إلا ما علَّمَني ربِّي»[2]، فدَرَجَ الشرحَ على الطريقة المُحمَّدية والعادةِ المُصطَفَوِيَّة.

---

(١) المصباح المنير ٦٢٩/٢.

(٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة١٤٦٨/٤، والبيهقي في دلائل النبوة ٢٩٥/٦.

وَمُعْتَمِدًا عَلَى بَرَكَاتِ سَادَاتِي ذَوِي الفَلَاحِ وَالصَّلَاحِ ...

قوله: «**ومُعتَمِدًا... إلخ**»، لمَّا تبرَّأَ مِن الحوْل والقوّة، وطَلَبَ المددَ من مولاه انعطفَ على العمل بالشريعة مِن الرجوع إلى الأسباب والوسائل، فقالَ: ومُعتمدًا، يعني مُستندًا، فالاعتمادُ هو الاستِناد، فتحصَّلَ أن التوسل فيما قصَده إنَّما يكونُ بواسطة بركاتِ ساداته المُتقدِّمين عليه في الأعمال وفي المقامات؛ إذْ لولا الواسطةُ لَمَا وصل المَوسوطُ.

قوله: «**على بركات ساداتي**»، البَرَكاتُ جمعُ برَكة، وهي النُّموّ والزِّيادة المُتحقِّقة لساداتي، يعني لِمَا لَهُ عليَّ سيادةٌ وتقدُّمٌ في الأحوال والمقامات وترقيهم بها إلى عَلِيِّ الدّرجات، حتَّى وصلوا إلى المُشاهدات والمكافحات بعد ما وَرَدَ عليهم مِن الإلهمات، وصدَرَ عنهم مِن خوارق العادات، فنسألُ اللهَ مِن جوده وكرَمِ وُجوده أن يمنحَنا مِن فضلهم، وأن يوفِّقنا لمتابعتهم، ولا يقطعَنا عن مواصلتهم، إن ربِّي على كل شيء قديرٌ.

قوله: «**ذوي الفلاح والصلاح**»، يعني أصحابَ الفَوْز بسابق الرِّضوان، والقائمين في سائر أزمانِهم على طاعةِ الرّحيم الرحمنِ؛ إذِ الفلاحُ الفوْزُ، ومنه: حيّ على الفلاح، يعني هَلُمُّوا إلى طريق النّجاة والفوْز، والصلاحُ مقابل الفسادِ وخلافُه، يُقال: صَلَحَ صُلُوحًا من باب قَعَدَ، وصَلَاحًا أيضًا، وصلُح بالضم لغةٌ، وصَلَح يصْلَح بفتحتين لغة ثالثة، فهو صالحٌ، وأصْلَحَ أتَى بِالصَّلاح وهو الخيرُ والصّواب[1]، والمراد به هنا: القائم بحقوق الربّ والعبدِ لِمَا لا يخفى.

---

(١) المصباح المنير ٣٥٤/١.

وَمُعَوِّلًا عَلَى مَكَارِمِهِمُ الَّتِي لَا تَخْفَى إِلَّا عَلَى أَعْمَى البَصِيرَةِ مِمَّنْ لَا عُدَّةَ لَهُ وَلَا سِلَاحَ ...

قوله: «**ومُعوِّلًا على مكارمهم**»، يعني مُعتمِدًا على مكارمهم، يُقال لغةً: عوّلت على الشيء تعْويلًا اعتمدتُ عليه وعوّلت به كذلك، والمكارمُ جمعُ مَكرُمة بضم الراء، اسمٌ مِن الكرَم، يقال: كرُم الشيء كرمًا نفُسَ وعزَّ فهو كريم، والجمع كِرام وكُرماء، والأنثى كريمةٌ وجمعُها كريمات وكَرَائِم، وكرائمُ الأموالِ نفائسُها(١)، والكرَمُ: إعطاءُ ما ينبغي لمَن ينبغي على وجهٍ ينْبغي.

قوله: «**التي لا تخفى**»: أي لا تستترُ؛ لظهورِها، وقوله: «**إلا على أعمى البصيرة**»، هي عينٌ في القلْب كالعين في الرأس، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج: ٤٦] ، وعينُ القلْب إذا عمِيتْ والعياذُ باللهِ فلا تُغني النُّذُرُ.

قوله: «**ممن لا عدة له**» إلخ، بيانٌ لأعمى البصيرة، والعُدَّةُ ما يُعدّ مِن المُهِمّات دُنيا وأُخرى، مَعاشًا ومَعادًا، وقوله: «**ولا سلاح**»، هو ما يعدُّه المرءُ يتحصَّنُ به من العدو من الأسْلحة، وهو مِن عطْف الخاصّ على العامّ دَعَا إليه السجعُ، أو عَطَفَه للأهميّة به، وفيه شيءٌ إلا أن يُراد به القوَّةُ.

---

(١) المصباح المنير ٢/٥٢٣.

وَقُوَّةُ الدَّاعِي نِسْبَتِي إِلَيْهِمْ وَحُسْبَانِي وَأُصُولِي عَلَيْهِمْ ... إِذْ عَهْدُنَا لِلسَّادَةِ الشَّاذِلِيَّةِ، وَطَرِيقَتُنَا لِلقَادَةِ الأَحْمَدِيَّةِ، وَسَمَّيْتُهَا: «**النَّتَائِجُ الفِكْرِيَّةُ ...**

قوله: «**وقوة الداعي**»: أي شدّة ما دعاني إلى شرْح هذه الاستغاثةِ، نِسْبتي إليهم: أي كوني مَنسوبًا لِطريق هؤلاء السَّادات الشاذليّة، وإن لم تصحّ لي النسبةُ إليهم على وجه الحقيقة لبُعدها عن مِثْلي، فحسبي الاتّهام بها، كما قال العارف ابن الفارض:

وإنْ لمْ أفُزْ حَقًّا إليكِ بِنِسبَةٍ

لعزَّتِها حَسْبي افْتِخارًا بتُهمتي

فافهم.

قوله: «**وحُسْباني وأصولي عليهم**»، أي عَدِّي وعَدُّ أصولي في جُملة مَن تبِعهم في طريقهم، ومشَى في سبيل ربِّي على منهجهم، فقوله: «**إذْ عهْدُنا ...** إلخ»، عطفُ عِلَّةٍ على معلول، والعهدُ الأمانُ والموثقُ والذِّمة، والمرادُ به هنا: مُعاقدةُ اللِّسان والقلبِ على السُّلوك في طريقهم عسى أن يُدرِك ذوقَ واردهم.

قوله: «**للسادة الشاذلية**»، تقدَّم الكلام عليه، وقوله: «**وطريقتنا**»؛ أي الطريق المعنويّ، وهو متابعتُهم في أفكارهم وَأَوْرَادِهم، والقادةُ هم القائدون مَن يقتدِي بهم ممّن تبِعهم حتَّى يُوصِّلوهم إلى رضوان ربّهم.

قوله: «**وسمّيتها النتائج الفكرية**»، الاسمُ ما دلّ على مسمى، وهمزتُه همزةُ وصلٍ، وأصله سِمْوٌ مثل حِمْل، أو قُفْل من السموّ وهو العلوّ، والدليلُ الردّ إلى أصله في التصغير وجمع التكسير، فيُقال: سُمَيٌّ وأسماء، وعليه فالناقصُ منه اللامُ ووزنه «افْع»، والهمزة عِوَض عنها، وهو القياس أيضًا؛ لأنهم لو عوَّضوا موضع المحذوف،

فِي شَرْحِ بَعْضِ أَدْعِيَةِ سَيِّدِ الطَّائِفَةِ الشَّاذِلِيَّةِ» أَعْنِي مَنْ طَابَ بِذِكْرِهِ أُنْسِي، سَيِّدِي وَقُدْوَتِي، أَبَا العَبَّاسِ المُرْسِي ...

لكان المحذوفُ أولى بالإثبات، وذهب الكوفيون، أعني بعضَهم إلى أن أصْله وسم مِن الوَسْم، وهو العلَامة، فحذِفت الواوُ، وهي فاء الكلمة وعوِّض عنها الهمزة، وعليه فوزنه: «اعْلٌ»، قالوا: وهذا ضعيف؛ لأنه لو كان كذلك لقِيل في التصغير: وُسَيْم، وفي الجمع أوْسَام[١]، وهذا والمُراد بقوله: «**وسمّيتها**»؛ جعلت لها اسمًا هو النتائج الفِكرية، والنتائجُ جمعُ نتيجة، وهي مما تولّد مِن الأفكار المُقدّسة عن ظُلمات الأوهامِ بواسطة إشْراق الأنوار القَلْبية، فافهمْ.

قوله: «**في شرح بعض أدعية... إلخ**» تقدَّم معنى الشرح، والأدعيةُ هي الأذكارُ والأورادُ والاستغاثات، وسيِّد الطائفة هو المُقدَّم على الجماعة الشاذلية، يعني المنسوبين إلى طريقة أبي الحسن الشاذلي، نفعنا اللهُ ببركاتِ أنْفاسه، وقوله: «**مَن طاب بذكره أُنسي**»، بذكره؛ يعني بتذكُّره، أُنسي: الأُنس ضدّ الوَحشة، يقال: أَنِس به أنسًا من باب علم، وفي لغةٍ مِن باب ضَرَبَ، والأنس بالضم اسم منه، والإنْسيُّ هو الذي يُستأنَس به، والأُنس بالشيء سكونُ القلب إليه، وقوله: «**سيِّدي وقدوتي... إلخ**»؛ أي المُقدّم عليَّ ومَن أقتدِي بآثاره السُّنِّيَّة وأتخلَّقُ بأخلاقه المحمديَّة، وقوله: «**أبا العباس المرسي**» كُنية ولقَبٌ للعارف نفَعنا الله بسِرّه، وأمدّنا مِن بِرّه.

---

(١) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، ٨/١، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

جَعَلَهَا اللهُ خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَسَبَبًا لانْدِرَاجِي فِيمَنْ عَمَّهُمْ كَرْمُ أَكْرَمِ الأَكْرَمِينَ؛ إِنَّهُ الجَوَادُ الرَّحِيمُ، وَنَصُّ عِبَارَتِهِ فِي حِزْبِهِ الوَارِدَةِ لَهُ مِنْ فَائِقِ شِرْبِهِ.

قوله: «**جعلها الله**» إلخ، جُملةٌ خبَرية أُريدَ بها الدعاء، والجعْل الصنْع أو التسْمِية، يقال لغة: جعَلت الشيء جعلًا صنَعته أو سمَّيته[١]، و«**خالِصة**» يعني سالِمَةً مما يمنعُ قَبولَها عند الله تعالى، والوجْهُ المرادُ به قصدت الذّات المتعالِية، والكريمُ المتفضِّل بالإحسان، وإن لم يكن عمل يُقابل به.

قوله: «**وسببًا لاندراجي...إلخ**»، السبب في الأصل الحَبْلُ، وهو ما يُتوصَّل به إلى الاستِعلاء، ثم استُعير لكُلّ شيء يتوصَّل به إلى أمْر من الأمور، والسببُ اصطلاحًا: ما يلزمُ مِن وجوده الوجودُ، ومِن عدَمه العدمُ لذاته[٢]، والاندراجُ الدُّخولُ في جملة مَن عمَّهم؛ أي شمِلهم، كرمُ أكْرَمِ الأكرمين: يعني جُودَه ورحمته وإحسانه، ويُطلَق الدرْج على الطيّ فيقال: أدرجت الثوب والكتاب بالألف طوَيته[٣]، والمَدْرَج يُطلَق على الطريق، وبعضهم يريدُ به المعترض أو المُنعطف، وجَمعُه المدارِج.

قوله: «**إنه الجواد الرحيم**»: المقصودُ بها التّعليلُ.

قوله: «**ونصّ عبارتِه في حِزبه**» إلخ، النصّ بمعنى المَنصوصِ: أيِ المنطوقِ به المؤلَّفِ بعِبارته الواردةِ له معانيها «**مِن فائق شربه**»: أي مِن واردات قلْبه التي فاقت

---

(١) المصباح المنير ١٠٢/١.

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، ٢٠٦/١، عام النشر: ١٤١٦هـ- ١٩٩٥ م.

(٣) الطرز الأول والكناز ٨٤/٤.

«إلَهِي، مَعْصِيَتُكَ نَادَتْنِي بِالطَّاعَةِ، وَطَاعَتُكَ نَادَتْنِي بِالمَعْصِيَةِ ...

وزادتْ عمّا وَرَدَ على قلْب غيرِه ممّن لم يصل إلى ذوْقه؛ لقصور هِمَّته وعدَمِ استعداده المماثلِ لاستعداد العارف، نفعنا الله ببركات معارِفه وعلومه، وتقدّم أن الحِزْبَ الوِرْدُ يَعْتَادُه الشخصُ مِن صلاة وقراءة وغير ذلك، ويُطلَق على النّصيب أيضًا.

قولُه: «**إلهي معصيتك نادتني بالطاعة**»؛ بيانُ المراد له مُجملًا من هذه العبارة: أن المعصية لها وصفانِ: ذاتيٌّ وعرَضيٌّ، القُبْح وصْفها الذاتيّ، والعرَضي الحُسن، والطاعة لها كذلك وصفانِ: ذاتيٌّ وهو الحُسن، وعرَضي وهو القُبح، فإذا عرَض وصفُ الطاعة الذاتيّ للمعصية على وجه العَرَض بأنْ ترتَّب على صدورها مِن العبد ذُلّ وانكِسارٌ ونوْمٌ مصحوب بعزْم وجزْمٍ على عدم العوْد خَطَرَ بذلك على قلْب العبد الذي قَبِل منه ما عرَض له مِن معصيته ممّا ذُكِرَ تذكُّرُه الطّاعة، فكأنها بصورة المعصية دعتْه إلى الطاعة حتى كأنه إنما فعَلَ الطاعة، وإذ عرَض للطاعة وصْفُ المعصية الذاتيُّ لها وهو القُبْح بأن ترتّب عليها لفاعلها رياءٌ عمَلي أو اعتمادٌ واستنادٌ، أو كِبْر، أو عُجب إلَى غير ذلك مِن موانع القَبول؛ خَطَرَ بذلك أيضًا على قلْبه أنّ صورتها الواقعة منه دعتْه وطلبتْ منه المعصيةُ، ولذلك كان كلٌّ مِن المعصية والطاعة لا يتحقَّق للعبد منهما خوفٌ ولا رجاء؛ لِمَا تقدَّم إيضاحُه من العارض لكلّ الذي يعسُر الاحتراسُ عنه، وقد أفاد مثلَ هذه الفائدة تلميذُ المؤلف، وهو ابن عطاء الله[1]، حيث قال: «رُبَّ معصيةٍ

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عَطَاء الله الإسكندري، الإمام المتكلم على طريقة الشاذلي، لسان القوم، والمعبر عن حقائقهم، ت: ٧٠٩هـ. انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ١/٢٤٢، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١/٣٢٤.

أورثتْ ذُلًّا وانكسارًا خيرٌ مِن طاعة أورثتْ عِزًّا واستكبارًا»[١]، فانظر تأثير بركة الأصل والفرع على أنّ الفرع قد سهَّل المرادَ بما قلَّ مِن عبارته وأفاد، فلله درُّ كلٍّ منهما، وتفضَّل علينا مما به أمدّهما، فتحصَّل مِن عبارة كُلٍّ[٢] أنّ المعصيةَ قد تكون خيرًا مِن الطاعة، وأنّ الطاعةَ قد تكون شرًّا مِن المعصية باعتبارِ ما يترتّب على كلٍّ منهما مما قدّمناه، واللهُ أعلم بمُراد أوليائه وأسرارِ أحبابِه.

قوله: «**نادتْني**»، النِّداءُ هو الدعاء، وكسرُ النون أكثرُ مِن ضمها، والمدُّ فيها أكثرُ مِن القصْر، وناديْته مُناداةً ونِداء مِن باب قاتَلَ إذا دعوْته.

قوله: «**نادتْني بالطَّاعةِ**»: أيْ دعتْني وطلبتْ مني فعْلَ الطاعة حين رجعتُ بها إلى الذُّلّ والانكسار والندَم والعزْم على عدم العوْد، ومعلومٌ أن معنى الطاعة هو الانقيادُ، يُقال: طاعَه طَوْعًا مِن باب قَالَ، وبعضُهم يُعدِّيه بالحرف فيقول: طَاعَ له، وفي لغةٍ مِن باب بَاعَ وخَافَ، والطاعةُ اسمٌ منه، والفاعلُ[٣] مِن الرباعي مُطِيعٌ، ومِن الثلاثي طائع وطيِّع[٤]، والمعصية ما خُولِف الأمرُ بفعلِه، يُقال: عصىَ العبدُ مولاه

(١) الحكم العطائية، الحكمة السادسة والتسعون، وفي المطبوع بحذف « رب»، وكذا في شرح الشيخ ابن عجيبة وشرح الشيخ الشرنوبي.

(٢) يقصد سيدي المرسي وابن عطاء الله.

(٣) أي وصْفُ فاعله.

(٤) المصباح المنير ٢/٣٨٠.

فَفِي أيِّهِمَا أخَافُكَ، وَفِي أيِّهِمَا أرْجُوكَ! ...

عَصْيًا مِن باب رَمَى ومعصية فهو عاصٍ، وجمعه عُصاة[١].

قوله: «**أيهما...إلخ**»، أيُّ: تكونُ شرطًا واستفهامًا وموصولة[٢]، وهي بعضُ ما تُضاف إليه، وهو مُبهم مجهول، والمقصودُ بها طلَب تعيينِ البعض المجهول، ولا يجوز الجوابُ إلا بتعيينه، وهي هنا استفهاميّة، والتعيين في الجواب غير مُتأتٍّ؛ لأن علْمه مما استأثر اللّهُ به في هذا المقام، كما لا يخفى على ذوي العِرفان.

قوله: «**ففي أيهما أخافك وفي أيهما أرجوك**»، الخوفُ انزعاجُ القلْب من خطور ما لا يُلائم النفْسَ مِن الضرر، يُقال: خاف يخاف خوْفًا وخِيفة ومَخافة، وخِفتُ الأمر يتعدَّى بنفسه، فهو مَخوف، وأخافني الأمرُ فهو مُخيف بضم الميم اسمَ فاعل[٣]، والرجاءُ بالمد اسمٌ، يُقال: رجَوْته أرجُوه رُجُوًّا على فعول، ورجيته أرْجِيه من باب رمى لغةٌ فيه، ويُستعمل بمعنى الخوف[٤]؛ لأنّ الراجي يخَاف أنه لا يُدرِك ما ترجّاه، فتحصّل أن الرجاء توقُّع النفْسِ أمرًا مُلائمًا لها، مع الأخذِ في أسبابه، وإلا كان طَمعًا مذمومًا.

---

(١) المصباح المنير ٤١٤/٢.

(٢) شرح التسهيل لابن مالك ٧٢/٤.

(٣) المصباح المنير ١٨٤/١.

(٤) المصباح المنير ٢٢١/١.

إنْ قُلْتُ بِالمَعْصِيَةِ قَابَلْتَنِي بِفَضْلِكَ، فَلَمْ تَدَعْ لِي خَوْفًا، وَإنْ قُلْتُ بِالطَّاعَةِ قَابَلْتَنِي بِعَدْلِكَ، فَلَمْ تَدَعْ لِي رَجَاءً، فَلَيْتَ شِعْرِي! كَيْفَ أرَى إحْسَانِي مَعَ

قوله: «**إن قلت بالمعصية**»: أيْ إنْ لاحظتُها صادرةً مني وعوَّلت على ذلك وذهلت عن طوارق عفْوك وكرمك وإحسانك حتى مزّقَ الخوفُ قلبي، قابلْتَني بفضلك عند التفات نفسي إلى ما تقدَّمَ من طوارق العفو والكرم والإحسان الذي لا يعُوق عنه عِصيانٌ.

«**وإن قلت بالطاعة**»: أي وإنْ عوّلت عليها واستندتُّ إليها جهلًا مني بأنّ قوتي لا تَفي بالقيام بحقوقك عليّ منها، وكانتِ الطاعة في نفس الأمر مطولةً بتوسط ما يمنع قبولَهَا مِن رياء ونحوه، «**قابلتني بعدلك**»: أي بإرجاعي إلى شهود تقصيري المُردِي بي في عاقبة مَصيري، فلم تدَعْ لي رجاء: أي لم تعد لي ما أترجّى بِهِ رَحمتَكَ وعفوك.

قوله: «**ليت شِعري...إلخ**»، ليتَ حرفُ تمنٍّ، يتمنى أن يعلم جوابَ كيف يشهد إحسانَه، مع كونه مَجازيًّا صُوريًّا، مع إحسان ربِّه الحقيقي الذي لولاه لَمَا تحقّق لأحد إحسانٌ، أم كيف يتصوّر جهل نفسِه عصيانه المانِع مِن رحمة ربِّه مع إفضاله في حالة عصيانه الزّاجرةِ عن عصيانه والحاثّة[1] على دوام الطاعة، إذ لا تليقُ معاملةُ العظيم إلا بالعظيم، بالسير على الصِّراط المستقيم، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يتحقّق له مجرّدُ الخوف؛ لعدَم إمكان غفلته عن طوارق الرجاء بشُهود أفْضال مولاه الذي لا يتوقَّف على سابق عمَلٍ بالطاعة، والحاصِل أنّه دائمًا في حيرة في ثبوت طوارقِ الخوف مُجرّدًا عن طوارق الرّجاء، وفي ثبوت طوارق الرجاء مُجرّدًا عن طوارق الخوف،

(١) في المخطوط: والحاسة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

إحْسَانِكَ، أمْ كَيْفَ أجْهَلُ عِصْيَانِي مَعَ إفْضَالِكَ!»

«**ق ج**»، سِرَّانِ مِنْ سِرِّكَ، وَكِلَاهُمَا دَالٌّ عَلَى غَيْرٍ...فَبِالسِّرِّ الجَامِعِ الدَّالِّ عَلَيْكَ...

كلما شاهد أسبابَ الخوف زاحمتْه طوارق الرجاء، وكلما شاهد طوارقَ الرجاء زاحمتْه طوارق الخوف، فهو دائمًا غارقٌ في بحر الحيرة، لا يصفو له مورد مُجرّد عن مقابله، وقد أشار إلى ذلك قطبُ الوجود الشاذلي في حزبه حيث قال:» أبهمتَ الأمر علينا؛ لنرجوَ ونخاف، فأمِّنْ خوفَنا ولا تخيِّب رجاءنا»، واللهُ أعلم.

قوله: «**ق، ج سرّانِ مِن سرك**»، هذان الحرفان مُقتطعان مِن اسمين عظيمين له تعالى، وهو قادرٌ أو مُقتدِر وجوادٌ، **الأول**: يُشير إلى الخوف منه تعالى؛ لأنه بتقاديره يفعلُ ما يشاء، ولا يُسأل عما يفعل، **والثاني**: يشير إلى الرجاء؛ لأنه بجودِه البالغ إلى غير نهاية لا يتوقّف مظهرُه على ما يُقابَل به مِن عمَل، فإذا شهد العبد سرَّ الاسم الأولِّ خافَ، وإذا شهِد سرَّ الاسم الثاني رَجا، وحيث لا يُمكِنه استحضارُ أحد السِّرينِ مُجرّدًا عن استحضار السّر الآخرِ صارتِ الحيرة مقامَه الذي لا يفارِقه أصلًا، فتأمّلْ.

قوله: «**وكلاهما دال على غيرك**»، بمعنى دالًا على الغير دَلالة وإن كانت مجازيّةً لنسبة القُدرة والجُود إلى ذلك الغير شرْعًا، مع أنه في الحقيقة عارٍ عنها عاجزٌ عجزًا ذاتيًّا لا يُفارقه، ومِن الاعتبار الأوّل والنظرِ المجازي ثبتتْ دلالةُ الاسمينِ على الغير بظاهِر الشرع، فتدبّرْ، والله تعالى هو الهادي إلى إدْراك أسرارِ أوليائه ومعاني إشاراتهم.

قوله: «**فبالسرّ الجامع...إلخ**»؛ يُريد القَسَم على ربِّه تعالى باسم الجلالة، وهو اللهُ الجامعُ لسائر الأسماء والصِّفات المختصُّ التسميةِ به، ومعناه: بالله سُبحانه وتعالى لا يُشارِك في ذلك الغيرُ، على أنه عند التأمُّل الصافي مِن كُدورات البشريّة كيف يشهدُ الغيرَ ولا وجودَ إلا الوجود الحقّ الذاتيّ، فافهمْ.

لَا تَدَعْنِي لِغَيْرِكَ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. انْتَهَى.

فَالمَعْنَى حَسْبَمَا ظَهَرَ لِي أَنَّ قَوْلَهُ: نَفَعَنَا اللهُ بِهِ: «إِلَهِي، مَعْصِيَتُكَ...إِلَخ»؛ أَيْ

قوله: «**لا تدعني لغيرك... إلخ**»، جملةٌ دعائية، وإن كان ظاهرُها الخبرَ، يعني يسأل مولاه أنّه لا يبقى فيه بَقيّةٌ لغيره، بأنْ يوفِّقه إلى طريق فنائه عن غيره تعالى، وبقائه بذاتِه تعالى، وقوله: «**إنّك على كلّ شيء قديرٌ**»، تعليلٌ لِمَا يترجّى بقوله مما سأَله أن يُجيبَه فيه حتى تكون حركاته وسكناته لله وبالله ومن الله وإلى الله، ولا يخفى أن المُرادَ بالشيء الذي هو مقدور للقُدرة هو المُمكنُ، واللهُ أعلم.

قوله: «**إلهي... إلخ**»، مُرداه الاستغاثةُ وطلَبُ الغوْث مِن المعبود الحق، فهو مُنادى محذوفٌ منه ياءُ النداء من أَلِه يأْلَه من باب تَعِب إلاهةً بمعنى عبد عبادة، وتألّه تعبّد وإلهٌ هو المعبو الحق، واستعارَه المُشركون لِمَا عبدوه من دونه، والجمع آلِهَة، فهو فِعَال بمعنى مفعول، ككِتاب بمعنى مكتوب وبِساط بمعنى مبسوط(١).

قوله: «**معصيتك نادتني**» إلخ، أي دعتْني مخالفتُك وعصيان أمرك، يقال: عصى العبدُ مولاه عصيانًا من باب رمَى، ومعصية فهو عاصٍ، وجمعه عصاة، ودعاؤُها بالطاعة رَدُّها إيَاه إليها بسبب ما يعرِضُ لها مِن المحاسن التي قد تترتَّب عليها كالذُّلّ والانكسار والندم والعزم على عدم معاودتها، والطّاعةُ: الرّجوعُ إلى الله بإظهار الفاقة وشدّة الافتقار، وإن اقتضتِ المعصية بذاتها القُبح والخروج عن طريق الأدب مع المولى جلّ عُلاه عن أن يُخالَف ويُعصى.

---

(١) المصباح المنير ١/١٩.

عِصْيَانِي إِيَّاكَ الوَاقِعُ مِنِّي بِاعْتِبَارِ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الخَوْفِ وَالذُّلِّ وَالانْكِسَارِ، وَشُهُودِ التَّقْصِيرِ، وَالنَّدَمِ، وَرَجَاءِ التَّوْبَةِ، **نَادَانِي بِالطَّاعَةِ**: أَيْ أَشْعَرَنِي بِهَا، وَرَدَّنِي

قوله: «**باعتبار ما يترتّب عليه**» إلخ، يُريد أنه وإن كان وصْف المعصية الأصليّ الحقيقيّ إنما هو القُبح غيرَ أنه قد يعْرِض لها وصفُ الطاعة الأصليّ، بأن يترتّب على صدورها من العبد الخوفُ... إلخ، فلا ينبغي حينئذ للعبد اليأسُ بها عن فتْح باب التوبة له بما قد يعرِض لها ممّا ذكره المؤلِّف.

وقوله: «**مِن الخوف**»، الخوف: الإشْفاقُ على النفس مما يُتوقَّع حصوله مما لا يلائِمُها، يُقال: خاف يخاف خَوفًا وخِيفة ومَخافة فهو مَخُوف، وخِفْت الأمر يتعدَّى بنفسه، وأخافني الأمرُ فهو مُخِيف بضمّ الميم اسم فاعل على مُفعل بضم الميم، ويتعدّى بالهمزة والتضعيف(١).

قوله: «**والانكسارُ**»: معطوف على الذُّلّ للتفسير.

قوله: «**وشهود التقصير**»: أي مُراقبتِه واستحضاره في التذكُّر، والندمُ: التحسُّر والحزن على ما فرط منه مِن المُخالفة.

قوله: «**ورجاء التوبة**»، يعني توقُّع الرجوع إلى الطاعة مع الأخذ بالسبب، وقوله: «**ناداني بالطاعة**»: أي دعاني إلى سبيلها وأعْلَمني بالأخذ بأسبابها، وليس مِن العجيب أنّ الشيء قد يدعُو إلى ضدِّه.

---

(١) المصباح المنير ١/١٨٤.

إِلَيْهَا، وَأَنَّ قَوْلَهُ: وَطَاعَتُكَ ...إِلَخ: أَيِ الطَّاعَةُ الوَاقِعَةُ مِنِّي بِالكَسْبِ الشَّرْعِيِّ، **نَادَتْنِي بِالمَعْصِيَةِ**: أَيْ أَشْعَرَتْنِي بِهَا، وَرَدَّتْنِي إِلَيْهَا بِاعْتِبَارِ مَا عَسَاهُ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا

قوله: «**وطاعتك نادتني**» إلخ، الطاعةُ هي الانقياد للأمر، فوصْفها الأصليّ الحقيقيّ الحسنُ، ونداؤُها بالمعصية إشعارُها بها باعتبارِ ما قد يترتَّب عليها بالعرَض مِن القُبح الذي هو وصْف أصليٌّ للمعصية، كالعُجب والاعتماد والاستناد والرِّياء ونحوها ممّا يمنعُ قبولَ الطاعة ويُبعد عن درجات القُرب مِن إحسان الرب جلّ عُلاه، ولا يخفى أن تَكرار القولِ في بيان المُرادِ من قوَّة الداعي إليه، فلا تُبادرْ بالاعترِاض.

قوله: «**الواقعة مني بالكسْب الشرعي**»، يعني الصادرةَ والمُشاهدة بالنسبة إليَّ بحسب ما حكَمَ به صاحبُ الشّرعِ مِن أنّ العبد مُكلَّف، له ما كسبَ وعليه ما اكتسب، وأنه مُختار، وإن خفِي وجهُه باعتبار أنّ جميع الحرَكات والسكَنات مخلوقةٌ له تعالى، وليس للعبْد في الحقيقة إلا مُجرّد مقارنة قُدرته الحادثة لِمَا يفعله، فسبحان اللطيف الخبيرِ، لا يُسأل عما يَفعل، واللهُ أعلم.

قوله: «**نادتني بالمعصية**»، أيْ طالبتْني بها، وردّتني بطاعتي إليها، وأشعرتْني بأن طاعتي صُوريّة فقط لا حقيقةَ لها، بل هي في نفْس الأمر معصية باعتبارِ ما قد يعرِض لها مِن وصْف القُبح الذي هو وصْف أصليّ للمعصية، وذلك لمُخالطتها العجبَ ونحوَه مما يكون مانعًا لقَبول الطاعة والقُرب مِن إحسان الربِّ، فالطَّاعة حينئذٍ وإن اقتضتْ بذاتها أن يكون وصْفُها الحسن غير أنها باعتبار ما عرَض لها مِن موانع القبول المذكورة اقتضتْ به أن تُوصف بوصف المعصية وأن تُعطَى حكمه، فتحصَّل من مجموع هذا أنّ الكامل ينبغي له الحذرُ من موانع القَبول ما أمكنَه، وبعد

مِنْ أَضْدَادِ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى المَعْصِيَةِ مِنْ مُخَالَطَةِ العُجْبِ، وَالاعْتِمَادِ، وَالاسْتِنَادِ، وَالرِّيَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المُهْلِكَاتِ، وَلَهُ الإِشَارَةُ بِمَا أَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْخِ بْنُ حِبَّانَ

ذلك يكون حاله مُتردِّدًا بين الرجاء والخوف؛ لاحتمال وُقوع شيء يمنع مِن قبول طاعته، وهو لم يشعر به، فتأملْ.

قوله: «**من أضداد**» إلخ، الضدّ هو النظير والكفْء، والجمعُ أضدادٌ، وقال بعضهم: الضدّ مثل الشيء والضدّ خلافُه، وضادَّه مُضادّة إذا بايَنه وخالفه، والمتضادّان اللذانِ لا يجتمعانِ كالسواد والبياض، واللّيل والنهار[1].

قوله: «**من مخالطة... إلخ**»: أي انضمام العُجب، يُقال: خلطت الشيء بغيره خَلْطًا من باب ضَرَبَ ضممْته إليه، فاختلط هو، وأصلُ معنَى الخلطِ كما ذكره بعضُهم: تداخُل أجزاءِ الأشياء بعضها في بعض، وقد توسع فيه حتى قيل: رجل خليط إذا اختلط بالناس كثيرًا، والجمع الخُلَطاء، مِثل شريف وشُرَفاء[2].

قوله: «**العُجب**»: هو شهودُ النفْس بما يوجب تقدُّمها على الغير، بل قد يحتقِر ذلك الغير في نظرها، وهو مِن المُهلكات أعاذنا الله تعالى منه، وعَجِبَ مِن باب تعِبَ، وهو شيء عجيب، أي يُعجب منه، وأعجبني حسنُه، وأُعجِب الشخص بنفسه بالبناء للمفعول إذا ترفَّع وتكبَّرَ[3]، وهو المُراد هنا، وقوله: «**والاعتمادُ**» هو الاستناد، فعطْفه عليه للتفسير.

---

(١) المصباح المنير ٣٥٩/٢، أما بعضهم الذي نسب إليه القول، فنقل صاحب اللسان أنه أبو عمرو ولعله الشيباني، انظر: لسان العرب ٢٥٦٥/٤.

(٢) المصباح المنير ١٧٧/١.

(٣) المصباح المنير ٣٩٣/٢.

فِي كِتَابِ المُبَشِّرَاتِ عَنْ كُلَيْبٍ الجُهَنِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «لَوْلَا أَنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لِعَبْدِي المُؤْمِنِ مِنَ العُجْبِ مَا خَلَّيْتُ بَيْنَ عَبْدِي

قوله: «**والرياء**» هو التصنُّع في عبادة الله تعالى، وإشراكُ الغير فيها بأن يعمل ليقال: إنه عامل، وهو إشراك عملي يمنعُ قَبولَ العبادة ويمنعُ ثوابَها، أما إشراكُ الغير في العبادة اعتِقادًا فهو مكفِّر، والعياذ بالله تعالى(١).

قوله: «**وغير ذلك من المهلكات**»، يعني كالحقْد والحسد؛ لأنّ كلّ واحد منها مهلك لترتُّب غضَبِ الله تعالى وعقابِه عليه.

قوله: «**وله الإشارة**» ...إلخ، يعني يكون العُجب مِن المهلكات، الإشارة إلخ، يعني إشارةَ الدلالة على أنه مهلك، والخبر المذكور قُدْسيّ كما لا يخفى.

قوله: «**لولا أن الذنب**» إلخ، أفعل على غير بابِه على أنّه لا خيرَ في كلّ مِن الذنب والعُجب أصلًا باعتبار ذاتهما، أما باعتبار ما عساه أن يعرِض للذنب مِن الندم والذُّلّ والعزم على عدَم العوْد فقد يكون فيه الخير.

قوله: «**لولا أن الذنب**»؛ المُراد به مُطلَق المعصية الشامل للعُجب وغيره.

قوله: «**مِن العُجب**» مصدرُ عجِبَ مِن الشيء عَجبًا مِن باب تَعِبَ، ويُستعمل على وجهينِ: أحدهما: ما يحمده الفاعلُ ومعناه الاستحسان والإخبار عن رضاه به، والثاني: ما يبغَضه، ومعناه الإنكار والذمّ له، وهو المُراد هنا، ويقال من الأول:

---

(١) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر ، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس،٦٢/١، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

المُؤْمِنِ وَبَيْنَ الذَّنْبِ»، وَمَا أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الفِرْدَوْسِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «لَوْلَا أَنَّ المُؤْمِنَ يُعْجَبُ مِنْ عَمَلِهِ لَعُصِمَ مِنَ الذَّنْبِ حَتَّى لَا

أعجَبني بالألف، وفي الثاني: عَجِبت وزان تَعِبت، وقال بعض النحاة: التعجُّب انفعالُ النفْس لزيادة وصْف في المُتعجّب منه، نحو: ما أشجعَه! وما ورد في القرآن مِن ذلك نحو: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾[مريم: ٣٨]، فإنما هو بالنظر إلى السامع، والمعنى: لو شاهدْتَّهم لقلتَ ذلك مُتعجبًا منهم[١].

قوله: «**ما خليتُ بين عبدي**» إلخ: أي ما جعلته خاليًا مِن عدم التمكُّن من الذنب، يُقال: خلا المنزلُ من أهله يخْلُو خُلوًا وخَلاء، فهو خالٍ، وأخْلى بالألف لغةٌ فهو مُخْلٍ، وأخْلَيته جعلْته خاليًا، وخلا الرجلُ بنفسه، وأخْلى بالألف لغةٌ[٢].

قوله: «**لولا أن المؤمن يعجب... إلخ**»، يعني لولا أنّه مُستعدّ بطبْعه وجِبلَّته؛ لكونِه يعجب ويرى نفسه خيرًا مِن غيره ممّن عمِل عملًا أقلّ من عمله، أو ممّن لم يعمِل أصلًا لعُصِمَ مِن الذنب، يعني لحُفِظ من طرؤه عليه وفعله حتى لا يهمَّ به، يعني حتى لا يكونَ له أوّل العزم على الذنب، فالهَمّ بالفتح وحذف الهاء أوّل العزم.

قال ابنُ فارس: الهمّ مَا هممْت به[٣]، وهمَمت بالشيء همًّا من باب قَتَلَ إذا أردته ولم تفعلْه، وفي الحديث: «همَمْتُ أن أَنهَى عن الغِيلة»[٤] : أيْ عن إتيان المُرضِع،

---

(١) المصباح المنير ٣٩٣/٢، وتاج العروس ٣٢٠/٣، وانظر: التوقيف على مهمات التعريف ص٦٢.

(٢) المصباح المنير ١٨١/١.

(٣) مقاييس اللغة ١٣/٦.

(٤) أخرجه مسلم ١٤٤٢(١٤٠).

يَهُمَّ بِهِ، وَلَكِنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ العُجْبِ»، وَمَا أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ لَخِفْتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ

وأهمَّ الرجلُ بالأمر قامَ به(١).

قوله: «**ولكنّ الذنب خيرٌ له من العُجب**»، يعني قد يكون خيرًا منه باعتبار ما يعرِض له مِن النّدم والرّجوعِ إلى الطاعة.

قوله: «**خير له من العُجب**»: أي خير له مِن طاعةٍ فيها عُجب، فلا يُقال: يلزمُ خيريَّةُ الشيء على نفسه، فتأمّلْ.

قوله: «**لو لم تكونوا تذنبون**»؛ يعني لَولَا تَقديرُ صُدور الذَّنبِ مِنَ الخَلقِ بالحِكمَةِ البَاهِرة للعُقُولِ؛ لخِفْتُ عليكم مَا هو أكبرُ من ذلك، يعْني لخِفتم معشرَ الخلْق وقوعكم في أشرّ الذّنوب، وهو العُجب والكِبر، فنسبةُ الخوْف باعتبارِ الخَلْقِ، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا، والمقصودُ بيانُ أن العُجب مِن كبائر الذنوب، يُخاف منه أكثرَ ممّا يُخاف من غيره، فينبغي للمكلَّف التباعُدُ عن أسبابه، وإلا كان مِن الهالكين.

والحاصل: أنّ الغرَض الزّجْرُ عَن العجب لقُبحه لا أنّ الله يرْضى بغيره مِن الذنوب، فتأمّلْ.

قوله: «**العُجب العُجب**»، كرَّره تهويلًا ليُبعِدَ عن سبيله كلَّ عاقل مِن المكلَّفين.

قوله: «**وإن من عبادي المؤمنين**» إلخ، معناه أنّ بعض أفراد الخلْق ممن لا استعدادَ

---

(١) المصباح المنير ١/١٨١.

أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ: العُجْبَ العُجْبَ»، وَمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ الأَوْلِيَاءِ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الحِلْيَةِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ جِبْرِيلَ يَقُولُ

له للتحفُّظ من العُجب يطلُب من الله التمكُّنَ من طاعةٍ تُقرِّبُه من إحسان ربِّه، فلا يجيبه في مسألته؛ لئلا يدخُلَ عليه بها العُجب؛ لعدمِ قُدرته على دفْعه، فيصير بذلك عاملًا عمَلًا لا ثمرةَ له، بل يصير مُستحِقًّا للغضَب والعِقاب على ذلك العُجب.

اللهُ: «وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي المُؤْمِنِينَ لَمَنْ يَسْأَلُنِي البَابَ مِنَ العِبَادَةِ، فَأَكُفُّهُ أَلَّا يَدْخُلَهُ عُجْبٌ فَيُفْسِدَهُ ذَلِكَ» ذَكَرَهُ فِي أَثْنَاءِ حَدِيثٍ طَوِيلٍ عَلَى أَنَّ الطَّاعَةَ تَكُونُ

قوله: «**على أن الطاعة... إلخ**»، ترقي يُفيد أن الطاعة قَلَّ أن تصْفوَ عن موانع القَبول باعتبار ما يعرِض لها مِن القواطع، وما يتحقَّقُ به نُقصانها بترك ما يلزمُ وجودُه في حال التلبُّس بها.

مَذْمُومَةً؛ لِنُقْصَانِهَا بِتَخَلُّفِ أُمُورٍ يَنْبَغِي أَلَّا تَتَخَلَّفَ عَنْهَا، كَالذِّكْرِ مَثَلًا يَنْبَغِي أَنْ يُقَارِنَهُ حُضُورُ القَلْبِ.

قوله: «**مذمومة**»، الذَّمُ ضِدّ المدح، يقال: ذَمَمْته أذُمُّه ذَمًّا خِلاف مَدَحْته، فهو ذَمِيم ومذموم: أي غيرُ ممدوح، والذِّمَام بالكسر ما يُذمّ به الرجلُ، والمَذَمّة بفتح الميم مع فتح الذال وكسرها مِثلُه، وتُفسَّر الذِّمّة بالعهد وبالأمان وبالضمان أيضًا، والجمع ذِمَم، مثل سِدْرَة وسِدَر[1].

قوله: «**لنُقصانها**»: أيْ لذَهاب شيءٍ مما يُعتبَر لها، يُقال: نَقَصَ نَقْصًا من باب قَتَلَ، ونُقْصانًا، وانتقصَ: ذهبَ منه شيءٌ بعد تمامه، ونقصْته يتعدَّى ولا يتعدّى، هذه هي اللغة الفصيحة، وبها جاء القرآن، قال تعالى: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١]، وفي لغة ضعيفة يتعدّى بالهمزة والتضعيف، ولم يأتِ في كلام فصيحٍ، ويتعدّى أيضًا بنفسه إلى مفعولينِ، فيقال: نقَصت زيدًا حقَّه، وانتقصته مثلُه. اهـ. مصباح[2] بتصرف.

قوله: «**بتخلُّفِ أمُور... إلخ**»: أيْ تَرْكِ مطلوبات؛ لكمالها ينبغي ألا تُترك فيها.

قوله: «**كالذِّكر مثلًا**» إلخ، مِثالٌ للطاعة التي قد تكون مذمومةً، يُقال: ذَكرته بلِساني وبقلبي ذِكرَى بالتأنيث وكسر الذال، والاسم ذُكر بالضم والكسر نصَّ عليه جماعة منهم أبو عبيدة وابن قتيبة، وأنكر الفراءُ الكسرَ في القلْب، وقال: اجعلني على ذُكر منك بالضم لا غير، ولهذا اقتصر جماعةٌ عليه، ويتعدى بالألف والتضعيف،

---

(١) المصباح المنير ٢١٠/١.

(٢) المصباح المنير ٦٢١/٢.

وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الكُمَّلِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ: «اسْتِغْفَارُنَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِغْفَارٍ»...

فيقال: أذْكَرته وذكّرته، فتذكَّر[١].

قوله: «**وَلهذا قال بعضُ الكُمّل من الأولياء**»: أيْ لأجْل كون الطاعةِ التي وصْفُها الحُسن بحسب الظاهر قد تكون مذمومةً؛ لنقصها بفوات ما كان يُعتبَر لها مِن المكملات في نفْس الأمر بغفلة القائمِ بها عنها، قال بعض الكمّل: يعني به مَن يكون حالُه شهودَه تقصيرَه في طاعته عمَلًا بخبر: «سُبحانك ما عبدْناك حقّ عبادتك»[٢] لأنه إذا كان هذا مقولا له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف يكون حالُ غيره من أُمّته، والأولياءُ جمعُ وليٍّ، فعيل بمعنى فاعل أو مفعول، كما قدّمْناه؛ لأنه مِن تولّى طاعةَ مولاه، أو مَن تولّى مولاه أمرَه بالتصرُّف في حركاته وسَكَناته، كما يُشير إليه خبرُ: «كُنتُ سَمْعَه»[٣] الحديث.

قوله: «**استغفارنا يحتاج إلى استغفار**»: أي طلَبُنا المغفرةَ من حضرة إحسانِه يحتاجُ إلى استغفار، وذلك لأنّه يلزمُ حضورُ القلْب في حالة طاعة المولى، ومنها الاستغفارُ؛ لأنه لا ينبغي أن يصدُر من العبد إلا مع تَفرُّغ[٤] قلبِه من الأغيار التي تشغل قلْبَ المُستغفِر، فإذا كان مع الغفلة، أو مع شُغل القلبِ بغيره تعالى؛ أشبهَ الذنب؛ لأنه يَصير كالتلاعُب، فتحصّل أن الكمال في طاعة الله تعالى لا يتمُّ إلا مع

---

(١) المصباح المنير ٢٠٨/١، وانظر: خزانة الأدب ٢٨٢/٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ح:٨٧٣٩.

(٣) أخرجه البخاري ح:٣٤٧.

(٤) في المخطوط: تضرع، ولعل الصواب ما أثبتناه.

وَكَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، يَنْبَغِي أَنْ يُقَارِنَهُمَا الانْتِهَاءُ وَالائْتِمَارُ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي مَعْرِضِ الإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ:

حضور القلب بعد التفرُّغ مِن كل شيءٍ سواه تعالى، سواء كانتْ استغفارًا أو غيرَه.

قوله: «**يحتاج إلى استغفار**»: أي يحتاج طلَبَ المغفرةِ مِن سابق الاستغفار الذي لم يكن معه حضورُ قلْب؛ لأنه حينئذ يُشبه المعصيةَ، فيطلب المغفرةَ له باستغفارٍ مُقارِنٍ لحضور القلب، وقيل: المُرادُ بالاستغفار المُحتاجِ إليه «استصلاحُ الأمرِ الفاسد قولًا وفعلًا وقلبًا»[1]، وقيل: المرادُ «الوقوفُ مع الصالح مِن الأعمال، والإقبالُ عليها بعد البُعد عن الفاسد منها واستقباحِه»، واللهُ أعلم.

قوله: «**وكالنهي عن المنكر**» إلخ، النهي مخالفةُ الأمر، والمُنكَر: ما أنكرَه الشارعُ ولم يأذنْ فيه، بل أمرَ بخلافه، والأمرُ المُرادُ منه هنا الطلَبُ، ويُطلَق أيضًا بمعنى الحال، وجمعُه أمورٌ، ومنه: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧﴾ [هود: ٩٧]، وجمعُ الأوّل أوامرُ؛ فرْقًا بينهما، هكذا يتكلّم به الناس، ومن الأئمّة مَن يُصحِّحه ويقول في تأويله: إن الأمر مأمور به، ثم حُوِّلَ المفعولُ إلى فاعل، كما قيل: أمر عارف وأصلُه معروف، وعيشة راضية والأصل مرضية إلى غير ذلك، ثم جُمِعَ فاعل على فواعل، فأوامرُ جمعِ مأمورٍ، وإذا أمرتَ غيرَك مِن هذا الفعل ولم يتقدّمه حرفُ عطف حذفتَ الهمزةَ على غير قياسٍ وقُلتَ: مُرْهُ بكذا، وإن تقدَّمه حرفُ عطفٍ، فالمشهور ردُّ الهمزة على القياس، فيقال: وأمُر بكذا. اهـ من المصباح[2] بتصرف.

---

(١) انظر التعريفات ص ١٨.

(٢) المصباح المنير ٢١/١، ، ويقول الجلال المحلي: الأمر بمعنى الفعل مجازا يجمع على أمور بخلافه بمعنى القول حقيقة، فيجمع على أوامر. المحلي على جمع الجوامع مع حاشية العطار ٤٢٥/١، وانظر:

﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾[البقرة: ٤٤] وَفِيهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي ذَمِّ مَنْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ وَلَمْ يَنْتَهِ عَنْهُ، وَمَنْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ يَأْتَمِرْ بِهِ، وَكَالصَّلَاةِ،

قوله: «**ينبغي أن يُقارنها الانتهاءُ والائتمار**»: أي لأنّ النفْس أوْلى بالتخلية مما يُكدِّرها دنيا والتّخلية بما يحملها فيه، وأيضًا إذا لم يكن ذلك لها أوّلًا لا يُؤثّر قولُها للغير أمرًا ونهيًا، وبذلك يندرِج في عموم قوله عز وجل: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤﴾ [البقرة: ٤٤].

قوله: «**ولهذا قال الله تعالى**»: أي لابتغاءِ مُقارنة الانتهاءِ والائتمار قال الله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ٤٤﴾[البقرة: ٤٤] بِناءً على أنّ الاستفهامَ للإنكار، وعليه فالمعنى لا ينبغي لكم ذلك في نهْيِ غيرِكم وأمرِه مع نسيانِ أنفسِكم مِن مُقارنةِ نهيها وأمرِها نفسَها لنهي الغير وأمرِه، مع أنّها الأحقّ أن يبدأ بها فيه حتى تنتهيَ وتأتمر، وبعد ذلك تنهَى الغيرَ وتأمرُه، وحينئذ تكون أقوى تأثيرًا فيها، وإلا كانت شبيهةً بالمنافقين، وهو لا يليق أن يتخلّق به مؤمن، والله أعلم.

قوله: «**وفيه أحاديث كثيرة**».. إلخ، يعني تكاثرتِ الأحاديثُ النّبويّة في ذمِّ مَن كان كذلك.

قوله: «**وكالصلاة...إلخ**»، عطْف على الذِّكر، وقوله: «**فينبغي أن تكون**»... **إلخ**، أقول: ويدلُّ على ذلك قولُه تعالى:﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩﴾ [المعارج: ١٩]، فَافْهَمْ.

الردود والنقود للبابرتي ٢٤٤/١، وتيسير التحرير ٣٣٦/١.

يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ نَاهِيَةً عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وَكَالصَّوْمِ، يَنْبَغِي أَنْ يُنَزَّهَ عَنِ

قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ...﴾ **إلخ**، أي شأنُ الصلاةِ الكاملة المقبولةِ ذلك؛ يعني وإذا كانت على خلاف شأنها فيا ويلَ فاعلِها، ويا حسرتَه!

قوله: «**وكالصوم**»، عطْف على الذِّكر، والصومُ شرعًا: هو الإمساكُ عن المُفطِرات جميعَ النهار(١) ، أما لغةً: فهو الإمساكُ(٢)، وسواء كان الصوم واجبًا أو مندوبًا، فينبغي للصائم أن يُنَزِّهَ نفسه في حال صومه عن القواطع للأجور، كالغِيبة ونحوها، كالنميمة، والغِيبةُ ذكرُ أخاك بما يكرهه ولو كان مُتلبِّسًا به، سواء كان حاضرًا أو غائبًا، فهي مِن كبائرِ(٣) الذنوب المُحبِطة لثواب الأعمالِ ما لم يصلِ المقولُ فيه إلى حدِّ التجاهر بالمعاصي بدون مبالاة، وإلا كان ساقطَ الحُرمة، والنميمةُ: هي السعْيُ بين الناس بالإفساد، وهي مِن كبائر الذنوب أيضًا.

---

(١) تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي، ٢/٣٧٥، الناشر: دار الفكر، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(٢) مختار الصحاح ص:١٨٠.

(٣) في المخطوط: الكبائر.

الغِيبَةِ وَنَحْوِهَا، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أفْرَادِ الطَّاعَاتِ الَّتِي لَا

قوله: «**قال** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» الغرَضُ الاستدلالُ على ما قدَّمه ممّا ينبغي للصوم.

قوله: «**من لم يدع قول الزور والعمل به**»: أي مَن لم يترُكْ قول الكذب والمُضِيَّ على مُقتضاه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]، ويُقال لغةً: زوَّرَ كلامَه: أي زخرفَه، وزوَّرت الكلامَ في نفسي: هيَّأْتُه، وازورَّ عن الشيء وتزاورَ عنه: مالَ، والزَّوَر بفتحتين الميلُ، وزاره يزوره زيارة وزورًا قصَدَه، فهو زائرٌ وزَوْر وزُوَّار، مثل سَافِرٍ وسَفْر وسُفَّار، ونسوةٌ زَوْر أيضًا وزوَّرٌ وزائرات، والمَزَار مصدرٌ وموضِع الزيارة. اهـ مصباح[1].

قوله: «**فلم يكن لله حاجة...إلخ**»؛ أي لأنّه إذا كان كما ذُكِر، فكأنه لم يقمْ بما أُمِرَ به في عبادة ربِّه؛ لأنّ قبولَ العِبَادة بالإخلاص فيها بعد القيام بمُكمِّلاتها.

قوله: «**إلى غير ذلك... إلخ**»: أيْ وانْتَهِ إلى غير ما ذكرْناه فيما ينبغي أن يُقارِنه مثل ما ذُكِرَ، وإلا كان مُجرّد عملٍ لا يستحقُّ به أجرًا، بل قد يكتب به الوزر.

قوله: «**التي لا تحمد... إلخ**»: أي التي لا تُحمَد عاقبتُها، أو التي لا يُثاب عليها ثَوابًا كاملًا؛ لكونها في نفْس الأمر لم تبلُغْ درجة الكمال ورتبتَه؛ لعدم استيفاء مُكملاتها مِن أركانٍ وشروط ومندوبات وآداب.

---

(١) المصباح المنير ١/٢٦٠.

تُحْمَدُ مَا لَمْ تَبْلُغْ رُتْبَةَ الكَمَالِ، وَتَخْلُصَ مِنْ شَوَائِبِ النُّقْصَانِ. وَقَوْلُهُ نَفَعَنَا اللهُ بِبَرَكَاتِ أَنْفَاسِهِ: إِنْ قُلْتُ بِالمَعْصِيَةِ قَابَلْتَنِي بِفَضْلِكَ ...

قوله: «**ما لم تبلغ رتبة الكمال**»، يعني وهي لا تبلغها إلا إذا سلِمتْ من مُخالطة ما يقتضي نقصها.

قوله: «**تخلص**»، الخُلوص: السلامةُ والنجاة أو هو الصفاء، ويقال لغةً: خَلَصَ من باب قَعَدَ خُلُوصًا وخَلاصًا وَمَخْلصًا سَلِم ونَجَا، وخَلُص الماءُ[١] صفا، وخُلاصة الشيءِ: ما صفا منه[٢].

واعلمْ أنَّ كل ذلك لا يكون إلا بطهارة القلْب بعد صقْل مِرآته مِن عيوبه كالحقد، والحسد، والرياء، والكِبر، وحُبّ المَحمَدة، والعُجب، والاعتماد عليها، والاستناد لها، وغير ذلك من القواطع.

قوله: «**إن قلت بالمعصية...إلخ**»، أقول: وقد أشار صاحبُ «الحِكَم العَطائيَّة» إلى ذلك حيث قال: «لا صِغيرةَ إذا قابَلَك عدْلُه، ولا كِبيرةَ إذا واجَهَك فضلُه»[٣]؛ لأنّ المُرادَ في ذلك أن تدومَ على شُهودِ عدْله وفضْلِه، لا لذنوبك ومساويك، سواء كانتْ مِن الصغائر أو الكبائرِ؛ إذ لا علْمَ عندك بما به يُواجِهك فيهما، ولا بما يقابِلُك به.

قال يحي بنُ معاذٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنْ أنالَهُم فضلَه لم يبقَ لهم سيِّئة، وإن أقامَ عليهم

---

(١) في المصباح: خلص الماء من الكدر، صفا.

(٢) المصباح المنير ١/١٧٧.

(٣) الحكم العطائية، الحكمة الخمسون.

أَيْ إِنْ جَعَلْتُ ذَنْبِي نُصْبَ عَيْنِي، وَأَدَمْتُ طَوَارِقَ الخَوْفِ وَالقَلَقِ عَلَى قَلْبِي قَابَلْتَنِي بِفَضْلِكَ: أَيْ ذَكَّرْتَنِي إِحْسَانَكَ ...

عدْلَه لم يبقَ لهم حسنةٌ»[1]، وحسْبُك قولهُ تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠].

قوله: «**أيْ إن جعلت ذنبي نصب عيني**»؛ يعني إنْ دمتُ خائفًا ومُشفِقًا مِن توقُّع ما يترتَّب على ذنبي مِن العذاب؛ لدوامِ مُراقبتي إيّاه في سائر أحوالي وأوْقاتي.

قوله: «**نصب عيني**»: أيْ مَنصوبًا لها دائمًا مُشاهَدًا بها، والعينُ يحتمل أن يُرادَ بها الباصرةُ، وفيه تجوُّز لا يخفى، أوِ المُرادَ عين القلْب المعبَّر عنها بالبَصيرة، فيكون المعنى على المُراقَبة القلبية، وهو الظاهر.

قوله: «**وأدمت طوارق الخوف والقلق على قلبي**»، يعني دُمتُ على شُهود ذلك، وإضافةُ طوارقَ لِمَا بعده بيانيّةٌ: أي طوارقُ هي الخوْفُ والقلقُ، وَيَطْرُقُ مضارع طَرَقَ مِن باب قَعَدَ إذا طَلَعَ، وكلُّ ما أتى ليلًا فقد طَرَقَ، وهو طارِقٌ[2]، والمقصودُ منه هنا ظُهورُ الخوفِ والقلقِ بسبب تقدُّمِ سببَيْهما، وهو الذنب، والقلقُ: الاضطرابُ، يُقال لُغةً: قَلِقَ قَلَقًا مِن باب تَعِبَ: اضطربَ، وأقلقَه الهَمُّ بالهمزة أزعَجَه[3].

قوله: «**أيْ ذكرتني طوارق إحسانك... إلخ**»، يَعْنِي أوْجَدتَّ ذكْرَ ذلك في قلبي بالتفكُّر فيما عرَض لي بسبب المعصية مِن الذُّل والانكسار، والفاقة والنّدم، مع

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/٥١ بنحوه.

(٢) مقاييس اللغة ٣/٤٤٩، والمصباح المنير ٢/٣٧١.

(٣) المصباح المنير ٢/٥١٤.

وَسِعَةَ رَحْمَتِكَ وَمَغْفِرَتِكَ، فَلَمْ تَدَعْ لِي خَوْفًا حَيْثُ فَتَحْتَ لِي أَبْوَابَ رَجَائِكَ، وَفِي «الحِكَمِ العَطَائِيَّةِ»: «رُبَّ مَعْصِيَةٍ ...

العزْم على عدَمِ العوْد الذي وعدتَّ عبادَك عليها[1] القَبولَ إذَا وقعَ ذلك لهم وحسُن به رجوعُهم إلى طاعتِك.

قوله: «**وسعة رحمتك**»، أي رحْمتك الواسِعة، فهو مِن إضافة الصِّفةِ للموصوف.

وقوله: «**ومغفرتك**»، يعني تجاوزَك بالعفْو عن عقوبةِ مَن عصاك، ومحوِ ذلك مِن صحيفته.

قوله: «**فلم تدع لي خوفًا**»، يعني لم تتركْ فيَّ بقيَّةً مِن الخوف؛ لتحقُّق أمني حسبما وعدْتَّ الرَّاجِعين إلى طاعتك بتَوْبتهمُ المقبولةِ عندك.

قوله: «**حيث فتحت لي أبواب رجائك**» يعني بذلك ما طرَأَ له بما وفَّقَه اللهُ إليه مِن حقيقة التَّوبةِ المُخلِصِ فيها بتحقُّق أركانِها الصادرةِ منه، والأبوابُ جمعُ بابٍ، وهو ما يُتوَصَّلُ منه إلى الغرَض، فلكلِّ غرَضٍ بابٌ يُتوَصَّل منه إليه، ولا يخفى أنَّ أبوابَ جودِ الوَليِّ كثيرةٌ، ومِن أعظمِها بابُ التوبة، وهي الرجوعُ بالكُلِّ إلى الكلِّ.

قوله: «**رب معصية..إلخ**»، النُّسَخُ الصحيحة بإسقاط «رُبَّ»، ومُحصَّل الحكمة المذكورةِ الإشارةُ إلى أنَّ الخيرَ في الطاعة بالذَّات، والشَّرَّ فيها بالعرَض، والمعصيةُ بالعكسِ، وأنَّ خيرَ الطاعةِ مِن حيثُ إنَّها قيامٌ بالعبودية، وخضوعٌ بين يدَي المعبود الحقّ، ورجوعٌ بها إليه، وطلَبٌ لما عنده، وشرُّ المعصيةِ بضدِّ ذلك، فإذا أوجبت الطّاعة ما هو في المعصية بالذَّات كانتْ شرًا، وإذا أوجبت المعصية ما هو في الطاعة بالذَّات

---

(١) كذا بالمخطوط، ولعل الصواب: عليه.

....

كان خيرًا، ولذلك أشار سيِّدُ المرسلين، وإمامُ أئمة المُرشدِين بقوله: «لولا أنَّ الذَّنبَ خيرٌ مِن العُجب ما خلَّى اللهُ بين مُؤمنٍ وبين ذنب أبدًا»، وبقوله في الخبَر: «لو لم تُذنبوا لخشيتُ عليكم ما هو أشدُّ مِن ذلك: العُجب العجب»[١].

وقال الشيخُ أبو مدينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:» انكسارُ العاصي خيرٌ مِن صَوْلة المُطِيع»[٢].

تنبيهٌ: مما يُنسيك أفعالَك رؤيتُك التقصيرَ فيها، أو شهودُ مِنَّته تعالى عليك بها، وهو أَولى مما قبله، وقد أشارَ إلى ما ذكرْناه صاحبُ الحِكَمِ حيث قال: «نِعْمتانِ ما خرج موجودٌ عنهما، ولا بُدَّ لكُلِّ مكوَّن منهما: نعمةُ الإيجاد، ونعمةُ الإمداد»[٣]، فافهمْ أو تفهَّم، والله أعلم.

قوله: «**فرُبَّ معصية**»، أقول: رُبَّ تُستعمَل للتكثير كثيرًا، أو للتقليل قليلًا، والمرادُ هنا التكثيرُ؛ لكونِه الغالبَ في استعمالها، ولاعتبارِ التوفيق الغالبِ في هذه الأُمَّة كرامةً لرسولِهَا ونبيِّها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يدُلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] الدالُّ على أنّ الخير فيها ذاتيٌّ للكرامة المذكورة، ومِن هذا المَشرب أقولُ: إنّ العبد

(١) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق ح٥٦٨، والبيهقي في شعب الإيمان ح٦٨٦٨.

(٢) الحكم الغوثية، مع شرحها للشيخ العارف العلامة أحمد بن علان الصديقي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ص: ١٨٤ ، دار الآفاق العربية، القاهرة.

(٣) الحكمة السابعة والتسعون.

أَوْرَثَتْ ذُلًّا وَانْكِسَارًا، خَيْرٌ مِنْ طَاعَةٍ أَوْرَثَتْ عِزًّا وَاسْتِكْبَارًا» ...

المُحمديَّ المؤمن لا تخلُص له معصيةٌ محضةٌ قطُّ، فإنه لا بُدَّ أن يشوبها طاعةٌ، وهي إيمانه بأنها معصيةٌ تُسخِط اللهَ تعالى عليه، فيكون حينئذ مِن الذين خلَطوا عملًا صالحًا بآخرَ سيِّئ، وقد قال تعالى في حقهم: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ١٠٢] أي يرجعَ عليهم بالرحمة، وقال المُحقِّقون مِن العلماء: إنَّ عسى منه تعالى لازمةُ الوقوعِ مِن دليلِ خبرِ: «رحمتي سبقتْ غضَبي»[١] فبُشرى لكلِّ مُؤمنٍ ومُؤمنة.

قوله: «**أورثت ذلًّا وانكسارًا**»: أيْ ترتَّب على صدورها مِن العبد أسبابُ التوبة والرجوعِ إلى الله تعالى بالنَّدَم عليها، والعزمِ على عدم العود، ولهذا كانتْ بهذا الاعتبارِ خيرًا مِن طاعةٍ أورثتْ نحوَ العُجب.

قوله: «**خير مِن طاعة... إلخ**»: أيْ خير منها باعتبارِ ما ترتَّب على كلٍّ منها، وإن كان وصْفُ الطاعةِ الذاتيُّ الخيرَ والحُسن، ووصْفُ المعصيةِ الذاتيُّ الشَّرَّ والقُبح، وباعتبارِ ما عرَضَ لهما مِن الوصف كان الحالُ كما ذُكِرَ؛ لانتقال وعُروض وصفِ المعصيةِ العرَضيِّ للطاعة، وانتقال وصْف المعصيةِ الذاتيِّ لهما، كما قدَّمناه.

قوله: «**أورثت عزًّا واستكبارًا**» يعني ترتَّب على صُدورها مِن العبد ما ذكروا لعِزِّ الغلَبة في نفْسه، والكِبرُ: احتقارُ الغيرِ بسبب ما تخيَّلَ له مِن أنَّ ذلك الغيرَ لم يبلُغْ مبلغَه في الطاعة، وبذلك يَراهُ دونه حقيرًا، وما درى أنَّ الاعتبار في الطاعة بقَبولها، وأنَّى له عِلْمُ ذلك لتوقُّفِه على كمالها، وعدمِ عروض مُعطِّلاتها عن القَبول مِن نحو

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤٢٢، ومسلم ٢٧٥١(١٦).

وَفِي الحَدِيثِ: «لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ فِي هَذَا المَعْنَى. وَقَوْلُهُ: «**وَإِنْ قُلْتُ بِالطَّاعَةِ**»: أَيْ وَإِنْ

العِزِّ والاستكبار.

قوله: «**لولا أنكم تذنبون**» إلخ، يعني لولا تقديرُ صُدورِ الذنبِ منكم بقابليَّةِ استعدادِكم لجاءَ اللهُ بقوم إلخ: أيْ لخَلَقَ اللهُ وأوجدَ قومًا يُذنِبون: أي يُلابِسون الذَّنب فيستغفرون، يعني فيَطلبونَ مِن الله مغفرةَ ذلك الذّنبِ والعفْوِ عنهم راجِعِينَ إلى ربِّهم بتَوْبةٍ صادقة فيَغفِر لهم ويقبلُ منهم رجوعَهم إلى طاعته، وقوله: «**إلى غير ذلك**»، يعني وانْتَبِهِ في اطِّلاعك على ما يدُلُّ على ما ذُكِرَ مِن غير المذكور هَاهُنا مِن الأحاديث؛ لتُحقِّق ما ذُكِرَ هنا بتوارد الأحاديثِ في هذا المعنى، واللهُ أعلم.

قوله: «**وإن قلت بالطاعة**» إلخ، عطْف على قوله: «**إن قلت بالمعصية**» المتقدِّم، ومعنى قوله: بالطاعة تخلُّقه بما يقتضيه ظاهرُها بحسب مَا عنده مِن كمالها وقَبولها ووُقوفه مع هذا الظاهرِ حتّى عوَّل في نفسِه عليه فاعتمدَهُ واستندَ إليه، ولهذا قال الشّارحُ: «**أي وإن عولت**» إلخ.

قوله: «**قابلتني بعدلك**»: أي جازيتَني بما يقتضيه عدْلُك من ردِّها وعدمِ قَبولها لعدَمِ استكمالِها، أو لعروض قاطعٍ من قواطع قَبولها كالرِّياء والاعتِماد والاستِناد في نفْس الأمرِ مما خَفِيَ على العبد علْمُه.

والحاصلُ: أن العبد حقُّه ألا يقفَ مع شيءٍ يصدُر منه ولو معصيةً، فلا يقنطْ مِن معصية، ولا يعتمدْ على طاعة، فكلٌّ مِن ذلك يرِدُ على قلْب العبدِ الصادرِ منه المعصيةُ والطاعةُ، فيقعُ بذلك في الحيرة لعدمِ طريقٍ له محقَّق يركَن إليه ويعتمد عليه.

عَوَّلْتُ فِي النَّظَرِ عَلَيْهَا قَابَلْتَنِي بِعَدْلِكَ؛ أيْ أَوْرَدْتَّ عَلَى قَلْبِي ...

واعلم أنَّ وُرودَ ذلك الوارد لا ينفكُّ عنه عبْد باعتبار بشريَّتِه وعُبوديته إلا مَن رحِم اللهُ منهم وأدخلَهُ مقام الأَمْنية، أوِ استغرقَ قلْبه بمحبَّته حتَّى يفْنى مرادُه في مرادِه تعالى، ومثلُه قد يتلذَّذُ بالموتِ لِمَا بالنسبة لغيْره؛ إذ غايةُ ما يطلبُه رضا ربِّه عنه بما يختارُه في حقِّه، فلا يَطلبُ بطاعته جنَّةً، ولا يفرُّ بها مِن نار، كما يشير إليه خبرُ: «نِعْمَ العبدُ صُهيبٌ، لو لم يخف اللهَ لم يعْصِه»(١) فافهمْ، والله أعلم.

قوله: «**أي أوردت على قلْبي**»: أيْ أوجدتَّه وأحضرته بقلْبي، فالقلْبُ موضِعُ وُرودِ الوارداتِ، وحُضورِها فيه، وبلوغِها إياه، فيتذكَّرُ بذلك الواردِ أثرًا مِن آثارِه، والواردُ كما لا يخفى يكون رَحمانيًا مثلَ الوحي للأنبياء، ويكونُ بنَفْثِ المَلَك في رُوع العبْد، ويكونُ شيطانيًا، ولكلٍّ علامةٌ وأمارة تدُلُّ عليه، فارجِعْ إن أردتَّ علْم ذلك إلى حاشيتنا على شرح الرِّسالة القُشَيرية، والعقْلُ: ملَكةٌ رُوحانية دَارِكةٌ للمعقولات مانعةٌ من ارتكابِ خلاف المأمورات والمَنهيَّات(٢)، ومَسكَنُ العقْل: القلْبُ، وله اتِّصالٌ بالرَّأْس، كما يدُلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ﴾ [الأعراف: ١٧٩]ونحوه، وبه يحصُل للنفْس العلمُ والمعرفةُ، يُقال: علِم يعلَم إذا تيقَّنَ، وجاء بمعنى المعرفةِ أيضًا، كما جاءتْ بمعناه، فضُمِّنَ كلُّ واحد معنى الآخر؛ لاشتراكهما في كوْن كلٍّ مسبوقًا بالجهْل، وفي التنزيل: ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] : أي علِموا، والفرقُ

---

(١) ذكره القاسم بن سلام في غريب الحديث ٣٩٤/٣ من دون إسناد من قول سيدنا عمر رضي الله عنه. وانظر: اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة للزركشي ص٤٩، وانظر مغني اللبيب لابن هشام ص ٣٤٠ .

(٢) انظر: التعريفات ص١٥٢.

وَذَكَّرْتَنِي مَا جُبِلْتُ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالمُخَالَفَاتِ وَالتَّقْصِيرِ فِي الطَّاعَاتِ الَّذِي يَكَادُ يَمْنَعُهَا مِنَ الاعْتِدَادِ بِهَا، فَضْلًا عَنْ تَكْفِيرِ المَآثِمِ.

بينهما اصطلاحيٌّ؛ لاختلافِ تعلُّقهما، واللهُ سبحانه مُنزَّه عن سابقةِ الجهل وعن الاكتسابِ؛ إذْ علْمُه صفةٌ قديمة قائمة بذاته، فيَستحِيل عليه الجهلُ، وإذا كان العلْمُ بمعنى اليقينِ تعدَّى إلى مفعولينِ، وإذا كان بمعنى عرَف تعدى إلى مفعول واحد، وقد يُضمَّن معنى شَعَرَ فتدخل الباءُ فيقال: علمْته وعلمت به، وأعلمته الخبرَ وأعلمته به.

واعلمْ أن العُقولَ ثلاثةٌ: عقلُ معاشٍ، وعقل مَعادٍ، وعقل معانٍ، والأوَّل يُشاركُ فيه الإنسانَ الحيوانُ، والثاني لمَن طلب أعمال المَعاد وجرى عليها، والثالث لمَن كان غذاءُ روحِه العلومَ والمعارف، فهي في الفضيلة على حسب ترتيبها في الذِّكر، والله أعلم.

قوله: «**وذكرتني**» إلخ، الاسمُ منه الذُّكر بضم الذال وكسرها، كما نصَّ عليه جماعةٌ منهم أبو عبيدة وابن قتيبة، وأنكر الفراءُ الكسرَ في القلْب وقال: اجعلني على ذُكر منك، بالضم لا غير(١).

قوله: «**ما جبلت عليه**»، مَا: موصولة، وجُبِلت بمعنى خُلقت وطُبعت مِن الشهوات وحبِّ الراحات، وقوله: «**من الذنوب**»، بيانٌ لمَا قبله، وعطْف المخالفات على الذنوب للتفسير، وقوله: «**والتقصير في الطاعات**»: أي التهاونِ بها مع القُدرة عليها، وقوله: «**الذي يكاد**» إلخ صفةٌ لما قدَّمه قبلَه، ويكاد بمعنى يقرُب: أي يمنعها من الاعتداد بها: أي ومنعه بسبب كوْنه قاطعًا من قواطعها، وقوله: «**فضلًا**

---

(١) المصباح المنير ١/٢٠٨.

وَقَوْلُهُ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ العَزِيزَ: «**فَلَمْ تَدَعْ لِي رَجَاءً**»؛ أَيْ فَلَمْ تَتْرُكْ لِي بَابًا مِنْ أَبْوَابِ جُودِكَ وَإِحْسَانِكَ ...

عن تكفير المآثم» يعني لأنَّ تكفير المآثم بها شرْطه الاعتدادُ بها، وإذا انتفى الشرْط انتفى المشروط.

قوله: «**ما جبلت عليه**»، الجِبِلَّة بكسرتين وتثقيل اللام والطبيعة والخَليقة والغريزة بمعنًى واحدٍ، وجبَله اللهُ على كذا من باب قتل: فطره عليه، وجبليٌّ: منسوب إلى الجِبِلَّة، كما يقال: طبيعيّ، والمعنى ذاتيٌّ مُنفعل من تدبير الجِبلة في البَدَن بِصُنعِ بَارِئِهَا، ذلك تقديرُ العزيز العليم، لا يُسأل الله عما يفعل(١).

قوله: «**قدس الله... إلخ**»، القُدُس بضمتين وإسكان الثاني للتخفيف هو الطُّهْر، واسم المفعول منه مُطهَّر، والسِّرُّ ما يُكتم خلاف الإعلان، والجمعُ الأسرارُ، فهو ما خَفِي عن الغير، فالمعنى على الدعاء بتطهير سرِّ العارف المرسي مِن الميل إلى الأغيار، والعزيزُ: هو القويُّ الذي لا يُغالب في عِزَّته(٢).

قوله: «**فلم تدع لي رجاء**»: أي لم تترُكْ لي شيئًا مما قدَّمْته في حياتي أترجَّى به رحمتَك وغُفرانك.

قوله: «**أي فلم تترك لي بابًا**» إلخ، يعني أنَّه بواسطة ما طرَقَه مِن واردات مُعاملتِه بمُقتضى العدْل، فَنِيَتْ أعماله وطاعاته في نظره؛ لعدَمِ سلامتها بحسب هذا الواردِ مما يمنعُ قَبولَها مما علِمه وما لم يعلمْه مِن التقصير فيها، بل جميعُ الأبواب المُوَصِّلةِ إلى

---

(١) المصباح المنير ٩٠/١، بتصرف يسير، وانظر: التوقيف على مهمات التعريف ص:٢٣١.

(٢) انظر: المقصد الأسمى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي ص٧٣.

لِغَلَبَةِ طَوَارِقِ الخَوْفِ عَلَيَّ حِينَئِذٍ وَاتِّسَاعِ أَبْوَابِهِ، جَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا يُجَرُّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ خَوْفًا فِي مَرْضَاةِ اللهِ تَعَالَى

إحسانِ الربِّ قد أُغْلِقتْ بهذا الوارد المهمّ.

قوله: «**وإحسانك**» عطْفه على الجُود للتفسير.

قوله: «**لغلبة طوارق الخوف**»: أيْ لكثرةِ ما يرِدُ على قلبي منها؛ لِمَا ظهر لي مِن كثْرة تلك الأسبابِ المُسبَّبِ عنها الخوفُ مِن عقابك، وطرَق مِن باب قَتَلَ، والطريق يُذَكَّر في لغة نجدٍ، ويُؤنَّثُ في لغة الحجاز، وبالأولى جاء القرآن في قوله: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧]، والجمعُ طُرُق بضمتينِ، وجمعُ الطرُق طُرُقات.

قوله: «**لو أن رجلًا**» إلخ، الرجلُ ليس بقيد، بل مثلُه غيرُه، «**يُجَرَّ على وجهه**»: أي يُسحَب عليه، «**مِن يوم ولد**»: يعني مِن ابتداءِ وِلادتِه إلى أن يموتَ: أي تُقبَض روحُه، **خوفًا**: مفعولٌ لأجله، «**ليجر في مرضاة الله**»: أي طلبًا لما يُرضِي ربَّه تعالى، «**لحقره**»: أي عدَّهُ حقيرًا، «**يوم القيامة**»: أي وقْتَ مُشاهدةِ جزائِه في مقابلة عمَله ذلك، فتحصَّل أنَّ تقلُّبَ العبد في أعمالٍ شاقَّةٍ عليه في الدنيا مع الإخلاص فيها، وقصْد رضا ربِّه مُجازى عليها جزاءً عظيمًا يُؤدِّي إلى تحقيرِ تلك الأعمالِ بالنِّسبة لِمَا جُوزي به في مقابلتها.

قوله: «**ليت... إلخ**»، حرْف تَمَنٍّ، تقول: ليت زيدًا قائمٌ إذا تمنَّيت قيامَه، ونصبُ الجزئينِ معًا بها لغة شاذَّةٌ[1]، ومن ذلك: إنَّا مِنَ المُجْرِمِيَن مُنْتَقِمِيَن.

---

(١) انظر: التذييل والتكميل شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي ٥/٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٥٦٨/٤، ومن نصب هو الفراء، وقد بين ابن يعيش وجه كلامه.

لَحَقِرَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ». وَقَوْلُهُ: **فَلَيْتَ شِعْرِي! كَيْفَ أَرَى إِحْسَانِي مَعَ إِحْسَانِكَ**؛ أَيْ كَيْفَ أَعُدُّ مَا صَدَرَ عَنِّي مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَاتِ إِحْسَانًا يَسْتَوْجِبُ الجَزَاءَ عَلَيْهِ،

قوله: «**فليت شعري**»، تقدَّم الكلامُ عليها، والحاصلُ أنه يتمنَّى صُدورَ إحسانٍ منه مع أنه ما تمكَّنَ منه إلا بإقدارِ مولاهُ عليه، فإذًا لا إحسانَ إلا لوليِّ الإحسانِ، والنِّسبةُ إلى غيرِه شرعيَّةٌ لا حقيقيَّة؛ إذْ لا خالِقَ إلا اللهُ، ولا فاعلَ إلا هو، وأحكامُ الشارعِ القصدُ منها التأليفُ للمكلَّفين والتنشيط لهم؛ ليقوموا على حسب ما أُمِروا ونُهُوا، وإن كانت نسبةُ الأفعالِ إليهم مجازيَّةً صورية باعتبارِ نظَرِ مَن كُوشف بالحقائق، وعلِمَ خفيَّاتِ الدقائق، واللهُ أعلم.

قوله: «**كيف أرى إحساني**»، كيف: كلمةٌ يُستفَهم بها عن حالِ الشيء وصِفته، فيُقال: كيف زيدٌ؟ والمُرادُ السُّؤالُ عَن صِحته وسقَمه، ويُسره وعُسرِه إلى غير ذلك مِن الأحوال، وتأتي للتعجُّب والتوبيخ والإنكار[1]، وهو المُرادُ منها هنا، وأرى بمعنى أشهدُ وأعلم وأتحقَّقُ إحساني مع أنه صوريٌّ مع إحسانِك الحقيقيِّ، والمُرادُ الإنعامُ بالتوفيق للإحسانِ وغيرِه مِن طُرُق وأبوابِ الخيراتِ، فتحصَّلَ أن المعنى: كيف أَعُدُّ إحساني إحسانًا، وأعتمِده وأستنِد إليه مع كوْنه لولا إحسانُك السابقُ بتوفيقي له لَمَا تحقَّقَ لي إحسانٌ، فتبيَّن أن الإحسانَ لا تصِحُّ إضافتُه إلا إلى الله تعالى.

قوله: «**ما صدر عني... إلخ**»: أي ما ظهرَ عنّي في عالمِ الظُّهور مِن أنواع العبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحجِّ وغيرِها، وقوله: «**إحسانًا يستوجب الجزاء عليه**» يعني طاعة واقِعة مني مُقابل منك بجَزاءٍ عليها، هذا لا يَصحُّ ولا يُفهم، مع كونك الفاعلَ

---

(١) انظر: شرح التسهيل لابن مالك ١٠٤/٤، وحروف المعاني والصفات لأبي القاسم الزجاجي ص٣٥.

مَعَ أَنَّ إِقْدَارِي عَلَيْهِ إِحْسَانٌ مِنْكَ، وَنِعْمَةٌ تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ وَالمَزِيدَ فِي العَمَلِ، فَكُلَّمَا وَقَعَ مِنِّي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَالأَمْرُ فِيهِ كَذَلِكَ مَعَ مَزِيدِ الإِحْسَانِ، وَجَزِيلِ

بالحقيقة، والمتفضِّل على الخليقة، فلا يستحقُّ عبدُك عندك جزاءً حتى يرجوه أو يعملَ لأجْله. **وقوله**: «**مع أن إقداري عليه... إلخ**»، توضيحٌ لإنكاره استحقاقَه جزاءً في مقابلة ما يُوهم أنه له، وهو ليس له في حالٍ من الأحوال، ولا في تقديرٍ من التقادير، بل الإحسانُ لك أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، كيف لا يكون الأمرُ كذلك، ووجودي بإيجادك، وإمدادي بإمدادك! فلا حولَ لي ولا قوةَ إلا بك، تبارك اسمُك، وتعالى جَدك، ولا إلٰه للخلق غيرك.

قوله: «**مع أن إقداري عليه**»: أي تمكِيني مِن فعلٍ «**إحسان منك**»: أي إحسانٌ سابق منك حيث نسَبت لي ما لم يكن بقُدرتي، ولا في وُسعي ولا طاقتي، بل هو نعمة زائدةٌ تستوجِب مني الشكرَ، وهو صرْفُ العبدِ جميعَ ما أنعم اللهُ عليه به فيما خُلِقَ له مِن عبادة ربِّه، وقوله: «**فكلما وقع مني شيء**...إلخ»، الغرضُ تعميمُ إنكارِ شيءٍ له يستحقُّ عليه شيئًا في مقابلته، بل يمكن أن يشهدَه ويراه مزيد الإحسانِ منك، وجزيل الإفضال الخارج عما ذكره، فتحصَّل أن الأمور كلَّها مِن الله وإلى الله، وأن ما للعبد إلا الإضافة المَجازيَّة الصُّورية، وهي لا تقتضي بذاتها جزاءً، فسبحان مَن أنعم وتفضَّل على عباده بما ليس لهم فيه صنعٌ.

الإِفْضَالِ الخَارِجِ عَنْ ذَلِكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الجُمْلَةَ تُنَاسِبُ جُمْلَةَ الخَوْفِ.

قوله: «**واعلم أن هذه الجملة تناسب الخوف**»: أيْ وذلك؛ لكوْن الأعمال بهذا النظر تتلاشى حتَّى تصيرَ كالعدم، فكأن العبد أُمِرَ ولم يأتمرْ، وحينئذ فلا يستحقُّ إلا العقابَ، فيعظُم بذلك خوفُه، فسبحان اللطيف الخبير.

وَقَوْلُهُ قُدِّسَ سِرُّهُ: **أَمْ كَيْفَ أَجْهَلُ عِصْيَانِي مَعَ إِفْضَالِكَ**؛ يَعْنِي فَضْلَكَ بِالحِلْمِ وَالإِمْهَالِ وَالإِنْعَامِ وَالعَفْوِ وَالغُفْرَانِ ...

قوله: «**أم كيف أجهل عصياني مع إفضالك**»؛ يعني: ولو كنتُ مقصرًا في طاعتك، ومُخالفًا لا يمكِنُني ردُّ طوارق الرجاءِ عن قلبي لوعدك المُحقَّق، فلذلك وقعت في الحيرة ما بين طوارقِ الخوْف وطوارقِ الرجاء، حتى إذا أُخذتُ بواحدةٍ مِن هذه جذبَتْني الأخرى وردَّتني إليها، فحينئذ صرتُ لا قرارَ لي مع شيء منها، وأنا أقول: حيثُ كان الأمرُ كذلك أسأل الله تعالى مِن جُوده وكرم وجودِه أن يُأمِّن خوْفنا، ولا يخيِّبَ رجاءَنا؛ إنه كريم عفوٌّ غفور رحيم.

قوله: «**أم كيف أجهل عصياني مع إفضالك**»: أم تكون مُتصلةً ومُنفصلة، فالمنفصلةُ بمعنى بَلْ والهمزةِ جميعًا، ويكون ما بعدها خبرًا واستفهامًا، وهي مِن الخبر لا يلزمها شيءٌ، وفي الاستفهام مثل: زيدٌ قائمٌ أم عمرو؟ وتُسمَّى مُنقطعةً؛ لانقطاعِ ما بعدها عما قبلَها واستقلالِ كلِّ واحدٍ بأنه كلامٌ تام، والمُتصلةُ يلزمُها همزةُ الاستفهام، وهي بمعنى أيِّهما، ولهذا كان ما بعدها وما قبلها كلامًا واحدًا، ولا تُستعمَل في الأمر والنهي، ويجبُ أن يُعادِل ما بعدها ما قبلها في الاسميَّة والفِعليَّة؛ لأنها لطَلَب التعيينِ لأحدِ الأمرين، ولا يُسأَل بها إلا بعد ثُبوت أحدِهما، ولا يُجاب إلا بالتعيين(١)؛ لأن المتكلِّم يدَّعي حدوثَ أحدِهما ويسألُ عن تعيينه، وكيف: يُسأَل بها عن حال الشيء وصفتِه كما قدَّمْناه، والجهلُ ضِدّ العلْم، وهو بسيط ومركَّب، فالأوَّل: عدمُ العلمِ مع الإذعانِ لذلك، والثاني: جهْله بجهْله، والعصيانُ: المُخالَفة قولًا أو فعلًا أو اعتقادًا، والإفضالُ: الإحسان، والحاصلُ: أنه يُنكر جهْلَ عصيانِه مع

---

(١) انظر: شرح الشريف الرضي على الكافية ٤/٤٠٨.

فَلَا يُمْكِنُنِي الوُقُوفُ بِكَثْرَةِ عِصْيَانِي عَنْ شُهُودِ أَبْوَابِ جُودِكَ وَكَرَمِكَ، وَهَذِهِ الجُمْلَةُ تُنَاسِبُ جُمْلَةَ الرَّجَاءِ.

توارُد الإفضالِ عليه في حالةِ عصيانه.

قوله: «**بالحلم**» وهو التأنِّي وعدمُ العجَلة في الأمور، يُقال: حَلَمَ يحلُم من باب قَتَلَ حُلُمًا بضمتين، وإسكانُ الثاني تخفيفٌ، وحلُم بالضم حِلمًا بالكسر صفَح وستَر وتجاوَز فهو حليمٌ(١)، والإمهالُ: هو مقابِل العجَلة والمبادرة، والإنعام: هو الإحسان، والعفْو: هو التجاوُز، والغُفران: هو ستر الذنب أو نحوه.

قوله: «**فلا يمكنني الوقوف**» إلخ، يعني ليس في وُسعتي وطاقتي اليأسُ مِن رحمتك مع كثرة عِصياني بالوُقوف مع مُقتضى العصيانِ بدون مُشاهَدةِ أسبابِ جُودِك وكرَمك المحتملِ عقلًا أن تُقابِلَ العاصيَ بها، ولهذا قال المُؤلِّف: وهذه الجملةُ تُناسِبُ جملةَ الرجاء: أي تُوجِب التمسكَ به، ولعلَّ هذا يُحمَلُ على جهْل وعصيانٍ اتفقَا وناب العبد منهما، وإلا كان طمعًا محرمًا.

---

(١) المصباح المنير ١٤٨/١.

وَقَوْلُهُ نَفَعَنَا اللهُ بِعُلُومِهِ وَأَسْرَارِ إِشَارَاتِهِ: «**ق ج**» سِرَّانِ مِنْ سِرِّكَ، الظَّاهِرُ فِي مَعْنَاهُ أَنَّ «**القَافَ**» مُقْتَطَعَةٌ مِنِ اسْمِ اللهِ القَدِيرِ، أَوْ مِنِ اسْمِهِ المُقْتَدِرِ، وَأَنَّ

قوله: «**سران من سرك**»، يعني سِرَّانِ في مُعاملتك مَن تشاء بمُقتضاهما، فهما مِن أسرارك المكتومةِ التي لا يعلَمها غيرُك، ومن ذلك جاءتْ حيرةُ العبدِ وتقلُّبه بين كلٍّ مِن الرجاء والخوف، فنسألُك يا عليُّ يا عظيمُ أن تُأمِّنَ خوْفنا، ولا تخيِّب رجاءنا، مُتوسِّلين إليك بمَن قال مِن العارفين: **وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف فأمن خوفنا ولا تخيب رجاءنا**[١].

قوله: «**ق ج سِرَّانِ مِن سرّك**» لعلّه عنى السرينِ للاسمين الشريفين المقتطعِ منهما هذان الحرْفان، وعنى بالسر ما تقدمتِ الإشارةُ إليه مِن أسباب حيرتِه في فعل المعصيةِ والطاعة وعدَم تمكُّنه مِن الوقوف مع مُقتضَى كلٍّ منهما، وذلك لِمَا أشار إليه السِّرانِ اللذان في الاسمين المذكورينِ من القُدرة والجُود مع شهود ذلك تأتي الحيرة؛ لأن القادرَ شأنُه أنه يُؤاخِذ من خالَفَه أشدَّ المؤاخذة، والجَوَادُ شأنُه أنه يُقابِلُ المُسيء بالإحسان.

قوله: «**الظاهر في معناه**» يعني ما علمتُ منه بعد أن لم يكنْ معلومًا لي، أو هو ما برَزَ لي معناه بعد أن كان خفيًا، يُقالُ لغةً: ظهرَ الشيء يظهَر ظهورًا برَزَ بعد الخفاءِ، ومنه قيل: ظهر لي رأيٌ إذا علمتْ ما لم تكن تعلم منه[٢]، ومعنى الشيء ما يُعنى منه ويُقصد، وقوله: «**إن القاف مقتطعة من اسم الله القدير**»، يعني القادرَ أوِ المقتدرَ يعني البالِغَ في القُدرة لا إلى غاية، والمُرادُ أن هذا الحرف مأخوذٌ مِن الاسم الشريف

---

(١) القائل هو سيدي أبو الحسن الشاذلي في حزبه الكبير.

(٢) المصباح المنير ٢/٣٧٨.

«الجِيمَ» مُقْتَطَعَةٌ مِنِ اسْمِهِ تَعَالَى الجَوادِ، وَهُمَا يُنَاسِبَانِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَالخَوْفُ يُنَاسِبُهُ القُدْرَةُ وَالاقْتِدَارُ، وَالرَّجَاءُ يُنَاسِبُهُ الجُودُ، وَأَخَذَ الحَرْفَيْنِ

للإشارة إلى أنَّ المقصودَ معنى الاسمِ، وذلك للتعْمية على غير الأهلِ للإشارةِ المذكورة، وكذلك يُقال في الحرْف الآخر.

قوله: «**من اسمه الجواد**» يعني الكريمَ أو المُتكرِّم، يُقال: جادَ الرجلُ يجُود من باب قَالَ جُودًا فهو جَوَاد، والجمع أجْواد، والنِّساء جُود، وجادَ بالمال بَذَلَهُ، وجاد بنفسه سمَحَ بها عند الموت، وفي الحرب مُستعار من ذلك، وجادَ الفرس جُودةً بالضم والفتح، فهو جوَادٌ وجمعُه جيادٌ.[1] اهـ المُرادُ منه، فتحصَّل أن المقصود مِن الحرفين الاسمانِ الشَّريفان على طريق النِّداء والاستغاثة، واللجأ إلى مُقتضاهما، والرضا به مع التعرُّض إلى نفَحات العفْوِ والإحسان الَّتي لا تتوقَّف على عملٍ من العبد؛ لأن عفوَ القادر عن مقدورِه بإحسانه أَولى مِن مُؤاخذته بعدْله، وكذلك الجَواد شأنُه الكرَمُ على غيره لا في مُقابلةِ عملٍ، كيف لا يكون كذلك وقد أمرَنا أن نُحسِن إلى مَن أساء إلينا؟! فهو أوْلى بذلك مِنَّا كما أشار إلى ذلك بعضُ العارفين في وِرده، واللهُ أعلم.

قوله: «**وهما يناسبان ما تقدم...إلخ**»: أيِ الحرْفان بما قَصَدَ مِن قطعِهما مِن الاسمين الشريفين يُناسبانِ الخوْف في الاسم الأوَّل، والرجاءَ في الثاني؛ إذِ القادرُ يُخاف مِن مُعاملتِه العاجزَ بالقدرة، والجوادُ يُرجى أن يُقابلَ المُسيءَ بالإحسان، بل ذلك المَظنونُ في جُوده.

---

(١) المصباح المنير ١١٣/١.

المَذْكُورَيْنِ مِنَ الاسْمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا عَلَى مَا دَرَجَ عَلَيْهِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ: «**ألم طس ق ن ص**» مِنْ أَنَّهَا حُرُوفٌ مُقْتَطَعَةٌ

قوله: «**وأخذ الحرفين... إلخ**»: أيْ أخذ الحرْفين الذي هو معنى اقتطاعِهما مِن الاسمين الشريفين المقصود منه النّداءُ والاستغاثةُ بما دلَّا عليه، وهو الذَّات المُتعالية الجامعةُ للأسماء والصِّفات.

قوله: «**من رواية ابن عباسٍ**»: أيْ مما رُوِي عنه في هذا المقامِ باعتبارِ ما درَج عليه في فواتح السُّوَر وأوائلِها مِن أنها حروفٌ مُقتطعة مِن أسماء الله تعالى، وأنَّ المقصود منها إنما هو الأسماء.

مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَفِي رِوَايَةٍ: إِنَّهَا مِنَ الاسْمِ الأَعْظَمِ، وَعَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهَا مِنْ أَسْرَارِ اللهِ تَعَالَى. وَقَوْلُهُ أَمَدَّنَا اللهُ بِمَدَدِهِ: وَكِلَاهُمَا دَالٌّ عَلَى غَيْرِكَ، يَحْتَمِلُ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ لَهُمَا تَعَلُّقًا بِالغَيْرِ؛ إِذِ القُدْرَةُ تَتَعَلَّقُ بِمَقْدُورٍ، وَالاقْتِدَارُ بِمَقْدُورٍ عَلَيْهِ،

قوله: «**وفي رواية**»، يعني رِوايةً غيرَ المُتقدِّمة عن ابن عباس أنَّها مِن الاسم الأعظم، يعني من الاسم الذي عظُمتْ روحانيَّتُه باعتبار الذاكرين، وإلا فأسماءُ اللهِ تعالى باعتبارِ دَلالتها عليه تعالى جميعُها عِظامٌ لا تتفاوتُ في اسمٍ دون اسم آخرَ، ولا تفاضُلَ لبعضها على بعضٍ آخر؛ إذْ مرجِعُ الجميعِ الهُوِيَّةُ المطلقة، فافْهم أو تفهَّمْ.

قوله: «**وعن الشعبي أنها من أسرار الله تعالى**»، يعني ممَّا استأْثرَ اللهُ بعِلْمه فلم يُطلِعْ عليه أحدًا مِن خلْقه، ومِن هنا جاءَ جوابُ مَن سُئِلَ: هل يعلَمُ الوليُّ أنه وليٌّ؟ أجاب بلا يَعلَم؛ لأنَّ شرْط علْمِه بذلك علْمُه بحُسن عاقبتِه، وأنَّى يكونُ له ذلك! واللهُ أعلم(١).

قوله: «**وكلاهما دالّ على غيرك**»، يعني؛ لكوْنهما يتعلَّقانِ بمعنًى زائدٍ عن الذَّات العَلِيَّة، وذلك المعنى الزائدُ يتعلَّقُ بالغير، كما أشارَ إلى ذلك المُصنِّفُ، وقوله: «**ويحتمل أن المراد**» إلخ، يُريد تجويزَ احتمالٍ آخرَ غيرِ ما قدَّمه أوَّلًا، وهو جَواز وصفِ الغيرِ بالقُدرة والجُود شرعًا، وإن كان في الحقيقة ونفْسِ الأمر مُمتنِعًا؛ إذْ لا قادرَ ولا

---

(١) ذكر هذا الإمام القشيري في رسالته وحكى خلافا في هذا الأمر، وأن من العلماء من جوز ذلك، ووجه هذا القول: بأن يَكُون هَذَا الولي خص بكرامة هِيَ تعريف الحق إياه أَنَّهُ مأمون العاقبة إذ القول بجوز كرامات الأولياء واجب وَهُوَ وإن فارقه خوف العاقبة فَمَا هُوَ عَلَيْهِ من الهيبة والتعظيم والإجلال فِي الحال أتم وأشد فَإِن اليسير من التعظيم والهيبة أهدى للقلوب من كثير من الخوف. الرسالة القشيرية ٢/٣٠٠.

وَيَحْتَمِلُ أَنَّ المُرَادَ أَنَّهُمَا يَجُوزُ شَرْعًا أَنْ يُوصَفَ بِهِمَا غَيْرُهُ تَعَالَى بِأَنْ يُطْلَقَا عَلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ عَقِبَهُ: **فَبِالسِّرِّ الجَامِعِ ...**

جوادَ غيرُه في نظرِها، فافهمْ.

قوله: «**فبالسر الجامع الدال عليك**» إلخ، إنما كان سِرًّا؛ لأن مدلولَه الهُويَّة والحقيقةُ الغيبيَّة في حالِ تحقُّقِها بمقامِ أحديَّتِها الفرديَّة حيْث لا غيرَ فيها، وإنما كان جامعًا؛ لأن ما سواه مِن الأسماء والصِّفات يرجِع إليه بالنُّعوت الباهرةِ، والمظاهر المُتكاثِرة؛ إذْ لا بُدَّ لكلِّ اسمٍ وصفةٍ مِن مظهَر يظهرُ به، فهو حينئذٍ نقطةُ دائرتِها، وشمسُ فلَكِ تجلِّياتها بمظاهرها، ومِن ذلك لمَّا تحقَّقَ بما فيه مِن معنى الذُّكورية، وما في بعضها مِن معنى الأنوثية باعتبارِ الرحمةِ الرَّحمانيَّة وَقَعَ التناكُح الساري، فتحقَّق بذلك حقيقة الذَّراري، فافهمْ وتمعَّنْ(١) إن كنت معَنا، وإلا فَدَعْنا.

قوله: «**فبالسر الجامع... إلخ**»، اعلمْ أنه قد يَرِد على ألفاظِ الصُّوفية نثرًا ونظمًا ما يُوهِم اتِّحادَ العبدِ والربِّ مع أنه محالٌ لا يعقِله عاقلٌ، ولا يصحُّ فهمُه في كلامهم، بل يُريدون معنَى فناءِ مُراد العبدِ في مُراد الرَّبِّ، ولذلك لمَّا سُئل سيِّدي عليُّ بن وفا عن ذلك فقال: إنَّ مُرادَهم فناءُ مُرادِ العبد في مُرادِ الحقِّ تعالى، كما يُقال: بين فلان وفلان اتِّحادٌ إذا فعَل كلٌّ منهما بمُراد صاحبِه، ثُمَّ أنشد:

وعِلْمُـــكَ أنَّ كُلَّ الأمْــرِ أمْرِي ... هُوَ المَعْـــنَى المُسَـــمَّى باتِّحَادِ(٢)

فافهمْ.

---

(١) في المخطوط: تمعنن.

(٢) في المخطوط: وعلمك أن كل الأمر أمري هذا هو المعنى المسمى بالاتحاد، وهو على ذلك مكسور، وذكره الشعراني في اليواقيت على الصواب. انظر: اليواقيت والجواهر ٨٣/١.

الدَّالِّ عَلَيْكَ؛ أَيْ بِالاسْمِ الخَاصِّ بِكَ، وَهُوَ **اللهُ**؛ إِذْ لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالغَيْرِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ تَعَالَى ...

قوله: «**الدال عليك**»، يعني الدَّال دَلالةً وضعيَّة على حقيقة الألُوهية، ودلالةً إشارية على حقيقة الفَرْدانية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فافهمْ، والدَّلالةُ: الإرشادُ، يُقال: دلَلت على الشيء وإليه من باب قَتَلَ، وأدْلَلْتُ بالألف لغةٌ، والمصدر دُلُولة، والاسمُ الدِّلالةُ بكسر الدال وفتحها، وهي ما يقتضيه اللفظُ عند الإطلاق، والاسمُ الفاعلُ دالٌّ ودليل، وهو المُرشد والكاشف[1].

قوله: «**أي بالاسم الخاص بك**»، يعني الخاصَّ به تعالى إطلاقًا للفظ والمعنى، كذلك فهذا الاسمُ له تعالى دُون غيرِه مما سواه، يُقال: خَصَصته بكذا أخُصُّه خُصُوصًا من باب قَعَدَ، وخَصُوصيَّة بالفتح والضم إذا جعلته دُون غيرِه، وخصَّصته بالتثقيل مُبالغة[2].

قوله: «**إذ لا تعلق له بالغير**»، يعني لا تسميةً ولا معنًى، كما قدَّمته، وكما أفادَه المُصنِّف أيضًا.

---

(١) المصباح المنير ١/١٩٩.

(٢) الصحاح ٣/١٠٣٧، والمصباح المنير ١/١٩٩.

فَهُوَ **الاسْمُ الأَعْظَمُ** فِيمَا رُوِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، وَهُوَ الدَّالُّ عَلَى الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ، وَالجَامِعُ لِسَائِرِ النُّعُوتِ وَالصِّفَاتِ، فَهُوَ حِيطَةُ دَائِرَةِ الأَسْمَاءِ

قوله: «**فهذا الاسم الأعظم**» قدَّمْنا أن الأعظميَّة في الأسماء الحُسنى باعتبارِ التأثير في الذاكِر، وإلا فهي جميعًا عظيمةٌ لا تتفاوتُ إلا باعتبار المذكورِ، فلا تغفَلْ.

قوله: «**عن غير واحد من السلف**»، المُرادُ أن رُواتَه كثيرةٌ.

قوله: «**وهو الدال على الذات المقدسة**»، يعني وهو الكاشِف عن الذَّات المُطهَّرة والمُنزَّهة، والحقيقةِ المتعالية عن إدراكاتِ العُقولِ بالكُنْهِ.

قوله: «**والجامع**» إلخ، يعني الشامِلَ لها وسائر النعوت باقيها، وعطْفُ الصِّفات على النعوت للتفسير.

قوله: «**فهو حيطة دائرة الأسماء والصفات**»، يعني مُحيطها وجامِعها والشامِل لجميعها؛ لأنه مبدأُ الأفعال والانفعالاتِ الكَوْنية في المظاهر للأسماء والصِّفات؛ لرجُوعها إليه بالاسمية والوصفية، وهو لا يرجِع إليها كذلك، وإنما كان لفظُ الجلالة جامعًا مع دَلالته على الذَّات الفرْدانية والهُوية الغَيبية؛ ليكونَ الاسمُ كالمُسمَّى في حيرة العُقول النُّورانية، ولذلك إذا دام العبدُ على الذِّكر به مع حُضور قلْبه يؤثر فيه الغَيبةَ عن السِّوى(١).

---

(١) أي سوى الله.

وَالصِّفَاتِ؛ لِرجُوعِهَا إِلَيْهِ، وَلَا يَرْجِعُ هُوَ إِلَيْهَا فَيُوصَف بِهَا، وَلَا يَقَعُ هُوَ وَصْفًا لَهَا، وَقَوْلُهُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **لَا تَدَعْنِي لِغَيْرِكَ**؛ أيْ لَا تَتْرُكْ فِيَّ شَيْئًا لِمَا سِوَاكَ، بَلِ اجْعَلْنِي

قوله: «**لا تدعني لغيرك**»، يعني لا تترُكْ فيَّ بقيَّةً أقف بها مع ما سِواك حتى أتفرَّغَ لك بكُلِّي، فلا أُشغَل بما يحجبُني عن الاستِغراق في شُهودك، حتى أكونَ فانيًا في مرضاتك ومحبَّتك بحيث لا يتحقَّقُ فيَّ ذرَّةٌ للشعور بالغير الذي لا يُرضيك عني، هذا وقيل لبعض عُشَّاق الجمالِ الإلهي: تُريد أن ترى مولاك؟ فقال: لا، فقيل له: لِمَ؟ فقال: أُنزِّهُ ذلك الجمالَ عن نظَر مثلي، وفي المعنى قيل:

إنِّي لأحْسُدُ نَاظِرَيَّ عَلَيْكَ
حتَّى أغُضَّ إذَا نَظَرْتُ إلَيْكَ
وَأرَاكَ تَخْطُرُ فِي شَمَائِلِكَ الَّتِي
هِيَ فِتْنَتِي فَأغَارُ مِنْكَ عَلَيْكَ(١)

وأقول: ولعلَّه أطلق الشمائلَ وأراد لطائِفَ إحسانِ الحقِّ تعالى، فافهمْ.

قوله: «**بل اجعلني**» إلخ جملةٌ طلبية محصلُها طلَبُ فناءِ ذاتِه في الذَّات العَلِيَّة، وصفاتِه في الصِّفات الإلهية، وأفعالِه في الأفعالِ السَّنية، حتى لا يبقى فيه رسمٌ ولا جِسم ولا معنًى للغير.

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية ٤١١/٢، وللمؤلف توجيه جيد لهذه الحكاية في حاشيته على شرح الشيخ زكريا للرسالة القشيرية ص٣٦٤.

وَعِبَادَاتِي وَدُعَائِي وَخَوْفِي وَرَجَائِي وَتَوَجُّهَاتِي وَحَرَكَاتِي وَسَكَنَاتِي لَكَ خَالِصًا مُخْلَصًا مِنْ شَائِبَةِ الأَغْيَارِ.

قوله: «**خالصًا مخلصًا**»، الخُلُوص الصَّفاءُ من الشواغل، والمُخلِص اسم فاعلٍ منه، ويصِحُّ أن يكونَ اسمَ مفعولٍ، ويكون أبلغَ، فافهمْ.

قوله: «**من شائبة الأغيار**»، يعني من خلْط الأغيار لي بشيءٍ مما قدَّمته، يُقال لغةً: شابَ الشيء شَوْبًا من باب «قَالَ»: خَلَطَهُ مثلَ شَوْبِ اللبن بالماء، فهو مَشُوب[١]، فقوله: «**مِن شائبة الأغيار**» يحتمل أن يكون مِن هذا المعنى، فتحصَّل أن مُراده طَلَبُ تخلُّصه مِن الشُغل بالأغيار ولو قلّ، حتى يكون له فيه عُلقة، ولا شُبهة فيه، فهي فاعلة بمعنى مفعولة، مثل عيشة راضية.

وقال الجوهري: الشَّوائب هي الأدناسُ والأقذار[٢]، فتأملْ.

---

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم ١٢٩/٨، والمصباح المنير ٣٢٦/١.

(٢) الصحاح ١٥٩/١.

قَوْلُهُ رَضِيَ اللهُ عَنَّا بِهِ: **إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛** فِي قُوَّةِ التَّعْلِيلِ لِقَبُولِ الدُّعَاءِ. هَذَا مَا تَيَسَّرَ لِي فَهْمُهُ، ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ كَلَامًا عَلَى هَذَا الفَصْلِ للشِّهَابِ أَحْمَدَ

قوله: «**في قوة التعليل... إلخ**»؛ يعني فكأنه قال: لأنك على كل شيء قديرٌ، ومِن الجملة قَبول دعائي.

قوله: «**هذا ما تيسر لي فهمه**»؛ الإشارةُ إلى ما تقدَّم في شرْح هذه الاستغاثةِ، فما موصولةٌ أو موصوفةٌ، والتيسيرُ: التسهيلُ، والفَهْم: الإدراكُ، فالمعنى أنّ ما تقدَّمَ مِن الشرح اتَّفق للمُصنِّف بتسهيلِ الله تعالَى استقلالًا بدون مُراجعةِ قولٍ للغير إلا ما حُكِيَ عن اللغويين، واللهُ أعلم.

قوله: «**ثم رأيت بعد ذلك كلامًا**» إلخ، يعني بعد ما قدَّمَه مِن شرْح ألفاظ الاستغاثةِ المذكورِ اطَّلعَ على كلامٍ آخرَ بمعنًى آخرَ شُرِح به ألفاظُ الاستغاثةِ المذكور؛ منسوبٍ للشهاب أحمدَ بن عبد الواحد أحبّ نقلَه؛ لكوْنه مُوافقًا لهذا الفصْل، واللهُ أعلم.

بْنِ عَبْدِ الوَاحِدِ أَحْبَبْتُ أَنْ أُلَخِّصَهُ تَبَرُّكًا بِنَفْسِهِ.

قوله: «**أن ألخصه**»، يعني أن أذكرَه مُلخصًا سهلًا قريبَ الفهمِ بحذف المُكرَّر وما يُغني عنه غيرُه تبركًا زائدًا للمنافِع بنفسه، يعني بما تنفَّس به الذي مِن جملته ما ذكَرَهُ في هذا الفصْل.

قَالَ: قَوْلُ الأُسْتَاذِ يَعْنِي أَبَا العَبَّاسِ المُرْسِي: إِلَهِي، مَعْصِيَتُكَ نَادَتْنِي بِالطَّاعَةِ، يَحْتَمِلُ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ: أَنْ يَكُونَ مُشِيرًا إِلَى أَنَّهُ سَبَقَ تَعَلُّقُ عِلْمِكَ بِهَا، وَقُدْرَتِكَ بِإِيجَادِهَا، وَإِرَادَتِكَ بِتَخْصِيصِهَا ...

قوله: «**أن يكون مشيرًا**»، محصله أن الكائناتِ بأسْرِها قد تعلَّق العلْمُ القديمُ بأن تكون فيما لا يزال، وجرَى بذلك القدرُ والقضاءُ أزلًا، فتكوينُها بقُدرته تعالى وإرادته بحِكمته على وجه ما سبقَ به العلمُ والتقديرُ والقضاء، فإذا ظهر أثرٌ مِن ذلك على يدِ أحدٍ مما نُسِبَ له به فعلٌ ظاهريٌّ بحُكمٍ كأنه وَقَعَ تذللًا وامتثالًا، لا مخالفة، كيف لا يُقال كذلك، ومرجعُ الكلِّ إلى الكلِّ، وإلا يلزمِ المحالُ بتبدُّل العلْم جهلًا وببطلان تعلُّق القدرة بمقدورها أو عجزها عنه، تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.[١]

قوله: «**إلى أنه سبق تعلق علمك بها**»، يعني بكوْنِها تكونُ من العبْد، وسبق تعلُّقُ قدرتك بإيجادِها في الوقت الذي أردتَّ أن تكون فيه على الحالةِ التي تكونُ عليها بإرادتِك، فتعيَّن وجودُها على وجهِ ما ذكر بحسب تلك التعلُّقات الضرورية لُزومًا ضروريًا، واللهُ أعلم.

---

(١) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد ص٦٢، والمطالب العالية للرازي ٣/١٦١، ٢٣١، ٤/١٦٣.

فَتَعَيَّنَ وُجُودُهَا عَلَى حَسَبِ تَعَلُّقِ العِلْمِ وَالقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ تَعَيُّنًا لُزُومِيًّا للعَبْدِ ضَرُورَةَ بُطَلَانِ تَعَلُّقِ العِلْمِ وَتَبَدُّلِهِ جَهْلًا، وَبُطْلَانِ تَعَلُّقِ القُدْرَةِ وَتَبَدُّلِهَا عَجْزًا، فَلَيْسَ إِلَّا وُقُوعُ هَذَا المَقْضِيِّ بِهِ عَلَى حَسَبِ سَابِقِ القَضَاءِ الأَزَلِيِّ، فَأَنَّى يُمَكَّنُ العَبْدُ وَوُقُوعُهَا حَتْمًا عَدْلًا مِنَ القَهَّارِ لَا ظُلْمًا، فَلِهَذَا كَانَتْ مُنَادِيَةً

قوله: «**فتعين وجودها**»، يعني وجبَ تحققُّها وكونها.

قوله: «**على حسب سابق القضاء الأزلي**»، يعني على ما اقتضاهُ مِن الأحكامِ، وعلى وجهِ تقديرها بهيئاتها في أزْمِنتها المخصوصة.

قوله: «**فأنى يمكن العبد**» إلخ، يعني كيف يتيسَّر له عدمُ المعصيةِ، والحالُ أنَّ وقوعها حتمٌ واجبٌ؛ لتقدُّم تعلُّق العِلم والقدرة والإرادة بالوُقوع، ومعلومٌ أنَّ الاستفهام المفهوم مِن «أنى» للإنكار لِمَا لا يخفى لدى عارف، وهو استحالةُ عدمِ وُقوعِ ذلك مع أنه خلاف ما تعلَّق به العلْمُ والقدرة والإرادة.

قوله: «**عدلًا**» إلخ، العدْلُ: القصدُ في الأمور، وهو خلاف الجوْر، يُقال: عدَل في أمره عَدْلًا من باب ضَرَبَ، وعدَل على القوم عدلًا أيضًا ومَعْدِلة بكسر الدال وفتحها بالمعنى المتقدم.[1]

قوله: «**من القهار**» إلخ، القهرُ: الغلَبة، يُقال: قهرَه قهرًا غلَبه، فهو قاهر، وقهَّار مبالغةٌ في القهْر، أقول: يُؤخَذ من ذلك أنَّ العبدَ في حال صدورِ المعصية منه، وإن خالَفَ سُلطانَ الأمر وخرجَ عنه فقد دخل بتذلله تحتَ سُلطان القهر، نعم لا يُسأل اللهُ عما يفعل، وقوله: «**لا ظلمًا**»، يعني لا تعدِّيًا؛ إذْ كيف يكون تعدِّيًا وهو تصرُّف

---

(١) انظر: كتاب العين ٣٨/٢، وتهذيب اللغة ١٢٥/٢.

عَلَيْهِ بِالطَّاعَةِ: أيْ بِالدُّخُولِ تَحْتَ مَجَارِي القَهْرِ اسْتِسْلَامًا للقَهَّارِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ١١]، فَهَذِهِ هِيَ الطَّاعَةُ المُشَارُ إِلَيْهَا فِي كَلَامِ الأُسْتَاذِ، وَسَيَأْتِي تِلْوَ هَذَا أَنَّهَا مَجَازٌ، وَقَوْلُهُ: وَطَاعَتُكَ نَادَتْنِي بِالمَعْصِيَةِ ...

مِن المالك في مُلكه، فتأملْ.

قوله: «**أي بالدخول تحت مجاري القهر**» إلخ، يعني أنَّ العبد العاصيَ بالاعتبار المتقدِّم كأنه بمعصيته أطاعَ وامتثل؛ لأنه مُذلَّل لِمَا خُلِق له وأريد منه حتى كأنَّ ما فعله جرَى مَجرى الطاعةِ باستِسلامه للقهَّار.

قوله: «**على حد قوله جل وعلا**» إلخ، يعني على نظيرِ ما قِيل في معناه مِن أنَّ المُراد أنهما مُذلَّلان لما أُريد منهما، وليس المُرادُ حقيقةَ ما ذُكر في الآية الشريفة مِن الأمر والطاعة والكراهة، ولا الإجابة بالقول، فعلى مثلِ هذا المعنى يُحمَل عليه كلامُ الأستاذ المُتقدِّم.

قوله: «**وسيأتي أنها مجاز**» يعني أنَّ إطلاقَ الطاعةِ على المعصية باعتبار قهاريَّة الربِّ مجازٌ.

يَحْتَمِلُ تَمْشِيَتَهُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّهُ يُشِيرُ بِهِ إِلَى سَبْقِ تَعَلُّقِ العِلْمِ وَالقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ، فَكَانَ الحَقُّ وُقُوعَ مَا جَرَى عَلَى يَدِ العَبْدِ مِنَ الطَّاعَاتِ؛ لِبُطْلَانِ امْتِنَاعِهَا؛ لِمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، هَذَا مَعَ أَنَّ العَبْدَ ...

قوله: «**يحتمل تمشيته على ما تقدم**»: ايْ في حمْله على الطاعة المصحوبةِ بالعِلل والقواطع، فهي بهذا الحمْل كأنها تُنادي فاعلَها بالمعصية في عيْن طاعتِه على حسب تعلُّق العلْم والقُدرة والإرادة باستِصْحابها العِلَل والقواطع، فكان بذلك وقوع ما جرَى على يد العبد من الطاعة المذكورة على هذا الوجه المذكورِ لاستحالة تخلُّفِ ذلك؛ لِمَا قدَّمه المُصنِّف مِن انقلاب العلْم جهلًا والقُدرةِ عجزًا.

قوله: «**هذا**» يعني احفظْ ما ذُكر مِن أن المعصية تُنادي بالطاعة، والطاعةَ تُنادي بالمعصية على حسبِ الاختلافِ بين النَّظَر إلى الظاهر وبين النظرِ إلى ما في نفْس الأمر، وذلك بالنظر الظاهر بالشريعة، والخافي بالحقيقةِ فيقعُ باختلاف النظَرينِ حيرةُ العبد حتى يكون دائمًا مُتقلِّبًا في طوارق الرجاء وطوارقِ الخوف.

قوله: «**مع أن العبد... إلخ**»، يعني أنَّ رؤيتَه في حال تلبُّسه بطاعةٍ معلولةٌ بقاطع مِن القواطع في نفْس الأمرِ بسابقِ تعلُّق العلْم والقُدرة والإرادة بوقوعها على هذا الوجه أنه أطاعَ نظرًا إلى الظاهرِ له، فيكون مناديًا على نفْسه حينئذ بدعوَى القُدرة على خلاف ما تعلَّق به ما ذُكر في حال تلبُّسه بالطاعة التي لم تكنْ معلولةً في نفْس الأمرِ، وأنه وقع منه ذلك، وهو التجرُّد عن العوائق بقُدرته، ولو سبقَ عِلْم وتقديرٌ أنها لا تكون إلا معلولةً، وإذا كان هذا في الطاعة المقبولةِ، فيتحقَّق أنه حينئذ في عيْن المعصية، فليُتأملْ، فإنَّ المقام دقيقٌ يصعُب إدراكُه إلا على ذكي.

يَرَى أَنَّهُ قَدْ أَطَاعَ وَمَا خَالَفَ، فَيَكُونُ مُنَادِيًا عَلَى نَفْسِهِ بِلِسَانِ حَالِ رُؤْيَتِهِ طَاعَةَ مَوْلَاهُ بِدَعْوَى القُدْرَةِ عَلَى المُخَالَفَةِ فِي حَالِ الإِطَاعَةِ حَقِيقَةً، فَعَدَلَ عَنِ المُخَالَفَةِ للطَّاعَةِ فَأَطَاعَ، وَإِذَا كَانَ بِهَذَا الحَالِ فِي حَالِ جَرَيَانِ الفَضْلِ المَقْدُورِ المُسَمَّى بِالطَّاعَةِ، فَهُوَ فِي عَيْنِ المَعْصِيَةِ، فَتَبَيَّنَ مِنْ هُنَا أَنَّ نِسْبَةَ الطَّاعَةِ لَهُ مَجَازٌ

قوله: «**بلسان حال**»، لسانُ الحالِ هو ما قابل لسان المقال.

قوله: «**يرى أنه قد اطلع وما خالف**»، يعني يعلمُ ذلك أو يظنُّه باعتبار ظاهرِ الحال، وغفلته عن العِلَل الموجبةِ تلاشيًا في نفْس الأمر؛ لتعلُّق العلْم والقُدرة والإرادة بكوْنها تكون معلولةً، وقوله: «**فيكون مناديًا**» إلخ محصّله أنَّ وقوفَه مع ظاهرِ الحال مع الغفْلة المذكورة يَصير طالبًا من نفْسه بلسانِ الحال دعوى قُدرته على مُخالفةِ ما تعلَّق العلمُ والقدرة والإرادة به بأنَّ طاعتَه تقعُ مُجرَّدة عن العِلَل مقبولةً بأنه يقدِر على إيقاعها معلولةً، والحالُ ما ذُكِر، وبأنه عدَلَ عن المُخالفة إلى الطاعة، فأطاع طاعةً حقيقية.

قوله: «**فهو في عين المعصية**»، يعني العبْد المُدَّعي القدرة على مُخالفة ما تعلَّقتِ المذكوراتُ بها على أنها تكون طاعةً حقيقة، وأنه هو الذي عدَلَ عن المُخالفة إلى الطاعة، وهو ظاهرٌ في كوْنه في عين المعصية في حالِ صِحَّة وسلامة طاعتِه، وقوله: «**ذنبي من هنا**»، يعني ظَهَر واتَّضح من توضيحِ المقامِ أن نسبةَ الطاعة له مجازٌ، والنسبة الحقيقية له تعالى، أقول: وكذلك نسبةُ المعصيةِ، وإنما ترَكها لمقام الأدبِ، وإلا فاللهُ الفاعل في كلِّ شيء.

كَنِسْبَتِهَا للسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمِنْ هَذَا الطَّرِيقِ يُفْهَمُ مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ لِسَيِّدِ خَلْقِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وَقَوْلِهِ عَزَّ شَأْنُهُ لَهُ أَيْضًا: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

قوله: «**ومن هذا الطريق يفهم**» إلخ: أي لأنَّه وإن كان المُخاطَبُ خاصًّا فالمُرادُ عمومُ كلِّ من يصلُح للخِطاب من أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، يعني بحسَبِ هواتف الحقيقةِ، وإن نُسبتْ إليك بدلائل الشريعةِ، فهو على معنى قوْلِه عزَّ شأنُه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

قوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]: أي إليه، لا إلى غيرِه مرجعُ الكائناتِ بأسْرها.

ثُمَّ قَوْلُهُ عَمَّنَا اللهُ بِبَرَكَاتِ أَنْفَاسِهِ: **فَفِي أَيِّهِمَا أَخَافُكَ، وَفِي أَيِّهِمَا أَرْجُوكَ، إِنْ قُلْتُ بِالمَعْصِيَةِ قَابَلْتَنِي بِفَضْلِكَ، فَلَمْ تَدَعْ لِي خَوْفًا، وَإِنْ قُلْتُ بِالطَّاعَةِ قَابَلْتَنِي بِعَدْلِكَ، فَلَمْ تَدَعْ لِي رَجَاءً**؛ يَعْنِي وَاللهُ أَعْلَمُ إِنْ رَأَيْتُ مَعْصِيَتَكَ الوَاقِعَةَ مِنِّي مِنْ حَيْثُ الأَدَبُ الشَّرْعِيُّ قَامَ الخَوْفُ بِي مِنْكَ، فَأَطْفَأَهُ وَارِدُ الفَضْلِ مِنْكَ عَلَيَّ بِإِشْهَادِي الحَقِيقَةَ مِنْ لَدُنْكَ...

قوله: «**ففي أيهما أخافك... إلخ**»، أيٌّ تأتي شرْطًا واستفهامًا وموصولةً، وهي بعْضُ ما تضاف إليه، وذلك البعضُ مُبهم مجهول[1]، وهي هنا للاستفهامِ المطلوب بها تعيينُ ذلك البعضِ المجهول، ولا يصِحُّ الجوابُ إلا مُعيَّنًا، فلمَّا لم يثقِ العبدُ بالطاعة لجهْل قَبولها ولم يقنَطْ مِن المعصية نَظرًا للرجاء والفضْل مِن المعبود تحيَّرَ فيما تركَنُ إليه، فاستفهمَ عما يُعوِّل عليه، فلم يجدْ عنه جَوابًا، ولهذا كان دائمًا مُتقلِّبًا بين الرجاء والخوْف.

قوله: «**من حيث الأدب الشرعي**»، يعني به حُكمَ ظاهرِ الشرعِ مِن نِسبةِ الحرَكات والسكَنات للعباد.

قوله: «**قام الخوف بي منك**»، أي تحقَّقَ الخوفُ بكثرة طوارقِه منك، أي مِن وعيدك على الأفعال الغيرِ مأذونِ فيها، وقوله: «**فأطفأه وارد الفضل**»، شبَّهَ الخوفَ بالنار، وارداتِ الفضْل بالماء المُطفِئ للنار، والمرادُ إزالةُ واردِ الفضْل، يعني ما يرِدُ على قلبي بإشهادي الحقيقةَ مِن أنَّ الأمر كلَّه منك وإليك، فأسلِّم أمري، ويزولُ بذلك خوْفي؛ إذْ لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بك.

---

(١) انظر: همع الهوامع للسيوطي ٢/٥١٧.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]. فَيَذْهَبُ الخَوْفُ، وَإِنْ قُلْتُ بِالطَّاعَةِ: أَيْ إِنْ رَأَيْتُهَا مِنِّي لَكَ مِنْ حَيْثُ النِّسْبَةُ الشَّرْعِيَّةُ،

قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]: أي لو تعلَّقتْ مشيئتُنا بذلك لوَقعَ وتحقَّقَ، والمُرادُ بالهِداية الدَّلالة المُوصِّلةُ إلى إحسانِ الربِّ جلَّ عُلاه.

فقوله: «**فيذهب الخوف**»: أي وذَهابُه بالالتفاتِ مِن هذا إلى أنَّه تعالَى أكرمُ الأكرمينَ، لا يخيِّب مَن يرجوه، «**وإن قلت بالطاعة**»، يعني إنْ ركنتُ إلى إخلاصي فيها، وإقبالِ وجهي عليك، «**قابلتني بعدلك**»: أي جازيتَني به، فقوله: «**أي إن رأيتها**»، يعني ظننتها مُعتمَدًا لي ومُستندًا، وقوله: «**مني إليك**»، يعني صادرةً مني وراجعةً إليك مِن حيث النِّسبةُ الشرعية، يعني مِن حُكم الشريعة في نِسبة أفعالِ العِباد إليهم(١)، وقوله: «**قام الرجاء**»: أي تحقَّق عندي الرجاءُ بواسطةِ أسبابِه، وقوله: «**فأفناه وارد العدل منك**»، يعني فأعدَمه ما يرِد على قلْبي مِن طوارقِ العدْل بمُعاملتي به الناشئ مِن صِفتك.

قوله: «**بإشهادي الحقيقة من لدنك**»، يعني بالْتفات نفْسي إلى أنَّ الحقيقةَ في كلِّ شيء مِن عِندك، لا مدخلَ للغير فيه أصلًا؛ إذ لولا إقداري لمَا أمكنَني فعلُ شيء.

---

(١) انظر: أبكار الأفكار للآمدي ٢/٢٢٤.

قَامَ الرَّجَاءُ بِي فَأَفْنَاهُ وَارِدُ العَدْلِ مِنْكَ عَلَيَّ بِإِشْهَادِي الحَقِيقَةَ مِنْ لَدُنْكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا

قوله: «**قال تعالى**» إلخ، استدلالٌ على ما قدَّمه مِن أنَّ الحقائقَ جميعَها لا تُحقَّق إلا به ومنه وله تعالى، فافهمْ.

قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]؛ يعني ويختارُ ما يَشاءُ، فحينئذٍ لا فاعلَ غيرُه تعالى، فأفعالُ العبادِ مخلوقةٌ له تعالى[١]، وحيث كان الأمرُ كذلك فإذًا لا مطمعَ لأحَدٍ في ثوابٍ على فعل خير؛ لأنه إنما حصَل بالتوفيق والإقدار، وهو نعمةٌ تحتاجُ للشكر بإزائها.

---

(١) انظر: شرح المقاصد في علم الكلام ٢/١٣٦.

يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ [القصص: ٦٨]. وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَلْتَعْلَمْ أَنَّ للفَضْلِ تَعَلُّقَاتٍ، وَأَنَّ للعَدْلِ تَعَلُّقَاتٍ، وَكِلَاهُمَا دَالٌّ عَلَى غِنَاهُ تَعَالَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَمِنْ تَعَلُّقَاتِ فَضْلِهِ

قوله: «**تعلقات**»، يريد مُتعلِّقات، وقوله: «**وكلاهما دال على غناه**»: أي وعلى افتقارِ الكائنات إليه.

قوله: «**فمن تعلقات فضله**»، يعني إحسانَه لِمَا سِواه مِن الخلْق، وقوله: «**ما يعامل به**» أي الذي يُعامل أو الشيء المُعامَل به، فما موصولةٌ أو موصوفةٌ.

قوله: «**من ستر**»، بيانُ المُتعلقات، السِّترُ ما يُستَر به، وجمعه سُتور، والسُّترة بالضم مثلُه، والسِّتارة بالكسر مثله، والسِّتار بحذف الهاء لغةٌ، وسَتَرَ بابُه قَتَلَ[1].

قال ابن فارس: السُّترة ما استترْت به كائنًا ما كان[2]، فعُلِم أنَّ سِتر الله لعبده أخفى عيبَه عن غيره، وقد يكونُ بمحْوِ ذنوبِه مِن صحيفته، واللهُ أعلم.

---

(١) انظر: المصباح المنير ١/٢٢٦.

(٢) مقاييس اللغة ٣/١٣٢.

مَا يُعَامِلُ بِهِ مَنْ عَصَاهُ مِنْ سِتْرٍ وَعَطْفٍ وَلُطْفٍ وَحَنَانٍ وَإِحْسَانٍ وَجُودٍ وَكَرَمٍ، وَبَسْطِ يَدِ الرَّحْمَةِ للعَاصِي مِنْ غَيْرِ حَدٍّ...

قوله: «**وعطف**»، يُقال: عطَفت الناقةُ على وَلَدها عَطْفًا من باب ضَرَبَ: حنَّت عليه ودرَّ لبنُها[١]، والمُراد هنا الإحسانُ، أو إرادتُه.

قوله: «**ولطف**»، اللطيفُ: الصغيرُ جِسمُه[٢]، ولُطف الله بعبده: رفقُه به[٣]، يُقال: لَطُف الشيء، فهو لطيفٌ مِن باب قرُب.

قوله: «**وحنان**»: أي رحمةٍ وعطفٍ، يُقال: حَنَنت على الشيء أحِنُّ من باب ضَرَبَ حَنَّة بالفتح وحَنانًا: عطَفت وترحَّمت، وحنَّت المرأةُ حنينًا اشتاقتْ إلى ولَدها[٤]، والمُرادُ هنا المعنى الثاني، وهو العطْف والرحمة.

قوله: «**وإحسان**»: أي إنعامٍ وتفضُّل.

قوله: «وجود»: أي تُكرُّمٍ، يُقال: جادَ الرجل يجُود من باب قَالَ جُودًا بالضم: تكرَّمَ، فهو جَوَادٌ، والجمع أجْوادٌ، والنِّساءُ جُود، وجاد بالمال بذَلَه[٥]، والمُراد هنا معنى التَّكرُّم.

---

(١) انظر: المصباح المنير ٤١٦/٢.

(٢) المرجع السابق ٥٥٣/٢.

(٣) انظر في معنى اللطف عند أهل السنة وغيرهم: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١٩٦/١، وتمهيد الأوائل للباقلاني ص٣٧٩.

(٤) المصباح المنير ١٥٤/١.

(٥) المصباح المنير ١١٣/١.

وَمِنْ تَعَلُّقَاتِ عَدْلِهِ مَا يُعَامِلُ بِهِ مَنْ أَطَاعَهُ مِنْ قَبْضٍ فِي الرِّزْقِ ...

قوله: «**وكرم**»، يُقال: كرُم الشيء كَرَمًا نفُس وعزَّ، فهو كريمٌ، والجمع كِرام، والأنثى كريمةٌ، وجمعها كريمات وكرائم، وكرائمُ الأموال نفائسُها[١]، فالكريم حينئذ باذِلُ النفائس، أو هو مَن يُعطي ما ينبغي لمَن ينبغي على وجهٍ ينبغي.

قوله: «**وبسط يد الرحمة**»: أيْ مَدِّها منشورةً بالعطاء، وبَسَطَ يدَه في الإنفاق: جاوزَ القصْد، وبسط الله الرزق [ومنعه][٢]، فتحصَّل أنَّ المُراد من بسْط يد الرحمة نشرُ الرحمة عامَّةً للعاصي مِن العباد، وغير العاصي بالأوْلى.

قوله: «**ومن تعلقات عدله**»: أي مُتعلِّقاتِه ما يُعامل به مَن أطاعه، «**مِن قبض... إلخ**»، بيانٌ للمُتعلِّقات، والقبْضُ في الرزق التضييقُ فيه ابتلاءً لعبده.

قوله: «**من قبض**» إلخ، قال أبو حبيبٍ البدريُّ رحمه الله لسُفيان الثوري: ما لي أطلبُ الشيءَ مِن الله فيمنعني؟ قال: منعُ اللهِ إياك عطاؤُه؛ لأنه لم يمنعْك بخلًا ولا عدمًا[٣].

وقال ابن العربي[٤] قدَّس الله سرَّه: «إذا منعَك فذاك عطاؤُه، وإذا أعطاك فهو منْعُه، فاخترِ الترْك على الأخذ»[٥]، أمَّا العطاءُ مِن الخلْق فهو حِرمانٌ مِن وجوه ثلاثة:

---

(١) المرجع السابق ٥٣٢/٢.

(٢) كذا في المخطوط، وفي المصباح ٤٨/١: وبسط الله الرزق: كثرَّه وَوَسَّعَه.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٧٨/٨.

(٤) هو: الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر: محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي، ت ٦٣٨هـ. نفح الطيب للمِقَّري ١٦١/٢.

(٥) النص في كتاب التراجم(رسائل ابن عربي ، رسالة التراجم ص٢١٦): إذا منعت فذاك عطاؤه

وَدُحُوضٍ بَيِّنٍ بَيْنَ الخَلْقِ، وَضَعْفٍ فِي الجَسَدِ ...

أحدها: تقلُّد المِنَّة، وقال الحكماء: الصبرُ على العدَمِ أيسرُ من تقلُّد المِنَن.

الثاني: صَرْف الوجهِ إليهم الذي رُبَّما أدْلَى للاعتماد عليهم، فكان سببَ الطرْد والإبعاد.

الثالث: شغْل الوقتِ بهم طلبًا للسلامة، ومكافأة لهم، وإلا كنتَ ذليلًا عندهم، وقد قيل: عِزُّ النزاهةِ أشرفُ مِن سرور الفائدة.

وقال أبو الحسن: اهرُبْ من خير الناسِ أكثرَ من هروبك مِن شرِّهم، فإنَّ خيرهم يُصيبك في قلْبك وشرَّهم يُصيبك في بدَنك، ولَأنْ تُصابَ في بَدنك خيرٌ مِن أنْ تُصاب في قلْبك، ولَعدوٌ ترجِعُ به إلى الله خيرٌ من صديق يصدُّك عن الله(١).

وقوله: «**ودحض**»، الدَّحضُ: الزَّلَّة والبُطلان، يقال: دَحَضَ الرجُل زلَّ، ودحضتِ الحجةُ بطَلت، وأدحضها اللهُ في التعدِّي(٢)، والمرادُ منه هنا الخمول بين الناس، وعدمُ الشهرة فيهم.

قوله: «**وضعف في الجسد**»، الضَعف بالفتح في لغة تميم، وبالضم في لغة قريشٍ خلافُ القوَّة والصحة، فالمضمومُ مصدر ضعُف مثل قرُب، والمفتوح مصدر ضعَف ضَعْفًا من باب قَتَلَ، ومنهم مَن يجعل المفتوحَ في الرأي، والمضمومَ في الجسَد وهو

، وإذا أعطيت فذاك منعه ، فاختر الترك على الأخذ. وأيضا في نسخة مكتبة الفاتح[مجموع ٥٣٢٢، ل ٤٧/ب].

(١) القائل هو سيدي أبو الحسن الشاذلي ، انظر: لطائف المنن ص ١١٣.

(٢) انظر: العين ٣٤٩/٧، تهذيب اللغة ١١٤/١٣.

وَقِلَّةِ حَظٍّ فِي الأَهْلِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ. وَإِذْ قَدْ تَبَيَّنَ هَذَا ...

ضعيف، والجمعُ ضُعفاء وضِعاف أيضًا، وجاء ضَعَفَةٌ وضَعْفى؛ لأنَّ فعيلًا إذا كان صفةً، وهو بمعنى مفعولٍ جُمِعَ على فَعْلَى مثل قتيل وقتلى، وجريح وجرحى.

قال الخليل: قالوا: هَلْكَى ومَوْتَى ذهابًا إلى أنَّ المعنى معنى مفعولٍ، وقالوا: أحمق وحمْقى، وأنْوَك ونَوْكَى؛ لأنه عيبٌ أُصِيبوا به فكان بمعنى مفعول، وشذَّ من ذلك سقيمٌ، فجمع على سِقام بالكسر لا على سَقْمَى ذَهابًا إلى أن المعنى مبنى فاعل، ولُوحِظ في ضعيف معنى فاعل، فجُمِع على ضِعاف وضَعَفة، مثل كافر وكفرة، وأضْعَفه اللهُ فهو ضعيف، وضعَف عن الشيء عجز عن احتماله، واستضعفته رأيته ضعيفًا، أو جعلته كذلك. اهـ المقصود منه.(١)

قوله: «**وقلة حظ... إلخ**»، الحَظُّ: الجَدُّ، يُقال: فلان محظوظ، وهو أحظُّ مِن فلان، والحَظُّ: النصيبُ، والجمعُ حُظوظ، مثل فَلْس وفُلُوس، فالمعنى حينئذٍ لا غِنَى له، أو لا نصيبَ له في المال والولَد(٢).

قوله: «**وإذ قد تبين هذا**» إلخ، إذْ حرْف جوابٍ وجزاءٍ ومُكافأةٍ أصلُها إذنْ، قيل: تُكتَب بالألف إشعارًا بصورة الوقْف عليها؛ فإنه لا يُوقَف عليها إلا بالألِف عند البصريّين، وقيل: تُكتَب بالنون، وهو عند الكوفيين اعتبارًا باللفظ؛ لأنها عِوَضٌ عن لفظٍ أصليٍّ؛ لأنه قد يُقال: أقوم، فتقول: إذن أكرمَك بالنون، فالنونُ عِوَضٌ عَن

---

(١) انظر: المصباح المنير ٣٦١/٢، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٣٩٦٩/٦.

(٢) انظر: الصحاح ٤٥٢/٢، والمصباح المنير ١٤١/١.

فَاعْلَمْ أَنَّ مُقَابَلَةَ العَاصِي بِأَثَرٍ مِنْ آثَارِ الفَضْلِ فِي حَالِ عِصْيَانِهِ رُبَّمَا يُزِيلُ عَنْهُ الخَوْفَ، وَمُقَابَلَةَ الطَّائِعِ بِأَثَرٍ مِنْ آثَارِ العَدْلِ فِي حَالِ طَاعَتِهِ رُبَّمَا يُزِيلُ

محذوف[1]، والأصلُ: إذْ تقومُ أكرمك؛ وللفرق بينها وبين إذا في الصورة، وهو حسَنٌ، والمعنى المرادُ هنا: وإذ تبيَّن ما تقدَّم مِن أن للفضل تعلُّقاتٍ، وأن للعدل تعلُّقاتٍ إلخ ما ذَكَرَهُ المُصنِّف، فاعلمْ... إلخ.

قوله: «**فاعلم أن مقابلة العاصي**» إلخ، يعني أن جَعَلَ ما يُقابل مخالفتَه أجزاءً مِن آثارِ الفضْل، كسعة في الرزق، وعافيةٍ في الجسم ونحو ذلك مما يُوجِب طمأنينة قلْبه ودوامَ غفْلته وإعراضه عما قُصِدَ مِن إيجاده، فيزول عنه الخوْف ويتمادى في سُبُل الغرور.

وقوله: «**ومقابلة الطائع... إلخ**»، يعني جَعَلَ أجْزاء طاعتِه وإقباله على ما أُريد مِن إيجاده أثرًا مِن آثار العدْل نحو الخُمول، وقلَّةِ المال والجاه، وضعفِ الجِسم، وفقْدِ الولد ونحو ذلك مما لا يُلائم النفْس ربما يُوهِمه سوء عاقبته، فيزولُ عن قلْبه طوارقُ الرجاء، فيعظم خوفُه.

قوله: «**أن مقابلة العاصي... إلخ**»، محصّله أن المُقابلةَ المذكورة بالفضْل والعدل لكُلٍّ مِن العاصي والمُطيع تكونُ للامتحانِ؛ إذْ قد يغترُّ العاصي بالفضْل عليه في حالة عِصيانه، فيزولُ عن قلْبه الخوفُ، وقد يرجِع العاصي إلى المُعاملة بالعدْل، فيزولُ عنه الرجاءُ.

---

(١) انظر: المقتضب للمبرد ٢/١١، والمفصل للزمخشري ص٤٤٣، وهمع الهوامع ٢/٣٧٣.

عَنْهُ الرَّجَاءَ، وَذَلِكَ؛ لأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ وُرُودِ أَثَرِ الفَضْلِ عَلَى سَلَامَةِ العَاقِبَةِ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ وُرُودِ أَثَرِ العَدْلِ عَلَى عَطَبِ العَاقِبَةِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَقَعَ الإِبْهَامُ عَلَى

قوله: «**وذلك**»؛ يعني ودَليلُ ذلك الذي ذكرْناه؛ لأنه لا بُدَّ له مِن أثر الفضْل على سلامة العاقبة؛ لتوهُّمه أنه لولا سلامةُ عاقبتِه ما أُفِيض عليه الفضلُ، وبذلك التَّوهُّم يزولُ عن قلْبه الخوفُ، ولا بدَّ له مِن وُرود أثر العدْل فيتوهَّم منه أنه لولا سوءُ عاقبتِه ما وَرَد عليه هذا الأثرُ، فيزول عن قلبه الرجاءُ.

قوله: «**وإذا كان كذلك... إلخ**»؛ يعني إذا علمتَ ما قدَّمَه المُصنِّف تعلَمُ وقوعَ الإبهامِ على الخلْق الذي به يكونون دائمًا متقلِّبين ما بين الرجاء والخوف، وقد يغلِب أحدُهما باعتبارِ بعْض الخلْقِ، فيدوم على أثرِه مِن الغُرور الذي قد يُفرِط فيه، فيؤدِّي إلى التهاون بالطاعة والخوْف الذي قد يُفرِط فيه، فيؤدِّي إلى اليأس، والعياذُ بالله مِن كلِّ ذلك.

الخَلْقِ، فَجَاءَ المُرَادُ بِقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] بِأَنْ تَرَى الأَشْيَاءَ مِنْهُ حَقِيقَةً مَعَ التَّبَرِّي مِنَ الحَوْلِ وَالقُوَّةِ، وَمَعَ رَدِّ

قوله: «**فجاء المراد**»: أي ظهَر واتَّضحَ بما قدَّمه ما أُريد مِن قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣]، وهو طَلَبُ التسليمِ والرضا مِن الخَلْق بما هو كائنٌ وبما يكون سواءٌ كان مُلائمًا للنفْس أو غيرَ ملائمٍ لها؛ لأن المرجعَ إلى الله تعالى، فالأمرُ كلُّه منه وإليه، ومنه يُؤخَذ معنى الاتِّحاد الذي قد يُفهَم من كلام بعض العارفين مِن أنه باعتبارِ شُهود الوجود الذاتيِّ الحق الفرد الأحد المطلق الذي الكُلُّ موجودٌ به، فيتحدُّ به الكلُّ مِن حيث كونُ كلِّ كائنٍ موجودًا به، معدومًا باعتبارِ ذاتِه في حالة وجوده، لا من حيث إنَّ له وُجودًا خاصًّا اتحدَّ بوجودِه تعالى المُطلَق الذاتيِّ؛ فإنه مُحالٌ لا يقتطعُه عاقلٌ، ولا يُفهم مِن ناقل، نعم الوُجوديَّةُ الذين ذهبوا مذهبًا غيرَ هذا المذهبِ، فهُمْ كفرَةٌ، لا كلامَ لنا معهم، واللهُ أعلم.

وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] ، يعني دُمْ على طاعتِه، وفوِّضْ أمرك إلى إرادة معبودك، فلا تختَرْ إلا ما اختارَه لك، وإن كان مُؤلِمًا لنفسك.

قوله: «**بأن ترى الأشياء... إلخ**»، يعني بأن تعْتِقد وتُذعِن بأنَّ سائر حركاتِ الكائنات وسكَناتها منه إيجادًا في نظَرك لحقيقةِ الحال، وما في نفْس الأمرِ مع تَبريك مِن الحوْل والقُدرة إلا بإعانته وإقداره تعالى.

قوله: «**ومع رد الأشياء اللائقة... إلخ**»، يعني بأنْ تأخذَ بالأسباب بشُهود الكسْب المنسوب إليك بظاهِر الشريعة مع الغَناء عنه، والانسلاخ عن لحْظه في نفسك لا اعتمادًا، ولا استنادًا، بل ائتمارًا وامتثالًا وانقيادًا حالَ كوْنك مُفوِّضًا جميعَ أمورك إلى باريك؛ لأنه الخالقُ للأسباب كالمُسبَّبات، لا تأثيرَ لِمَا سِواه في شيء أصْلًا البتَّة،

الأَشْيَاءِ اللَّائِقَةِ بِالسَّبَبِ للعِبَادِ كَسْبًا شَرِيعَةً مَعَ الانْسِلَاخِ عَنْ لُحُوظِ العِبَادَاتِ تَوَكُّلًا عَلَيْهِ، وَاسْتِسْلَامًا إِلَيْهِ، وَفَنَاءً لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَذَا هُوَ مُقْتَضَى العُبُودِيَّةِ

ويرحم اللهُ المحبَّ العارف ابنَ الفارض حيْث قال:

وإنْ خَطَرَتْ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةٌ
عَلَى خَاطِرِي سَهْوًا قَضَيْتُ بِرِدَّتِي

ولعلَّه يعني بالرِّدَّة خروجَه عن حدِّ استقامة المُحبين الفانين في محبوبهم الحقِّ جَلَّ وعلا.

قوله: «**مع الانسلاخ عن لحوظ... إلخ**»، الانسلاخُ: الخُروج والتَّجرُّد عن النظر إلى ما منه انسلَخَ، واللَّحظُ: المُراقَبة، يُقال: لحَظته بالعين ولحَظت إليه لَحْظًا مِن باب نَفَعَ: راقَبْته، ويُقال: نظَرت إليه بمؤخَّر العينِ عن يمين ويسار، وهو أشدُّ الْتِفاتًا مِن الشَّزَر، واللِّحاظ بالكسر مُؤخَّر العيْن مما يلي الصَّدْغ[1]، **وقوله**: «**لحوظ**»، الأوْلى أن يقول: لحْظ، فتحصَّل أنَّ المُرادَ النهْي عن النظَر للعبادات سواءٌ كان بعين أو مراقبة قلْب، وفي نفْس الأمر الضارِّ هو المُراقبة للاعتماد.

قوله: «**توكلًا عليه**»: أيْ تفويضًا لمَا يُريدُه تعالى، وقوله: «**واستسلامًا**»: أيِ انقيادًا راجعًا إليه تعالى، وقوله: «**وفناء له بين يديه**»: أي غفلةً عن السِّوى حالةَ يكونُ بين يدَيه تعالى؛ ليتمَّ بذلك مقامُ الإخلاص لك.

قوله: «**فهذا**»: أي ما ذكَر المُصنِّف قبلُ هو مقتضى العُبودية المَحْضة: أي المطلوبُ من العبد، والمُحقِّق لعبوديته؛ لأن المُكاتب قِنّ ما بَقِي عليه درهمٌ.

---

(١) المصباح المنير ٢/٥٥٠.

المَحْضَةِ، ثُمَّ رَأَيْتُ شِعْرًا لِبَعْضِهِمْ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: «**ق**» وَهُوَ:

لَقَدْ رَمَزَ الأَشْيَاخُ سِرًّا مُكَتَّمًا ... عَنِ القَافِ لَمْ يُبْدُوا لَهَا أَبَدًا حَلًّا

قوله: «**قد رمز الأشياخ... إلخ**»: رَمَزَ من باب قَتَلَ، وفي لغةٍ من باب ضَرَبَ: أشارَ بعيْنٍ أو حاجبٍ أو شَفة[1]، والمرادُ أنه أشارَ إشارةً تخفى على غير الأهْل، والشيخُ هنا مَن بلغ رُتبةَ أهْل الحقائق.

قوله: «**سرًا**»، السِّرُّ ما قابَل الظاهرَ، فهو ما يُكتم، خلاف الإعلان، والجمعُ: الأسرارُ، يُقال: أسررت الحديثَ: أخْفيته، يتعدَّى بنفسه، وأما قوله تعالى ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١] ، فالمفعولُ محذوفٌ، والتقديرُ: تُسِرُّون إليهم أخبارَ النبي صلى الله عليه وسلم بسبب المودَّة التي بينكم وبينهم، مثل: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، ويجوز زيادة في المفعول، وهو المودَّة للتأكيد[2]، وقوله: المُكتم تأكيد للسر.

قوله: «**عن القاف**» متعلِّق برمزوا؛ يعني رَمَزُوا رمْزًا ناشئًا عنها يُدركه منها مَن أنار اللهُ تعالى بصيرتَه، وقوله: «**لم يبدووا له حلًا**»، يعني لم يُظهِروا المرادَ منه غيرةً مِن غير الأهل؛ إذ لا يَعقل ذلك ويتبصَّر إلا العالِمُون مِن العارفين.

---

(١) المصباح المنير١/٢٣٨.

(٢) المصباح المنير١/٢٣٧.

يَقُولُونَ عِنْدَ القَافِ قِفْ لِتَرَى الَّذِي أَرَدْنَاهُ لَا تَبْغِي بِهِ بَدَلًا أَصْلًا

قوله: «**يقولون**»: أي المشايخُ في الجواب لمَن يسألهم مِن المريدين عما أُرِيد بلفظ «**ق**» من المعاني أنها مُقتطعةٌ من كلمة قِفْ، والمُراد مِن معناها طلبُ الوقوف مع الائتمارِ بالمأمورات والانتهاءِ عن المنهيات، ويحتمل أنَّ المسئولَ عنه «ق» فاتحةُ السورةِ القرآنيّة، ويحتمل مُطلق «**ق**»، واللهُ أعلم.

قوله: «**يقولون عند القاف**» إلخ، أي يذكرون لمُريديهم في الإشارة بهذا الحرْف أنَّ الغرَض منها معنى قِفِ المقتطعة منها، وهو قفْ عما تدعوك إليه نفسُك فناءً فيما أردناهُ مِن وجودك.

وقوله: «**لترى... إلخ**»، علةٌ لِطلبِ الوقوف بالمعنى المذكورِ، فترى بمعنى تعْلَم، و«الذي» مفعولُ ترى، وهو موصولٌ صِلَته «أردناهُ»؛ يعني أردناه منك ومِن وُجودِك، وذلك هو استهلاكُك في طاعتِنا مع التفويض إلينا في كلِّ ما يعرِض لك، لَاءَمَ أو لا، وقوله: «**لا تبغي به**»: أي لا تطلُب بذلك بدَلًا، وهو جميعُ ما أُشِير بالقاف إليه، قال شاعرهم في هذا المعنى:

وَقَفَ الهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي
مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدَّمُ

أَجِدُ المَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً
طَرَبًا لِذِكْرِكَ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

وَقَدْ رَأَيْتُ نَظْمًا للشَّيْخِ عَبْدِ السَّلَامِ البَغْدَادِيِّ مُجِيبًا بِهِ مَنْ سَأَلَهُ عَنْ مَعْنَى «ق»، وَهُوَ:

تَمَعن[١] إن كنت معنا، وإلا فدعْنا، ويحتملُ أن معنى لا تبغي به بدَلاً لا تطلب غير ما تعلَّقتْ به إرادتُنا ممَّا قسمْناه وقدَّرناه لك بحِكمتنا، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، فتدبَّرْ.

قوله: «**لا تبغي به بدلًا**» يحتمل أنَّ معناه لا تقصِدْ بعمَلِك غيرَ وجْهنا محبَّةً في ذاتنا، ولا تطلب على ذلك جزاءً؛ لئلَّا يصيرَ عملُك معلولًا، ولو كان بأُخرويٍّ.

---

(١) في المخطوط: تمعنى، ولعل الصواب ما أثبتناه.

يُرِيدُونَ قَافَ الرِّقِّ يَا ذَا النُّهَى فَكُنْ
بِمَقْصُودِهِمْ كَيمَا تَرَى الغُنْمَ وَالفَضْلَا

قوله: «**يريدون قاف الرق**»، هذا جوابٌ منه لمَن سأله عما يُراد من «ق» مِن إشارات المعاني فقال: «**يُريدون ق الرق**» يعنون أنَّ «ق» مُقتطعة من الرِّقِّ، والمقصودُ منها معناهُ، فالفرْضُ تمسُّك العبدِ بمعناه وتحقُّقُه بمعناه، فيدومُ على ما يقتضيه مقامُ عبوديته ما وَلَاهُ، كالعبد الرقيقِ من الخلْق مع مالكه وسيِّده، لا يسأل غيرَ ما أقامَه فيه مِن خِدمته، ولا يطمعُ في جزاءٍ عليه، وأمرُ مَعاشِه وما تدومُ به قوَّتُه مفوضٌ اختيارُه لسيِّده ومالكه، مع أنَّه لا يخفى أنَّ مُلْكَ السيِّد مَجازيٌّ، ولذلك لم يثبُتْ له فيه جميعُ التصرُّفات، بل يتصرَّفُ فيه بحسبِ الإذن الشرعيِّ، وأنَّ مُلْكَ الرب هو الحقيقيُّ الثابتُ فيه جميعُها، فالذي ينبغي للعبْد حينئذٍ أن يكون دائمَ العبوديَّة، وما تقتضيه منه بحيث لا يكون فيه ذرَّةُ ميلٍ إلى غير ما تقتضيه العبودية؛ إذِ المُكاتب عبدٌ، ما بَقِيَ عليه درهمٌ، فلا تتمّ العبوديةُ لله تعالى إلا بعد تحقُّقِ الحرية مِن غيره وما سواه.

قوله: «**يا ذا النهى**»: أيْ يا ذا العقْل، والمرادُ بالعقل هنا اللطيفةُ الإنسانيَّة المعبر عنها بالنفْس الناطقة المسماة بالقلْب.

واعلمْ أن مناطَ معرفةِ الله تعالى هي هذه اللطيفةُ باعتبار ما في وُسْعها، وإلا فالحقُّ تعالى معبَّر عنه بالكنز، بمعنى الأَحَدية والهُوية المكنونةِ في غيْب الغيب، فهو تعالى أبطنُ كلِّ باطن، كما هو أظهر كل ظاهر.

واعلمْ أيضًا أن المعرفة به تعالى هي كوكبُ الفتحِ المتحقِّق بمظهريته النفْس الكُلِّيَّة قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦].

....

واعلمْ أنَّ اللُّب والعقل هو مهبِطُ النور الإلهي الذي يُدرك به العلومَ المتعالية عن إدراك القلْب؛ للتعلُّق بالكوْن المحجوبِ بالعلم الرسميِّ، وذلك النورُ مِن حُسن السابقة المفيضِ على خير اللاحقة، فافهم، وقوله: «**فكن بمقصودهم**»: أي تحقَّقْ بما ذكروه مِن معنى الإشارة بقاف المذكورِ عنهم.

قوله: «**ترى الغُنم**»، يعني ليتحقَّق لك الغُنم، وهو إصابةُ الغنيمة، يقال: غَنِمت الشيء أغنَمه غُنمًا أصبته غَنيمة ومَغْنمًا، والجمعُ الغنائمُ والمغانم، «والغُنم بالغُرم»: أي مُقابَلٌ به، فكما أنَّ المالكَ يختصُّ بالغُنم ولا يُشارِك فيه أحدٌ، فكذلك يتحمَّل الغُرمَ ولا يتحمَّله معه أحدٌ، وهذا معنى قولهم: الغُرم مجبورٌ بالغُنم[١]، **فتأمَّلْ يا أهلَ التأمُّلِ، في هذه المعاني اللغوية، وتحقَّقْ بما تقتضيه منك العُبوديةُ، فقُمْ بما أمرَك به موْلاك تَفُزْ بهَناك، ولا تسألْ ما سواه تسلَمْ مِن عَناه، مع أنَّ القِسمة لا تزيد، وأنت عما لك لا تحيد.**

قوله: «**والفضلا**»، الفضْل: الزِّيادة، يقال: فَضَلَ فَضْلًا من باب قَتَلَ: زادَ، والجمعُ فُضُول، مثل فَلْس وفُلُوس، وقد استُعمل الجمعُ استعمالَ المفردِ فيما لا خيرَ فيه، ولذا نُسب إليه على لفْظه فقيل: فُضُوليّ لمَنْ يشتغِلُ بما لا يَعنيه؛ لأنه جُعِلَ عَلَمًا على نوْعٍ مِن الكلامِ، مُنزَّلٌ منزلةَ المفردِ، وسُمِّيَ به الواحدُ، واشتُقَّ منه فَضالة مثل جَهالة وضَلالة، وسُمِّيَ به، ومنه فضالة بن عبيد[٢].

---

(١) المصباح المنير ٢/٤٥٤.

(٢) المصباح المنير ٢/٤٧٥.

فَفِي الخَبَرِ المَشْهُورِ هُمْ يَزْعُمُونَ مَنْ
عَرَفَ نَفْسَهُ فَهْوَ الَّذِي عَرَفَ المَوْلَى

قوله: «**والفضلا**»، اعْلمْ هداني اللهُ وإياك أنَّ الفضْل في الحقيقة إنما هو زينةُ الباطنِ بالتفكُّر في بَساتينِ التوحيدِ، والتنزُّه في رياض حدائقه، والتفكُّه بجنْي ثِمار هذه الحدائقِ، فهو الذي عليه المُعوَّل في الفلاح والفوز والنجاح، ومن هذا حُكي أنَّ إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه رآه بعضُ السفهاء مِن الجُهال في ثيابٍ خَلَقة، فعاتبَه فيها، فقال له ارتِجالًا شعرًا مِن عين الحكمة(١):

لَئِنْ كَانَ ثَوْبِي فَوْقَ قِيمَتِهِ الفَلْسُ
فَلِي فِيهِ نَفْسٌ دُونَ قِيمَتِهَا الإِنْسُ
فَثَوْبُكَ شَمْسٌ تَحْتَ أَنْوَارِهِ دجى
وَثَوْبِيَ لَيْلٌ تَحْتَ أَطْمَارِهِ شَمْسُ

قوله: «**ففي الخبر المشهور... إلخ**»، يعني يدُلُّ على ما ذكرَهُ المشايخُ من أنَّ مدار معرفةِ الربِّ على علْم صفاتِ العَبْد الحديثُ الذي قد اشتهر على ألْسِنة الخلْق مع أنه لم يتحقَّق وُرُودُه عن ثِقاة الرُّواة للأحاديث، نعم قِيل: إنَّه مِن الآثار لا مِن الأخبار.

قوله: «**هم يزعمون من... إلخ**»، يعني أنَّ مَن يرويه حديثًا يزعم ثبوته منها، ولا يخفى ما في التعبير بالزَّعْم مِن التضعيف، وقولُه: «**من عرف نفسه...إلخ**»: أي الشخصُ الذي عرَف نفسَه باعتبار نُعوتها الذاتية والفرْضية فقد عرَف ربَّه ومولاه؛ لعدَمِ صحَّة إمكانِ وجودِه إلا بعلْم وجودِ إلهٍ واحد لا شريكَ له في شيء ما البتَّة

---

(١) نسبه المستعصمي في الدر الفريد وبيت القصيد ٨٩/٩ إلى الوائلي. ويوجد اختلاف في بعض الكلمات.

عَرَفْها بِرِقٍّ وَانْكَسَارٍ وَذِلَّةٍ
وَخَالِقَهُ رَبًّا لَهُ المَثَلُ الأَعْلَى

بصفاتٍ قديمة مُتباينة ومتعالية، لا يمكِنُ ثبوتُها لغيره تعالى؛ لتوقُّف وجودِ سائر الكائنات على وجودِه الذاتيِّ له القديمِ بقِدَمه تعالى، وعرَف: بمعنى علِم، يُقال: عرَفته عِرْفَةً بالكسر وعِرفانًا: علِمتُهُ بحاسَّةٍ من الحواسِّ الخمس، والمعرفةُ اسمٌ منه، ويتعدَّى بالتثقيل، فيُقال: عَرَّفْتُهُ به فعرَفه، وأمرٌ عارفٌ وعَرِيف: أي معروف[1]، والمَوْلىَ يُطلَق على معانٍ منها: المالِكُ، والسيِّد، والناصر، ومَن تولَّى الأمور، وكلٌّ منها يَصِحُّ إرادتُه هنا، كما يعلمُ ذلك مَن له اطِّلاع، والنفْس هي الرُّوح، واختلافُهما اعتباريٌّ، وقيل: غيرُها، ويُطلَق عليها النفْسُ الحيوانيّة، والرُّوح حقيقة نورانيَّة، وقيل: إنها مِن المُجرَّدات، لا يفتقِرُ وجودها على مادَّة ولا على مُدَّة[2].

قوله: «**عرفها برق**»؛ بدَلٌ مِن عرَف قبلَه للبيان، يعني علِمها به، وأنه عبد ومملوك لا تصرُّفَ له في شيءٍ ما إلا بإعانةِ وإقدار مولاه، وأنه لا يملِك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، ولا غير ذلك، وأنه إنْ ظهر بصفة المَلِك فهو مجازيٌّ لا حقيقي؛ إذ المَلِك الحقيقي المُطلَق إنما هو له تعالى خاصَّة، والرِّقُ مقابل الحرية.

قوله: «**وانكسار**»: أي بذُلٍّ وخضوع وفاقةٍ ذاتيَّةٍ، لا يقبل كلٌّ منها الانفكاكَ، فعطْف الذِّلة على الانكسار للتفسير.

قوله: «**وخالقه ربًّا**» مفعول لفعلٍ محذوفٍ يدلُّ عليه الفعلُ قبله، يعني وعرَف

---

(١) المصباح المنير ٤٠٤/٢.

(٢) انظر: شرح المقاصد ٢٧/٢، ومعارج القدس لأبي حامد الغزالي ص٦٨.

....

خالقَه ومُوجِدَه ربًا، والرَّبُّ يُطلَق على معانٍ منها: السيِّدُ، والمالك، والمُرَبِّي: أي المبلِّغُ عبدَه كمالَه شيئًا فشيئًا على التدريج لحِكمة باهرة.[1]

قوله: «**المثل الأعلى**» المُرادُ: لهُ الوصْف الأعلى على سائِر أوصافِ ما سِواه، أو له الذَّاتُ المتعالية عن سائر الذَّوات، فقد يُطلَق المَثَلُ على الشبيهِ، وبمعنى نفْس الشيء وذاتِه، وقد يُزاد في الكلام لغرَض، والجمْعُ أمثالٌ، ويُوصَف به المُذكَّرُ والمُؤنَّث والجمعُ فيقال: هي وهو وهما وهم وهنَّ مثلُه، وخرج بعضهم على هذا لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١] : أي ليس كوصْفه شيءٌ، وقال: هو أوْلى مِن القوْل بزِيادتها؛ لأنها على خِلاف الأصل[2]، والفرق بين المَثيل والشبيه والنظير: أن المثيل أخصُّ مما عداه، والشبيه أعمُّ من المثيل، وأخصُّ من النظير، والنظير أعمُّ من الشبيه، وذلك أن المُماثَلة تستلزِمُ المُشابهةَ وزيادةً، والمُشابهة لا تستلزم المُماثلةَ، فلا يلزمُ أن يكون شبيهُ الشيءِ مُماثِلًا له، والنظيرُ قد لا يكون مُشابهًا، فتحصَّل أن المُماثلة تقتضي المُساواةَ مِن كلِّ وجه، والمشابهةَ تقتضي الاشتراكَ فِي أكثرِ الوجوه، والمُناظرةَ تكْفِي في بعض الوجوه، ولو كان وَجْهًا واحِدًا، وهذا كلُّه على غير قول أهْلِ اللُّغة، أما على قولهم فجميعُها بمعنًى واحدٍ[3].

---

(١) المصباح المنير ٢١٤/١.

(٢) انظر: المصباح المنير ٥٦٣/٢.

(٣) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص١٥٣.

وَقَدْ جَاءَ فِي نَصِّ القُرَانِ دَلِيلُهُمْ
هِيَ المُبْتَغَى مِنْ خَلْقِهِ حَقِّقِ النَّقْلَا

قوله: «**وقد جاء في نص القران**»؛ يعني تحقَّقَ ورودُ النص في القرآن العزيز، والنصُ هنا المرادُ به الوُرودُ والثبوت، ونَصَّ الحَدِيثَ: رَفَعَه، والنصُّ في الاصطلاح: ما لا يَقبل التأويلَ(١)، «**دليلُهم**» فاعِلُ جاءَ بمعنى ثَبَتَ مجيئُه وورودُه نحو قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١] ، والدَّلالة: الإرشادُ إلى ما يَقتضيه اللفظُ عند إطلاقِه، يُقال: دلَلْت على الشيء وإليه من باب قَتَلَ، وأدْلَلْت بالألف لغة، والمصدر دُلُولة، والاسمُ الدِّلالة بكسر الدال وفتحها، واسمُ الفاعِل دالٌّ ودليلٌ، وهو المُرشد والكاشف(٢).

قوله: «**هي المبتغى من خلقه**»، يعني: الدَّلالةُ المفهومة مِن دليلٍ، المرادُ بها الاستدلالُ، هي المطلوبةُ مِن خلْقه طلبًا جازمًا؛ إذْ معرِفةُ الرَّبِّ أوَّل ما يجبُ على المُكلَّف(٣).

قوله: «**حقق النقل**»: أي تحقَّقْ بمعناه إنْ كنت ممن له اطّلاعٌ ومعرفة، أو اطلُبْ علْمَ ذلك من عارفٍ به، والنَّقلُ بمعنى المنقول.

---

(١) انظر: المستصفى ص ١٩٦.

(٢) المصباح المنير ١/١٩٩.

(٣) انظر: الشامل في أصول الدين ص١٢٠.

بِآخِرِ آيِ الذَّارِيَاتِ تَرَاهُمُ
بِتَأْوِيلِهِمْ كَيْ يَعْرِفُوا حَبَّذَا وَصْلَا

قوله: «**بآخر آي الذاريات**» إلخ، لعلَّه عنى قولَه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨]، تحقَّقْ بمقتضاه بِرُجوعك إلى تأويل المشايخ آخرَ آي السُّورة المسمَّاة بالذَّاريات، وقولَه تعالى فيها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨]، حيث يُشير إلى طلَب الكفِّ عن سؤالِ ما سواه بما يُدرك الفاهمُ مِن الجملة، وتأكيدِها، والإتيانِ بالضمير بعد اسم الجلالة، والمبالغةِ المستفادة مِن الرزاق المُعرَّف بأل، وحيث كان الأمرُ كذلك فالتشوُّف إلى ما سواه تعالى في مرغوب فيه عجيبٌ، وربما يُخرج التشوُّف المذكور صاحبَه مِن عِداد العقلاء، ولا سيَّما إذا علِم أنَّ القِسمة لا تزيد، وإنَّ طلبَ زائدٍ عنها لا يُفيد، هذا والمُرادُ من ذِكر الآية التعليلُ لطلَب معرفته تعالى بما يجِبُ له مِن الصِّفات الناشئة مِن معرفةِ نفْسِ العبد بما يجِبُ لهَا من الصِّفات أيضًا، والرَّزَّاقُ: مُعطي الرِّزْق بمُبالغة، والرِّزْقُ بالكسر اسمُ للمَرْزُوق، والجمعُ: الأرزاقُ، مثل حمْل وأحْمال، وارتزَقَ: أخَذَ رِزْقَه، وذو القوة: صاحبُ القوة، والمُرادُ منها القُدرة؛ لِمَا لا يخفى مِن منْع إطلاق القُوَّة عليه تعالى.

واعلمْ أنَّه تعالى كما رَزَقَ ما به قوامُ الأبدان يرزقُ أيضًا ما به حياةُ الأرواح مِن العلوم والمعارف المُفاضَّةِ على القُلوب المقدَّسة مِن بحر فيضانِ فيْضِ كمالاتِه وكلِماته، والمتينُ: الشديدُ القوِيُّ الذي لا يُقاوم ولا يُغالب، يقال: متُن الشيءُ بالضم مَتانةً اشتدَّ وقَوِيَ فهو متين(١).

---

(١) المصباح المنير ٢/٥٦٢.

ثَلَاثْمِائَةِ عِلْمٍ لِمَنْ شَا فَهْمَهَا
مِنَ الرَّاءِ وَالقَافِ الَّذِي جُعِلَا أَصْلَا

قوله: «**ثلاثْمائة**» إلخ، بإسكان المُثلَّثة للوزن، و«**عِلْمٍ**» تمييز للعدد، ولعلَّ المُرادَ التكثيرُ لا الحصر؛ إذْ لا حصرَ فيما يُنعِم به الربُّ على العبد منها «**لمن شاء فهمها**»: أي أرادَ ضَبْطَها وعدها بفَهمه وأدرى.

قوله: «**من الراء والقاف**»: أي مِن راءِ رَقِيقٍ وقافِه الذي جُعِلَا أصلًا يعني أصلًا للإشارة المرموزةِ لصاحِب النظر، ولعلَّ التعبير بالَّذي وإن كان المذكورُ اثنين لتخيُّله شيئًا واحدًا، وهو الأصل.

مَنَازِلُ سَيْرِ السَّالِكِينَ تَعُدُّهَا بِأقْسَامِ عَشْرٍ فَاجْعَلَنْ مِا بِهِ عَدْلَا
فَأوَّلُهَا بَابُ الإنَابَةِ يَا فَتَى وَآخِرُهَا التَّوْحِيدُ وَالمَطْلَبُ الأَغْلَى

قوله: «**منازل سير السالكين**» إلخ، يعني منازلَ وأمْكِنةً معنويَّةً مُضافة إلى حالاتِ السَّيْر الواقع للسالكينَ في أزْمِنة ترَقِّيهم المقاماتِ مقامًا مقامًا على التدريج للتوصُّل بها إلى المقصودِ الأعظم، والمُرادُ الأكبرُ الأكرم، ولا يخفى أنَّ المقامَ مما يدومُ، والحالَ بخلافه لا يُدوم[١]، وقوله: «بأقسام عشر»، لعلَّ المُرادَ التكثيُر، وإلا فلا حصَر لمرْجعه إلى ما يُنعم به المُنعِمُ الحقّ على عبده ويُوفِّقه لوصوله.

قوله: «**فاجعلن ما به**»: أي ما تحقَّقتَ به عدلًا: أي مُعادلًا لذلك العدَد.

قوله: «**فأولها**»: أي أوَّلُ المنازلِ والمقاماتِ التي ينزِلُها السالكُ ويُقيم بها حتَّى ينقُلَه مولاه رافعًا له على درجاتٍ إلا علَا منه منزلًا ومقامًا بالإنابة، يعني الإنابة المُوصِّلة إلى ما وراءها مِن المقامات، والإنابةُ هي الرجوعُ إلى الله تعالى عما كان عليه إلى قصْدِ ذاتِ ربِّه ورِضاه، ومعلومٌ أنها لا تستدعي سبْقَ الذنبِ بالمخالفة، بل قد تنشأُ عن الترقِّي إلى مقامٍ عالٍ يرى فيه الراقي له أنَّ ما كان فيه مِن المقامات بالنِّسبة إليه كأنه ذنبٌ، فيرجع عنه كرُجوعِ المُذنِب حقيقة، ومنه خبرُ: « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي »[٢] الحديث.

قوله: «**يا فتى**»، أصلُه من الفَتِيِّ، وهو الشّابُّ القويُّ، والفتى أيضًا العبدُ، وجمعُه في القلة فِتيةٌ، وفي الكثرة فِتيان، والأَمَةُ فتاةٌ، وجمعُها فَتَيات، والأصلُ فيه أن يُقال

---

(١) انظر: موسوعة الكسنزان ص١٨٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٠٢(٢).

....

للشَّابِّ الحَدَثِ: فتًى، ثم استُعِير للعبد وإن كان شيخًا مجازًا تسْمية باسمِ ما كان عليه[1].

قوله: «**وآخرها التوحيد**»، يعني آخرُ مقاماتِ السائر مقامُ التوحيد، وهو شهودُ الله تعالى واحِدًا ذاتًا وصِفةً وفِعْلًا يرجع إليه الكلُّ، بل هو الكلُّ بتحقيق النظَر، وعند تمكُّن السائرِ من السالكين في هذا المقام يقِفُ مِن ذاته ونفسه على حقيقةِ عجْزِه عن درْك ما وراءَ هذا المقامِ من الستائر، فعند ذلك تجذِبه جواذبُ الإعانات الإلهية حتى يشهدَ ما لا تدركُه العقولُ، ولا يُعبَّر عنه بالقول، كما يُرشِد إليه تسبيحُ الخليفة الأوَّل الأعْظم حيث يقول: سُبحان مَن لم يجعلْ لمَعرفته سبيلًا إلى معرفته إلا العجزَ عن معرفته[2]، فافهمْ، والله أعلم.

قوله: «**والمطلب الأعلى**»، المَطلب إما مصدر، أو موضِعُ الطلب، والأعلى: ما ارتفعَ، وزادَ على ما دونه.

---

(١) المصباح المنير ٢/٤٦٢.

(٢) القائل هو سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، انظر: الرسالة القشيرية ٢/٤٦٥، وللشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي كلام جيد جدا في هذا المعنى انظره في الفتوحات المكية الباب الثاني: في العلم والمعلوم والعالم، ١/٦٨.

ثَلَاثُ عُلُومٍ مِنْ طِبَاقٍ أَتَى بِهَا
هُوَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ جَادَ بِهَا نَقْلَا

قوله: «**ثلاث علوم**»، لعلَّه يُريد بها ما ترجِع المقاماتُ إليها، وذلك مما يشهَده السائرُ بصفاتِ توْبته، ثم ما يشهَدُه من وَحدةِ مقصودِه في منصَّته، ثم ما يُبهره مِن هيبةِ هُوَّيته الغيبيَّة المُطلقة التي لا تُدرِكها العقولُ، بل ترجِع على غير محصول.

قوله: «**من طباق**»، يعني محقّقة تلك العلومِ مِن تلك الطِّباق والدرجات المُنعَمِ بها على ساداتِ من البريّات.

قوله: «**أتى بها**» إلخ، يعني ذكرَها الشيخ عبد الله بالنقْل عن مشايخه، **وجادَ** بنقلها؛ يعني تكرَّم وتفضَّل بها على غيره، فقوله: نقلًا تمييزٌ للجُود.

قوله: «**عوام**» إلخ، يُريد بيانَ ما قدَّمه من الطِّباق والدرجات التي بحسَبِها المقامات، وما ارتفعَ مِن الدرجات، فأوَّل العُلوم للعوامِّ، وهم علماءُ الرسوم الواقفون مع ظواهرها، والثاني للخواصِّ ممن لم يبلْغ درجةَ الاختصاص، والثالثة لخواصِّ الخواصِّ وهم صفْوةُ اللهِ من عباده، والوسائل والوسائط في إيصال مُرادِ الله إلى قصاده، نسألُ الله أن يُمدَّنا بمدَدِ الجميع بسِّرِّ العليم السميع.

قوله: «**فكن أوحديًا...إلخ**»؛ يعني تحقَّقْ بالنسبة للواحدِ الأحد الفرد الصمد، عارفًا يعني صاحبَ عِرفان، «**دامغًا**»: أي مُبطلًا خلاف عرفانك «**فحلا**»؛ يعني رجُلًا كاملَ الرجولية، لا تخشَ في الله لومةَ لائم.

قوله: «**فهذا**» يعني ما ذَكَر «**جواب**»؛ يعني جوابَ مَن سأل عن المُراد بالقاف على ما قدَّمناه، «**من فقير**»، يعني صدرَ ممَّن وصْفُه الفقرُ الذَّاتي الذي لا ينفكُّ، ولا

عَوَامٌّ خَوَاصٌّ ثُمَّ خَاصُّ خَوَاصِّهَا
فَكُنْ أَوْحَدِيًّا عَارِفًا دَامِغًا فَحْلَا

فَهَذَا جَوَابٌ مِنْ فَقِيرٍ **مُحَصِّلٍ**
وَطَالِبِ فَهْمٍ أُلْهِمَ الرَّمْزَ وَالحَلَّا

يقبل الانفكاك، و«**محصّل**» يعني طالِب على حصولِ العلْم له، ذَكَرَهُ تواضُعًا وهضمًا للنفس، وقوله: «**وطالب فهم**»، يعني سائل أعرِف منه أنه يفهَمه ما لم يصلْ إليه فهمُه استقلالًا، قاله كذلك هضمًا للنفس، وقوله: «**ألهم الرمز**»؛ يعني الشيء المرموز المُعمَّى، «**والحلا**» يعني أُلْهِمَ حلَّ الرمز بكشْفه وبيانِ المُراد منه.

وَمَوْلِدُهُ دَارُ السَّلَامِ وَاسْمُهُ
بِعَبْدٍ لِلسَّلَامِ مِصْرَكُمْ حَلَّا

إِلَى العَالِمِ النَّحْرِيرِ نُعْمَانَ يَنْتَمِي
إِمَامِ الهُدَى وَالفَضْلِ كَمْ مُشَكِلٍ حَلَّا

قوله: «**ومولده**»، يعني محلَّ ولادته، وقوله: «**حلا**»، يعني نزلَ وأقام بها، وقوله: «**إلى العالم**»؛ يريد إلى ذاتٍ اتَّصفتْ بالعلْم الفائق، وقوله: «**ينتمي**»، يعني يُنسب.

قوله: «**إمام الهدى**»، يعني المُقدَّم في مقام هدايةِ الناس إلى طريق فلاحهم ونجاحهم؛ «**والفضل**»؛ يعني وإمام حُصول الزيادة مِن العُلوم للغير مِن الطالبينَ.

قوله: «**كم مشكل حَلَّا**»، يعني كثيرًا ما وضَّح ما الْتبسَ من العلوم على غيره.

قوله: «**والله ولي السؤال**»؛ يعني متولِّي إعطاء مَن سأله شيئًا فضلًا منه وكرمًا، وبذلك لا يملُّ مِن العطاء، ولا تنفد خزائنه، وهذه الجملة خبريَّة، والمقصودُ الدعاءُ، مُعترِضة بين القوْل ومقوله، «**قدِ اشتهر على الألسنة**»؛ يعني ظهرَ التكلُّمُ به على لِسان الكثير مِن الخلق، وقوله: «**لأنه ربما**»...إلخ، تعليلٌ للتكلُّم عليه مِن حيث ثبوتُه في روايةٍ من الروايات الصحيحة وعدمُ ثبوته فيها.

قوله: «**ليس بصحيح**»، يعني ليس بصحيح الإسنادِ إلى ثِقَة من الرُّواة.

ثُمَّ أَقُولُ وَاللهُ وَلِيُّ السُّؤَالِ حَيْثُ ذَكَرَ النَّاظِمُ فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ خَبَرَ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ»، يَنْبَغِي أَنْ أَتَكَلَّمَ عَلَى هَذَا الخَبَرِ الَّذِي قَدْ اشْتُهِرَ عَلَى الأَلْسِنَةِ؛ لأَنَّهُ رُبَّمَا يُفْهَمُ مِنْهُ مَا لَا صِحَةَ لَهُ فِيهِ، فَأَبْتَدِئُ أَوَّلًا بِأَنَّ هَذَا الحَدِيث لَيْسَ بِصَحِيحٍ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ النَّوَوِيُّ فِي فَتَاوِيهِ فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِثَابِتٍ، وَقَالَ الزَّرْكَشِيُّ فِي الأَحَادِيثِ المَشْهُورَةِ: ذَكَرَ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ: أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ الرَّازِي، ثُمَّ أَقُولُ مَا يَظْهَرُ لِي مِنْ مَعْنَاهُ عَلَى فَرْضِ ثُبُوتِهِ: إِنَّمَا عَلَّقَ مَعْرِفَةَ الرَّبِّ عَلَى مَعْرِفَةِ النَّفْسِ؛ لأَنَّهَا إِذَا تَطَهَّرَتِ اسْتَنَارَتْ بِنُورِ الحَقِّ قَالَ تَعَالَى: ﴿

قوله: «**وقد سئل عنه النووي... إلخ**»، يعني عن صِحَّته وثبوت كَوْنِه صحيحًا وثابتًا في الأحاديث المَرْوِيَّة عن الثِّقات أم لا، فقال: إنه ليس بثابتٍ فيها، «**وذكر السمعاني... إلخ**»، وعليه يكونُ أثرًا لا حَديثًا، وإن كان معناه صحيحًا وواردًا في السُّنة وفي الكتاب العزيز.

قوله: «**ثم أقول**» جملةٌ مُبتدأةٌ، المقصودُ منها إفادةُ التكلُّم عليه بما يدلُّ على المقصود منه على فرْضِ صحَّته ووُروده في الأحاديث وتقديرِ ذلك.

قوله: «**إنما علق معرفة الرب**» إلخ، يعني ربَط معرفةَ الرب باعتبار نُعوته المُسامِية على معرفةِ النفْس، كذلك فلا يمكن علْم الربِّ بالمعنى المتقدِّم إلا بعلْم النفْس كذلك؛ «**لأنها إذا تطهرت... إلخ**»، والحاصلُ المقصود أن العبد مُكلَّف بعلْم ربِّه ومعبوده على جهةِ الوجوب الأوليّ؛ لأنه أوَّل واجبٍ على المُكلَّف، وهو متوقِّف على علْم نفْسِه بصفاتها الدَّالةِ على وجوبِ الرَّبِّ، وما له مِن النُّعوت الباهرة، ومعرفةُ النفْس بأن ينظر في تغيُّراتها مِن وجود إلى عدم، ومِن عدم إلى وجود، ومن صِحَّة إلى سقم وعكسه، ومِن فقْر إلى غنًى وعكسه، وهكذا فيَعلَم أنها مُتجدِّدة ذاتًا وصفاتٍ،

ﷲُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧]: أَيْ مِنْ ظُلُمَاتِ الجَهْلِ إِلَى نُورِ المَعْرِفَةِ، فَإِذَا بَرَقَتْ عَلَيْهَا الأَنْوَارُ الإِلَهِيَّة...

أو حينئذ يظهرُ له أنه لا بُدَّ من مُبدِع قديم مُختار في فعله، لا شريكَ له ولا مُعينَ، وأن صفاته تُضادُّ صفاتِ نفسه، فبذلك يتَّضحُ له طريقُ قصْد ربِّه بعبادته التي خُلِق لها كما يُفيده قولُه تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ [الذاريات: ٥٦][١].

قوله: «**لأنها إذا تطهرت**» يُريد الطهارةَ المعنويَّة، وهي تخْلِية نفْسِه من دنَس الكُفر والنِّفاق، وتحليتُها بنور النظر فيها وفي الآفاق، «**استنارت بنور الحق**» بخروجِها مِن الظُّلمات الجَهاليَّة إلى الأنوار السُّبحانية، وذلك بأضواءِ إشراقِ شُمُوس أنوارِ الحقيقة المُطلقة الغيبيَّة، وتجلِّيها في أوْج معاليها عليك بالخِلَع العِلْمية العرفانية حتى تصلَ إلى علْم اليقين، وتهتدي بهدْي المُوحِّدين مِن المؤمنين بعد أن يبدوَ لك أنَّ العالَمَ لا بُدَّ له مِن صانعٍ حكيم، ومُبدع له، ومُدبِّر لا شريكَ له، ولا مماثلَ ولا نظيرَ ولا مُعارضَ ولا مُعينَ، فتحصَّل مما قدَّمته، وبالإلهام حرَّرته أنَّ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، دليلٌ على ذلك، ومُرشد إلى ما هنالك، فتبصَّرْ يا ذا البصيرة؛ لتَندرِجَ مع مَن الجِنانُ مَصيرُه.

قوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، يعني مُتولِّيهم بما يُصلِح شُئونهم، ويُدبِّر أمورَهم؛ ليخلِّيَهم عن الأغيار، ويُحَلِّيَهم بسواطع الأنوار، فهذه حكمةُ التخصيص، وإلا فهو تعالى وليُّ جميع الكائنات بالتنصيص، فافهمْ.

قوله: ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، يعني مِن ظُلماتِ الأغيار

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين ٣/٣٦٠، ومشكاة الأنوار ص٧١، والفتوحات المكية، [الباب التاسع والأربعون ومائة، في معرفة الخلق وأسراره] ٣/٣٦٠، وكتاب الجلالة له ص٧.

....

إلى أنوار الواحد القهّار.

قوله: «**أي من ظلمات الجهل**»، يعني بها ما قدَّرت لمَن أضلَّ، فتَاهَ بها عن الطريق، واكتفى بليت ولعل.

قوله: «**إلى نور المعرفة**»، يعني المعرفةَ الشبيهةَ بالنُّور، والجامع لكُلِّ مُطلق الظهور.

قوله: «**فإذا برقت عليها الأنوار**»، يُريد برقتْ على النفْس التي تطهَّرتْ، وبفِطرتها تعطَّرتْ، ومعنى بُرُوقِ الأنوارِ استدامةُ لَمَعانِها وإشراقها، وبذلك تدخُل في القلْب السَّكينةُ والطمأنينة إلى الاعتقادِ وسُلوك الطريق الأحقِّ، فتنشرُ عليها بشائرَ الأعمالِ من عالم القُدس والطهارة، فترتفع وتعلُو حتى ترتقيَ إلى أوْج العُلومِ العِرفانيَّة والمُخاطبات الفهْوانية، وتنتهي إلى ما إليه استعدتْ، وما عليه عوَّلتْ واستقرَّتْ، فافهم.

واعلمْ أنّ أفضلَ العلومِ أشرفُها موضوعًا، وهو الكافِل بإبرازِ أسرار اللّاهُوت عن أسْتار الجَبَروت وأسراره جلَّت وعظُمت، وأوَّل مَن تكلَّم باللّاهوت النَّصارى حيثُ قالوا: تدرع اللّاهوتِ بالناسُوت، وذلك في شأْن عيسى عليه السَّلام، ثم ذكرَه النوري[1]، وتَبِعه مَن تَلاه مِن الصُّوفية، والمُرادُ باللاَّهوت وأسرارِه جميعُ صِفاتِ الحقِّ تعالى ذاتيَّةً كانت أو فِعليةً، نعم يُراد في معنى أسرارِ اللّاهُوت الصِّفاتُ

---

(١) هو: أحمد بن محمد، أبو الحسين النُّوريُّ الزَّاهد، شيخ الصُّوفية، كان من أعلم العراقيين بلَطَائف القوم. صحب السَّريّ السَّقطيّ، وغيره. وكان أبو القاسم الجنيد يعظمه ويحترمه. وأصله خُراسانيّ بَغَويّ. ت: قيل: ٢٩١ – وقيل: ٣٠٠ هـ. تاريخ الإسلام للذهبي ٨٩١/٦.

....

الثُّبوتية الجَمالية، وبأستارِ الجَبَرُوت الصِّفاتُ السلبيَّة الجلاليَّة، فإنها هي المانعةُ من الانكشافِ، فمناسبتُها مع الأستار في غاية الظُّهور(١)، كما قيل:

جَمَالُكَ فِي كُلِّ البَرِيَّةِ ظَاهِرٌ
وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا جَلَالُكَ سَاتِرُ

قوله: «**الأنوار جمع نور**»، وهو الضوْءُ خلاف الظُّلمة، فيُقال: أنار الصُّبح إنارةً: أضاءَ ونوَّر تنويرًا، واستنار استنارة كلُّها لازمةٌ بمعنًى، ونار الشيءُ يَنُور نِيارًا بالكسر وبه سُمي: أضاء أيضًا، فهو نيِّر، وهذا يتعدَّى بالهمزة والتضعيف، ونوَّرت المِصباح تنويرًا أزْهَرته، ونوَّرت بالفجر تنويرًا صلَّيتُها في النُّور، فالباءُ للتعدية مثل أسفَرت به.(٢) اهـ.

قوله: «**الإلهية**»، يعني المنسوبة للإله، وهي قد تكون كسْبيَّةً، وهي ما يترتَّب على الأعمال، وقد تكون وهْبيَّة، وهي التي منه تعالى لعَبْده تَفَضُّلًا وإحسانًا، ولعلها المُرادةُ في خبرِ: «مَن عمِلَ بما عَلِمَ ورثه اللهُ علمَ ما لمْ يعلَمْ»(٣) فتدبَّرْ.

(١) انظر: موسوعة الكسنزان ص١٤٣، واعلم أن: الهوت واللاهوت واحد : وهو السر الغيبي ، ويكنى عنه تارة : بعالم الأرواح ، وتارة : بعالم الأسرار ، وآونة : بعالم الأنوار ، وحينا : بالسر الخفي ، ووقتا : بالحضرة الغيبية ، وطورا : بالتجلي الأنفس ، ومرة : بغيب الذات الأقدس.

(٢) المصباح المنير ٦٢٩/٢.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٦٣/٦عن عبد الواحد بن زياد من قوله ، وعزاه العراقي في المغني ص١٤٣ لأبي نعيم من حديث أنس، وقال: وضعفه، وذكر السيوطي في الدرر المتنثرة ١٩٢/١ أن أبا الشيخ أخرجه من حديث ابن عباس مرفوعا.

وَحَلَّتْ فِيهَا السَّكِينَةُ القُدْسِيَّةُ تَرَفَّعَتْ إِلَى أَوْجِ العُلُومِ العِرْفَانِيَّةِ ...

قوله: «**وحلت فيها السكينة القدسية**»، يعني نزلتْ فيها السكينةُ، وهي الطُّمأنينة، فحَلَّ هنا من باب قَعَدَ إذا أُريد نزَلَ، يُقال حلَلت بالبلد حُلولًا إذا نزلت به، ويتعدَّى أيضًا بنفسه، فيُقال: حلَلت البلد، والمحَل بفتح الحاء، والكسرُ لغةٌ حكاها ابن القطَّاع[1] موضعُ الحلولِ[2]، والسكينةُ بالتحقيق المَهابةُ والرَّزانة والوقار إلى الشيء، «**والقدسيَّة**»: المنسوبة إلى القدس يعني الطَّهارة والنزاهة، فتحصَّل أن ما يُمنحُه العبدُ مِن معرفة نفْسه بنُعوتها منشَؤُه أنوارٌ إلهيّة مِن عالَم القُدس والطهارة، فافهمْ، واللهُ أعلم.

قوله: «**ترفعت إلى أوج العلوم**»، يعني استعدّتْ تلك النفسُ إلى الرفع إلى أوْج العلوم، والرفعُ مقابل الخفض، والفاعلُ منه رافعٌ، فهو في الأجسامِ حقيقةٌ في الحركة والانتقال، وفي المعاني محمولٌ على ما يقتضيه المقامُ، ومنه: «رُفِعَ القلمُ عن ثلاثٍ»[3]، والقلمُ لم يُوضع على الصغير، وإنما معناه: لا تكليف فلا مؤاخذة، ألا ترى أنه نفى رفْع العصا في حديث فاطمةَ الفهرية حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما أبو جهم فإنه لا يَرْفع العصا عن عاتقِه»[4]، وهي غير موضوعةٍ على عاتقه، بل محمولٌ على المعنى،

---

(١) هو: عّلي بن جعفر بن علي بن محمد بن عبد الله بن حسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب، الأغلبي، أبو القاسم ابن القطاع، السعدي الصقلي، الكاتب اللغوي. ت: ٥١٥ هـ. تاريخ الإسلام ٢٤١/١١.

(٢) المصباح المنير ١٤٧/١.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٩٥٦.

(٤) أخرجه مسلم ١٤٨٠(٣٦).

وَتَأَلَّفَتْ بِسَنَاءِ المَجْدِ، وَاسْتَنَارَتْ بِنُورِ القُدْسِ...

وهو شدَّة التأديب[١]، «**وأوج العلوم**»: أعْلاها، وهي العلوم المُتعلِّقة به تعالى المُسمَّاة الإلهيات؛ لأن شرَف الأشياء بشرَف موضوعاتها.

قوله: «**العرفانية**»؛ يعني الرّاجعةَ إلى المعرفة، يُقال: عَرفتُهُ عِرْفةً بالكسر وعِرفانًا علِمته بحاسّة من الحواسّ الخمس[٢]، وهي علمُ اليقين الناشئُ عن الاستدلال، أو عن الشهود والعَيان.

قوله: «**وتألفت بسنا**[٣] **المجد**»؛ يعني تعلَّقتْ بالعشق بسنا[٤] العزّ والشَرف، «**واستنارتْ بنور القُدس**»، يعني تنوَّرتْ هذه النفْس الشريفة بالنُّور الوارد على القلْب مِن علْم القُدس والطَّهارة والنزاهة عن خُطور السِّوى في الخاطر، ولو كان ذلك سهوًا كما أشار إليه العاشقُ ابن الفارض في قوله:

وَإِنْ خَطَرَتْ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةٌ
عَلَى خَاطِرِي سَهْوًا قَضَيْتُ بِرِدَّتِي

نفعنا اللهُ ببركة أنفاسِه، وأذاقنا وأحِبَّتَنا مِن رائق شَراب خمْر كأسه.

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١٠/٩٧، ١٥/٥٦.

(٢) المصباح المنير ٢/٤٠٤.

(٣) في المخطوط: بنا. وفي النتائج بسنا.

(٤) في المخطوط: بنا.

فَيُسْمَعُ دُعَاؤُهَا فِي المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ.وَلَا سِيَّمَا إِذَا دَامَتْ لَهَا الفِكْرَةُ ...

قوله: «**فيسمع دعاؤها**» إلخ يعني يُقبَل منها جميعُ ما طلبته في عالَم الشَّهادة، وفي عالَم الغيْب؛ إذِ المُلك ما يظهَر للأعيان، والمَلَكوت ما يخفى عليها، وذلك لتسخير العالَمَينِ المذكورين لها تسخيرًا إلهيًّا وتذليلًا رَحمانيًا صمَدانيًّا.

قوله: «**ولا سيما إذا دمت لها**» إلخ، الـ«سي»: المِثْل، و«مَا»: زائدةٌ، يعني لا مِثْلَ لها في الحالةِ المذكورة، وهي دوام فِكْرتها المذكور، وقيل: لا سيَّما كلمةٌ مركّبة من «لا» و«سي» تُساق؛ لترجيح ما قبلها، فيكون كالمُخرج عن المُساواة إلى التفضيل، فيكون المعنى حينئذٍ: لا مثل لها إذا دامت لها الفكرة المذكورة، كما قدَّمناه.

قوله: «**الفكرة**»، الفِكر بالكسر تردُّد القلْب بالنظر والتدبير لطلَبِ المعاني المقصودة، والفِكرة اسمٌ مِن الافتكار مثل العِبرة والرِّحلة مِن الاعتبار والارتحال، وجمعُ الفِكرة فِكَر مثل سِدْرَةٍ وسِدَر[1]، ويُقال: إنَّ الفكر هو ترتيبُ أمورٍ في الذهن يُتوصَّل بها إلى مطلوبٍ يكون علمًا أو ظنًّا[2].

---

(١) المصباح المنير ٤٧٩/٢.

(٢) انظر: دستور العلماء= جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ٣١/٣.

فِي آيَاتِ الجَبَرُوتِ وَاشْتَاقَتْ إِلَى عَالَمِهَا النُّورَانِيِّ، وَتَلَطَّفَتْ بِالعِشْقِ السُّبْحَانِيِّ، وَاتَّصَفَتْ بِالخَيْرِ وَالجُودِ وَالكَرَمِ، فَتُبْصِرُ مِنَ الأُفُقِ الأَعْلَى ...

قوله: «**في آيات الجبروت**»، آياتٌ جمعُ آية، وهي العلامة الدالَّة على الشيء، والجَبَروت كالرَّحَموت: العظمةُ والرحمة[1].

قوله: «**واشتاقت إلى عالمها النوراني**»: الشوْقُ إلى الشيء نزاعُ النفْس إليه، وهو مصدر شاقَني الشيءُ شَوْقًا من باب قَالَ، والمفعولُ مَشُوق، ويتعدَّى بالتضعيف فيُقال: شوَّقته، واشتقتُ إليه فأنا مُشتاق وشَيِّق[2].

قوله: «**والعالم هو ما سوى الله تعالى**»، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّه جُعِلَ علامةً على وجودِه تعالى بنُعوته الباهرةِ للعقول الكاملة، وقوله: «**النوراني**» يعني المنسوب إلى النُّور، وهي الأرواحُ المُقدَّسة في ذاتها المُجرَّدة عن الصور، فافهمْ.

قوله: «**وتلطفت بالعشق السبحاني**»؛ يعني ترفَّقتْ وتخشَّعتْ بسبب العِشق، وهو الإفراطُ في المحبَّة، والسُّبحانيُّ: المنسوب للتسبيح، وهو التنزيهُ؛ يعني أنَّ هذه النفْس الشريفة ترفَّقت وتخشَّعت بسبب عِشقها لمَن لا شبيهَ له، والمُنزَّه عن سائر ما يعرض للحدث.

قوله: «**واتصفت بالخير**»؛ يعني تخلَّقتْ به، والخيرُ اسمٌ جامِع لأنواع النُّعوت الجميلةِ، فذِكْرُ الجود والكرَم بعده للاهتمام بهما.

قوله: «**فتبصر من الأفق الأعلى**»؛ يعني تعلَّمْ مِن شُهود بصيرتها عِلمًا مِن ناحية

---

(١) موسوعة الكسنزان ص١١٣ .

(٢) المصباح المنير ٣٢٧/١.

وَتَتَقَوَّى عَلَى الأَعْدَاءِ؛ لاندِرَاجِهَا فِي جُمْلَةِ حِزْبِ اللهِ المُفْلِحِينَ الغَالِبِينَ: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٥٦﴾ [المائدة: ٥٦]﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

السماء، فالأفُق بضم الفاء ناحيةٌ من السماء، والمعنى أنَّ عِلْمها يكون بالإلهام أو بنفث في الرُّوع، واللهُ أعلم.

قوله: «**وتتقوى على الأعداء**»، يعني تُعطَى منه تعالى قُوَّةً تَقهَر بها أعداءَها، ولا سيما هواها والشيطانُ مِن إنْس أو جِن، يُقال: قَوِي يقوَى فهو قوِيٌّ، والجمعُ أقوياء، والاسمُ القُوَّة[1]، والمُرادُ منها هنا: تردُّد القلْب بالنظَر لطلَبِ المعاني العِرفانية.

قوله: «**لاندراجها**» يعني دخولها فِي جُملة حزْب الله وجماعةِ أوْليائه، والمُفلِح هو الفائز، ولا يخفى أن الغرَض في تكرير الآيات القرآنية الاستدلالُ على ما قدَّمه.

---

(١) المصباح المنير ٢/٥٢١.

﴿...﴾ [المجادلة: ٢٢] ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات: ١٧٣]، وَذَلِكَ لأَنَّ القُوَّةَ الفِكْرِيَّةَ إِذَا اشْتَغَلَتْ بِالأُمُورِ الرُّوحَانِيَّةِ وَأَقْبَلَتْ عَلَى المَعَارِفِ الحَقِيقِيَّةِ، كَانَتْ

قوله: «**وذلك**» يعني ودليلُ قوْلنا: ولا سيما إذا دامت لها الفكرة... إلخ، وقوله: «**لأن القوة الفكرية إذا اشتغلت**» إلخ، يعني إذا تفرَّغتْ مِن الجِسمانيات وقصُرتْ عن الأمور المنسوبةِ للرُّوح في عالَمِها الأوَّل فيما لا يزل وقت ألستُ بربِّكم، «**وأقبلتْ**»؛ يعني توجَّهتْ وقصدتِ العُلوم والمعارف الحقيقية توجُّهًا كُلِّيًا بحيثُ لا يكونُ لها وقتُ خلوٍّ في ذلك كانتْ هي الشجرةَ المباركة، يعني تحقَّقتْ بأنها، والحالُ ما ذكر، هي المعنيَّة بالشجرة المُباركة أقول: ولعلَّها شجرةُ الزَّيْتُون من حيثُ إنَّ الذي يخرج منها مِن الزَّيت يكون خيرًا من غيره؛ لأنَّ أصل شجرتِه تكون دائمًا عليها الشمسُ، فتكون ثمَرتُها أنضجَ مِن ثمرة غيرها، ولهذا كانت مُباركةً؛ لكثرة منافعِ ثمرتها؛ لأنَّ زيتها يُسرج به وهو أطهر، ودِهان ودِباغ ورَماد حطبها يُغسل به الإبرَيْسِم، ولا يُحتاج في إخراج زيته إلى عصار، وفيه زيادةُ إشراقٍ وقلَّة دُخان، وفيه صحةٌ مِن داء الباسور، وقوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥] : أي فهو يُضيء في كل حالٍ سواء وُجد الشرْط، وهو إمساسُ النار، أو لم يُوجد، فالمُراد استقصاءُ الأحوال في كونه مُضيئًا، والحاصلُ: أن المُراد تشبيهُ القرآن في جَلاء مدلوله وظهور ما دلَّ عليه من الهُدى بالمِشكاة المذكورة قبل آيةِ الشجرة.

قوله: «**وكانت هي الشجرة المباركة ذات الأغصان**» : أي فالقُوَّة الفكرية هي الشجرةُ المُباركة، «**ذات الأغصان**»؛ يعني الفروع منشَأ الثمرةِ المُتوصَّل باستعمالها في العلوم والمعارف إلى علْم اليقين، يعني الثابت في أرض سماءِ التوحيد.

هِيَ الشَّجَرَة المُبَارَكَة ذَات الأَغْصَانِ المُتَوَصَّل بِهَا إِلَى نُورِ اليَقِينِ، قَالَ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠]؛ يُشِيرُ إِلَى القُوَّةِ الفِكْرِيَّةِ،

قوله: «**كانت هي الشجرة المباركة**»: أي المَعنيَّة منها؛ لمشابهتها إيَّاها في كوْن كلٍّ أصلًا للثمرة الناشئة مِن الأغصان، بل هي الشجرةُ باعتبار أنَّ ثمَرتها هي الباقية، وهي غِذاءُ الأرواح النُّورانية، وتلك فانية، وغذاء الأجسام الفانية الظُّلمانية.

قوله: «**كانت هي الشجرة المباركة**»: إنما جعلَها شجرةً؛ لشبهها بها في الأصليَّة للفروع الناشئِ عنها الثَّمرات مِن العلوم والمعارف الناشئةِ مِن إشراق شمْسِ أنوار القُدس والطهارة كما تنشأُ ثمراتُ الفواكه الشَّهوانية عن الشجرة وأغْصانها.

واعلمْ أنَّ هَيُولَى شجرةِ الإمداد ذاتِ الثمَرات الكُليَّة العامَّة هي الحقيقةُ الباهرة الأحْمديَّة المُحمديَّة الزَّاهرة(١).

قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠]، يعني أنه كنَّى بالشجرة عن القُوَّة الفِكرية، ولذلك قال المُصنِّف: «**يُشير إلى القوة الفكرية للإنسان وخضرتها إرتواؤها**(٢)»، يعني ويُشير بخضرتها إلى إرتوائها ونُموّها وزيادتها بكثرة استعمالها في مَسالك النظَر ورجوعها منها إلى عالَم النُّور بسبب انكشاف الأمرِ لها بنور التوحيد، وفُرقان التفريد بإشراق الأنوارِ مِن فلَك سماءِ الأنظار، كما أشارَ إلى ذلك المُصنِّف في كلِماته، وعوَّل عليه في تحقيقاته.

---

(١) انظر: الفتوحات المكية، [الباب الثامن والأربعون وثلاثمائة ١٩٤/٥].

(٢) في المخطوط: إربوابوها.

وَخُضْرَتُهَا ارتِوَاؤُهَا بِمَسَالكِ النَّظَرِ وَانْصِرَافُهَا بِالعَوْدِ إِلَى عَالَمِ النُّورِ، وَقَالَ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٢]

قوله: «**وقال عز شأنه**» إلخ، ما ذكرَهُ مِن الآيات الشريفات لغرَضِ الاستِدلالِ على المعنى المُشار إليه المتقدِّم ذكرُه، والكِناية بالشجرة المُباركة عنه.

قوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ [الواقعة: ٧٢] : أي أوجدتُّموها على سبيل الاستفهامِ التقريريِّ بأنه تعالى هو الذي أنشأَها وأوجدَها بقُدرته وإرادتِه، لا مدخلَ لمَا سِواه فيه.

﴿ ... وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وَهُوَ الأُفُقُ الأَعْلَى، ﴿ تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠] : أَيْ يَكْتَسِبُ بِهَا دُهْنِيَّةَ

قوله: «**وهو الأفق الأعلى**»، قدَّمنا أن المُراد به ناحيةٌ من السماء.

قوله: ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ ﴾ [المؤمنون: ٢٠] ، يعني بثمرةٍ يُستخرج منها الدُّهن الذي هو كنايةٌ عن تولُّد المعقولاتِ العِرفانية التي هي غذاءٌ للأنفُس القُدسية.

المَعْقُولَاتِ الَّتِي تُغَذِّي النَّفْسَ وَتُرَبِّيهَا للوَمِيضِ القُدُسِيِّ، وَاشْتِعَالِ مِصْبَاحِ اليَقِينِ الأنْسِيِّ، فَهِيَ شَجَرَةُ مُوسَى الَّتِي سَمِعَ مِنْهَا النِّدَاءَ فِي البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ

قوله: «**وتربيتها للوميض**»: أي تبلِيغها درجةَ كمالِهَا شيئًا فشيئًا إلى أن تصِلَ إلى «**الوميض القُدسيّ**»، يعني لَمَعان الأنوارِ المُقدَّسة، يُقال: أوْمَضَ البرقُ إيمَاضًا: لَمَعَ لَمَعانًا خفيفًا، وفي لغة: وَمَضَ مِن باب وَعَدَ[١].

قوله: «**وتربيتها للوميض القدسي**»، وهي الأضواءُ المُقدَّسة عن لوازمِ الطبْع والعادة.

قوله: « **وَاشْتِعَالِ مِصْبَاحِ اليَقِينِ الأُنْسِيِّ**»: عطْف على الوميض المجرورِ باللَّام المتعلِّق بالتربية، والمِصباحُ هو الفتيلةُ الموقدة في الزُّجاجة، «**واشتعال مصباح اليقين**»: زيادةُ نورِ اليقين الشبيهِ بنور المِصباح، واليقينُ هو العلْم والاعتقادُ عن دليل، «**والأنْسيّ**» المنسوب للأُنس ضدّ الوَحشة، وهو طمأنينةُ القلْب.

قوله: «**فهي شجرة موسى**»، يعني مثْل شجرتِه في كوْنها منشأً لأنوارِ المعارف الربانيَّة، وإنما شُبِّهتِ المعقولاتُ العرفانية بالدُّهن؛ لمَا في كلٍّ مِن التليين والتسهيل للوصول إلى ما كُلِّف به العبدُ مِن التوحيد المُوصِّل للقُرب مِن إحسانِ الربّ جلّ جلالُه.

قوله: «**التي سمع منها النداء**»، يعنِي نداءَ ربِّه على لسانِ المَلَك، أو بخلْقه في شجرته المذكورةِ، والبُقعةُ المباركة كنايةٌ عن محلِّ السماعِ منها.

---

(١) المصباح المنير ٢/٦٧٣.

مِنَ الشَّجَرَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]، هِيَ الأَبُ المُقَدَّسُ مِنْ رُوحِ القُدُسِ المُشَارِ إِلَيْهَا بِـ ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ﴾ [النمل: ٨] يَعْنِي بِهِمُ المُتَّصِلِينَ

قوله: «**هي الأب المقدس**»، يعني أنَّ المُراد بالنار الأبُ المقدَّس، يعني الأصل المُنزَّه عن الكُدورات والعوائق الحاجبةِ عن تولُّد المعارف منه، وإنما سُمِّي ذلك الأصلُ نارًا؛ لكوْن الأنوار تذهَبُ بالظُّلمات كالنار تذهبُ بالأجرام المحسوسةِ بالإحراق، وإنَّما سُمِّي أصلُ شرَف موسى بالنار؛ لأنها سببُ تشريفِه عليه الصلاة والسلام بالتكلِيم مِن الربِّ العزيز الحكيم.

قوله: «**من روح القدس**»؛ يعني الناشئ مِن عوالِمِ الطهارة والنزاهة، وقوله: «**المشار إليها**»، يعني النَّارَ المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ﴾ [النمل: ٨] بوضْع البركاتِ في قلْبه ولُبِّه.

قوله: «**يعني بهم**»...إلخ، يريد أنَّ المقصودَ بـ«مَن في النار» هم الواصلونَ لتحقُّقهم في حقيقتها، وبـ«مَنْ حولها» المُحبّون الذين لم يبلغوا درجةَ الواصلين.[١]

واعلمْ أنه لا يتمَّ لعبدٍ وصولٌ إلا بعد أن يفنى عن الفُضول، وإنما لم يبلغِ المحبّ درجةَ الواصل؛ لبقايا مَنَعَتْه، وحظوظٍ صدَّتْه، فافهمْ.

---

(١) انظر: البحر المديد ٣٦٥/٤.

﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ [النمل: ٨] يَعْنِي مِنَ المُحِبِّينَ، وَالمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ [طه: ١٠] الإِشَارَةُ إِلَى تَرْكِ حَوَاسِّهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ،

قوله: «**والمراد بقوله:** ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾...» إلخ، يُشير إلى أنَّ المُراد بالنار نَارُ التوحيدِ التي لا تُبقي ولا تذَرُ فيمَن أصابتْه بقيَّة مراد، بل يكونُ تعالى المُراد في مُراده تعالى لَاءَمَ أو لا، دُنيويًا أو أخرويًا، ولذلك قال المُصنِّف في بيانِ ما ذكرْنا: المُرادُ الإشارةُ إلى ترك حواسِّه الظاهرة والباطنة، يعني ترْكَ حظوظها ومأْلوفاتِها بحيثُ لا يكونُ له حظٌّ إلا رضا ربِّه، والقيامَ بما طلَبه منه وخَلَقه لأجْلِه، فافهمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ [النمل: ٧] فَالقَبَسُ للمُصْطَلِمِ، وَالخَبَرُ لِمَنْ حَوْلَهَا، فَانْظُرْ إِلَى إِعْجَازِ الوَحْيِ الإِلَهِيِّ ...

قوله: «**فالقبس**» إلخ، القَبَس بفتحتين شُعلةٌ مِن نار يَقْبِسُها الشخص، وبابه ضَرَبَ، يُقال: قَبَسَ يَقْبِسُ نارًا إذا أخذَها مِن مُعظمها، وقَبَسَ عِلمًا تعلَّمه، يتعدَّى ولا يتعدَّى(١).

قوله: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ [طه: ١٠]: أيْ قَالَ ذَلِكَ؛ لِمَا هو مُتأهِّلٌ به مِن الحواسّ الظاهرة والباطنة، «**امكثُوا**»، يعني دُوموا على مُكْثكم في سُبُل التخلي وزينةِ التحلي لعلَّ أن يدوم لكم هذا التجلِّي، فافهمْ.

قوله: « **فَالقَبَسُ للمُصْطَلِم**(٢)»، يعني الهالِكَ الفاني في سُكره، الباقي في شُكره، فافهمْ.

قوله: «**والخبر لمن حولها**»، يعني ممَّن أحبَّ على غير مُشاهدة وإشرافٍ، بل تعشَّق؛ لِمَا سمِع من الإشراق، فافهمْ.

قوله: «**فانظر إلى إعجاز الوحي الإلهي**»، يعني به القُرآنَ العزيز.

---

(١) المصباح المنير ٢/٤٧٨.

(٢) في المخطوط: للمصطلى، وما أثبتناه هو ما في متن النتائج.

وَالإِشَارَةِ إِلَى الأَنْفُسِ وَأَحْوَالِهَا بِالأُمُورِ المَحْسُوسَةِ، فَسُبْحَانَ الرَّحِيمِ الرَّحْمَن.

قوله: «**والأنفس وأحوالها**» إلخ، الأنْفُس جمعُ نفْسٍ، وهي الذَّات المُراد منها الحقيقةُ الإنسانية واللطيفة المُجرَّدة النُّورية، «**وأحوالها**» يعني صِفاتِها وما يعرِضُ لها من ذلك ويتغيَّر، وقوله: «**بالأمور المحسوسة**»، وهي الشجرة والزُّجاجة والمِصباح والزَّيْتُ ونحوُ ذلك.

قوله: «**فسبحان الرحيم الرحمن**»، جملةٌ قَصَدَ بها تنزيهَه تعالى عما لا يليقُ به، وتخصيصُ الاسمين بالذِّكْر لا يخفى وجهُه في هذا المقام، ومني عليك السلامُ.

ثُمَّ اعْلَمْ وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ نُفُوسَنَا هِيَ بِالقُوَّةِ أَوَّلُ مَا يَحْصُلُ فِيهَا الأَوَائِلُ، وَيَنْتَقِلُ مِنْهَا إِلَى الثَّوَانِي، فَبِوَاسِطَةِ وُجُودِ نُفُوسِنَا وَمُكَمِّلِهَا وَمُخْرِجِهَا مِنْ القُوَّةِ إِلَى

قوله: «**ثم اعلم**»... إلخ، أتى باعْلَمْ طلبًا لتوجُّه المخاطب وإقبالِه على ما يَذكُر بعدها، والجملةُ بعدها مقصودٌ بها الدعاءُ، ولفْظُ «**ثُمَّ**» تُستعمَل للترتيب في الذِّكْر وفي الرُّتبة مع أنَّ ما بعدها أهمُّ مما قبلَها[1]؛ لتعلُّقه بقوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١] الدالِّ على التوصُّل إلى ما للربِّ تعالى بما كان للعبْد، ومن المعلوم أنَّ شرَفَ العلْم بشرف موضوعِه، وربَّما لفظةُ «ثُمَّ» تُوهم خلافَ ما قدَّمْناه، فكان الأَولى الإتيانَ بالواو الاستئنافيَّة بَدَلَها.

قوله: «**وفقني الله وإياك**»، جُملةٌ خبريَّة لفظًا إنشائيَّةٌ معنًى، قصدَ بها المُصنِّف طلبَ التوفيق منه تعالى له ولمَن يصلح للخطاب أيًّا ما كان، فكأنه أراد عُمومَ إخوانه المؤمنين عَمَلًا بخبر: «إذا دَعَوْتُمْ فَعَمِّمُوا» والتوفيقُ خَلْقُ قُدرة الطاعةِ في العبْد، أو عرَضٌ مُقارن لها، والأظهرُ الأوَّل؛ لمَا لا يخفى على ذي بصيرة.

قوله: «**أن نفوسنا**»... إلخ، يُريد بها الأرواحَ الدرَّاكة بالقُوَّة التي من عالَم الأنوار، قيل: إنها حقائقُ نوريَّة، وقيل: إنها مِن المُجرَّدات التي لا يفتقرُ وجودُها إلى مادَّة ولا إلى مُدَّة كعالَمِ التركيب المفتقرِ إلى ذلك، بل وجودُها بمجرَّدِ تعلُّق الإرادةِ العَلِيَّة حالًا، والأوَّلُ عليه أهلُ السنة والجماعة، وهو الظاهر، والثاني عليه الفلاسفةُ، ودليلُه غير ظاهر؛ لتحكيمِ العقْل الذي لا مدخلَ له فيه[2].

---

(١) توضيح المقاصد والمسالك ٢/٩٩٨، ومغني اللبيب ص٨٧١.

(٢) انظر: المواقف للإيجي ٢/٦٦٧، والمطالب العالية ٧/٢٢١، ٣٥٤.

الفِعْلِ يَنْشَأُ مَا سَمَّاهُ الحُكَمَاءُ العَقْلَ الفَعَّالَ، وَيُسَمِّيهِ الشَّرْعُ رُوحَ القُدُسِ نِسْبَةً إِلَى عُقُولِنَا كَنِسْبَةِ الشَّمْسِ إِلَى أَبْصَارِنَا ...

قوله: «**هي بالقوة**»... إلخ، يعني بالقوَّة الاستعداديَّة، لا بالفعل الذي لا يحصُل إلا بالكسْب التدريجيِّ كما لا يخفى.

قوله: «**أول ما يحصل فيها الأوائل**»، يعني بها الأوَّلياتِ البديهيَّةَ اللاتي لا تتوقَّفُ على نظر ولا على تأمُّل، كعلْم أنَّ الواحد نصفُ الاثنين مثلًا.

قوله: «**وينتقل منها إلى الثواني**»، يُريد بها ما يحتاجُ في حُصوله للأنفُس إلى نظَر وتأمُّل، وهي الأمورُ النظَريَّة المحتاجة إلى ما ذُكِر.

قوله: «**فبواسطة**»... إلخ، يُريد أن يُبيِّنَ مُغايرةَ العقول للأرواح، وأنَّ إيجادَها بعدها لغرَض تكميلِها بإخراج الاستعدادِ للأنفُس والأرواح إلى الأفْعال حقيقة، وبذلك يُقال عند الحُكماء: إنَّ العقل الفعَّال، ويُقال عليه بلسان أهْل الشرْع المُحقِّقين: رُوحُ القُدس، قاصدين الرُّوحَ الكائنة من عالَم النزاهة والطهارة، وعند التأمُّل تجدُ الفرقَ بين القولينِ حقيقيًّا؛ لأنَّ المُغايرة الذاتيَّةَ ما بين الرُّوح والعقْل هو الظاهرُ والنصُّ مِن كلام الحكماء، وعلى كلام أهْل الشرْع المغايرةُ اعتباريَّةٌ لا ذاتية، تأمَّلِ المقامَ، وارجع إلى الحقِّ بسلامٍ(١).

قوله: «**نسبة إلى عقولنا**»... إلخ، محصّله أنَّ إدراك معنى رُوح القُدس عَسِرٌ جِدًّا على العُقول، ولا سيَّما ما قصُرتْ على شهود الأجرامِ مِن الكائنات والوُقوفِ على المألوفِ مِن العادات الكوْنية، فرَجعَ الأمرُ إلى أن إدراك حقيقةِ الأرواح ومُغايرتها

---

(١) انظر: دستور العلماء ٢/٣٢٦، موسوعة الكسنزان ص: ٥٠، ٨٠.

وَهُوَ الرُّوحُ المُضَافُ إِلَى الحَقِّ فِي قَوْلِهِ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩]، وَهُوَ وَاسِطَةُ وُجُودِ العَالَمِ العُنْصُرِيِّ، وَهُوَ الَّذِي يَنْقُشُ نُفُوسَنَا

للعقول مما يعسُر فَهمُه، بل يُؤمَن به ولا يُعقَل معناه، نعم على كوْن مُغايرة الأرواح للعقول اعتباريَّةً يُمكن إدراكُه وفهمه، وأما عِلْم الحقيقة للأرواح، فهو مما استأثرَ اللهُ تعالى به، كما يُفهم مِن قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، واللهُ أعلم.

قوله: «**وهو الروح المضاف إلى الحق**»: أي ورُوحُ القُدسِ والعقل الفعَّالُ هو المضاف إلى الحقِّ، يعني المُضاف إلى الله تعالى إضافةَ تشريفٍ لا غيرُ خلافًا لمَن أفرطَ في الجَهالات وَفَاهَ بما لا يعقِلُه أحدٌ، أعاذنا الله وإخوانَنا من ذلك.

قوله: «**وهو واسطة وجود العالم العنصري**»...إلخ، يعني أنَّ ثُبوت وتحقُّق العالَم العنصريِّ وثبوت الدوامِ له متوقِّفٌ على دوام إمدادِ رُوح القُدس والعقل الفعَّال، هذا هو المُراد لأهل الحقِّ، فلا تلتفِتْ إلى غير ذلك مما فهِمه بعضُ العلماءِ منه ورجَعَ في تحقيقِه بزعْمه عليه.

قوله: «**العنصري**»؛ يعني المنسوبَ للعناصِر؛ يعني العناصر والأركان الأربع، وهي: الماءُ، والتُّراب، والنَّارُ، والهواءُ.

قوله: «**وهو الذي ينقش نفوسنا بالفضائل**»... إلخ، يعني أنَّ رُوح القُدس والعقل الفعَّال هو الذي ينقُش نفوسنا، يعني يُزيِّنها برقْم نظم أنوارِ المعقولات في الأنفُس، فيحصُل لها بذلك الفضائلُ بحسب مواقعِ تلك الصُّوَر في الأنفُس، تَفهَّمْ إن لم تكن تفهمُ، واللهُ بالحقائق أعلمُ.

بِالفَضَائِلِ إِذَا اتَّصَلَتْ بِهِ بِإِشَارَةِ قَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾ [العلق: ٣ - ٤]، وَالقَلَمُ فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ قَلَمٌ ذَاتِيٌّ بِالفِعْلِ،

قوله: «**ينقش نفوسنا**»... إلخ، مِن ذلك يُفهم أنَّ النُّفوس لها مُطلق الإدراك بالذَّات، واختلافاتُه إنما هي مِن تنوُّع مُتعلّقاته، فهي في ذاتها واحدةٌ، واختلافُها إنما هو باختلافِ اعتباراتها فتأمَّلْ تعلمْ، ولا تكنْ كمَن لم يعلَمْ.

قوله: «**إذا اتصلت به**»: أي بالمذكورِ بواسطة استعدادها بحُكم سرِّ قَدَرِه سُبحانه وتعالى وقضائه الحقِّ، لا يُسأل عما يفعل، والله هو العليم الأعلم.

قوله: «**بإشارة قوله**»... إلخ: أي حيث قال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق: ٣]، المفيد أنَّه لولا أنه تعالى أكرَمُ لمَا تمكَّن العبدُ مِن الامتثال والانقياد، فتمكُّنه من ذلك إنما حصَل من فضْله تعالى وكرَمه، ويُؤيده قولُه تعالى أيضًا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١ - ٤] ، فتدبَّرْ تلويحاتِ الأعيانِ بلطائف آي القرآنِ؛ لتحظى بواضحِ البرهان.

قوله: «**قلم ذاتي**»، يعني به أنه منسوبٌ للنفْس والذات؛ لعدمِ شُهود زيادتِه عليها مع أنَّه باعتبار الحقيقةِ قلمٌ ذاتيٌّ للحق تعالى؛ لأنه كنايةٌ عن الإقدارِ والتمكين مِن الأمور المكلَّفِ بها العبدُ، فلولا ذلك الإقدارُ والتمكين لمَا وصل العبْد بذاته إلى شيء البتَّة.

قوله: «**بنفوسنا ألواح مجردة**»، يعني مثل الألواحِ الخالية عن النُّقوش، فهي بهذا النظر خاليةٌ عن عُلومها ومعارفِها قبل ذلك النَّقْش بالعلْم الإقداريِّ التمكيني، وهو الرُّوح المُقدَّسة والقلمُ الفعَّال.

نِسْبَةُ نُفُوسِنَا إِلَيْهِ نِسْبَةُ اللَّوْحِ إِلَى القَلَمِ، فَنُفُوسُنَا أَلْوَاحٌ مُجَرَّدَةٌ، وَهُوَ قَلَمٌ يَنْقُشُهَا بِالعُلُومِ وَالمَعَارِفِ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ سُلْطَانُهُ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ

قوله: «ويدل لذلك»: أي لمَا تقدَّم مِن أنَّ نفوسنا ألواحٌ مُجرَّدة، وهو قلم ينقشها... إلخ.

قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، يعني قدَّره على وَفق علْمه وإرادته بتحقُّق وجوده في قُلوبهم في الوقت المخصوصِ بتأثيرِ قُدرته تعالى، ولولا ذلك لمَا ثبتَ إيمانُ أحدٍ مِن الخلق بشَهادة قوْله عز سلطانه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، يُريد مِن ظُلماتِ الكُفر والضَّلالة إلى نُور الإيمانِ والهداية.

ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وَيَشْهَدُ أَيْضًا لِكَوْنِ التَّعْلِيمِ مِنَ القُدُسِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي حَقِّ نَبِيِّهِ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾ [النجم: ٥] ...

قوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢]، يُريد قوَّاهم بالاستعداد وسرّ القدر برُوح مُقدَّسة منه تعالى، يُقال: آدَ يَئِيدُ أَيْدًا وَآدًا قَوِيَ وَاشْتَدَّ فهو أَيِّدٌ، مثل سيِّد وهيِّن، ومن ذلك قولهم: أيَّدَك اللهُ تأييدًا. اهـ مصباح(١).

قوله: «**ويشهد أيضًا**»: أي يَدُلُّ على ما تقدَّم أيضًا، كما دلَّ عليه ما قبلَه قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾ [النجم: ٥]: أيْ قُوَّتها، يُقال: شَدَّ الشيء يَشِدُّ من باب ضَرَبَ شِدَّةً: قَوِيَ فهو شديد، وشَدَدته شَدًّا من باب قَتَلَ أوْثقته، والشَّدَّةُ بالفتح المَرَّةُ منه، وشددتُّ العُقدة فاشتدتْ، ومنه: شَدّ الرِّحال، وهو كنايةٌ عن السفر، وشدد عليه ضدّ خَفَّف. اهـ. مصباح(٢)

فتحصَّل أن المعنى لولا أن الله تعالى علَّمه بقُدرته الباهرة ما تعلَّم تلك العلومَ التي تكاد ألا تتناهى؛ لأنها ناشئة بالاستمداد مِن الكلمات التي لا تنفد.

---

(١) المصباح المنير ٣٢/١.

(٢) المصباح المنير ٣٠٧/١.

يُشِيرُ بِهِ إِلَى العَقْلِ الفَعَّالِ الَّذِي أَمَدَّهُ اللهُ بِالقُوَّةِ غَيْرِ المُتَنَاهِيَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ

قوله: «**يشير به إلى العقل الفعال**»، يعني إلى رُوح القُدس والطهارة.

قوله: «**الذي أمده الله بالقوة**»... إلخ، الموصولُ وصلته صفةٌ للعقل الفعَّال، «**وأمده الله**»، يعني زادَه بالقوة الغيرِ مُتناهية فأمَّد بالألف، وأمَّده غيرُه زاده، يستعمل الثلاثي والرباعي لازمين ومتعدِّيين.

قوله: **قال تعالى**: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، استدلالٌ على أن العلْم مِن رُوح القُدس، وعالم الأنوار والنزاهة.

قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل: ٦] : أي لتُلقَّنه وتأخذُه علْمًا من عند حكيم مُتقن غايةَ الإتقان، عليمٍ بالغ في العلم غايتَه، وساقَها أيضًا؛ للدلالة على ما تقدَّم من أن العلوم والمعارف مِن القلَم الذَّاتي ورُوح القُدس.

مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النمل: ٦]، ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ٥]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ٣-٤]، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ الإِشَارَةُ إِلَى خُرُوجِ

قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ٥]، يُفيد أنه لولا تعليمُ الله تعالى ما تعلَّم، كما قال ﷺ: «لا أعلم إلا ما علَّمني ربي»[1]، والله أعلم.

قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ٣ - ٤]: أي أوجدَه مِن العدَم، وعلَّمه ما تكون به فصاحتُه وبيانُ مراده مِن فنون العلوم، ورقائق المعارف، فسُبحان مَن مَنَّ على عِباده وتفضَّل.

قوله: «**مما فيه الإشارة إلى خروج الإنسان من القوة إلى الفعل**»، يعني من القُوَّة الاستعداديَّة التي هي من سِرِّ القَدر إلى القُوَّة بالفعْل بالقُوَّة الفِعلية الظاهرة أنها منه، وفي الواقع لولا إقدارُه لمَا قدَرَ على فعْل شيء أصلًا.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١٢٥/٢.

الإِنْسَانِ مِنَ القُوَّةِ إِلَى الفِعْلِ، ثُمَّ اعْلَمْ أَيْضًا أَنَّ الرُّوحَ الَّتِي فِي الرَّأْسِ نُورَانِيٌّ؛ وَلِذَا إِذَا قَلَّتْ نُورَانِيَّتُهُ اضْطَرَبَتِ الحَيَاةُ، وَحَصَلَ نَحْوُ **المَاليخُولْيَا**، فَأَوَّلُ عَلَاقَةِ

قوله: «**واعلم أيضًا أنَّ الرُّوحَ التي في الرأس**»؛ يعني التي فيها أَشِعَّتُها، فلا يُنافي الصحيحَ مِن أنها في القلْب كما هو صريح آياتِ الكتاب العزيز، «**نوراني**»، يعني حقيقةً نُورانيَّة، لا من المُجرَّدات، كما زعمَه الفلاسفةُ، والقولُ الأوَّل لأهل السنة، وهو الحقُّ الثابت شرعًا.

قوله: «**ولذا إذا قلت نورانية**»... إلخ: أي ولأجل كوْنها في الرأس، وهي نورانيَّة، «**إذا قلتْ نورانية اضطربت**»؛ يعني اختلَّ نظامُ تكوينِ الجسم وحركاته، «**وحصَل نحو المَاليخُوليا كالجُنون**»، والماليخوليا مِن مُقدِّمات الجنون تنشأُ من السوداء غالبًا.

قوله: «**ولذا إذا قلت**»... إلخ، أقول: لا ينهَضُ ذلك دليلًا على كونه في الرأس، مع أنَّ ظاهرَ الكتابِ العزيز خلافُه.

قوله: «**فأول علاقة النفس**»؛ يعني بها الذَّات النور؛ يعني به روح القُدس، فإذا صاحبت الذَّات وتألفت بها كانت لها فعلًا فعَّالًا ناقشًا في لوْحها العلومَ والمعارف.

النَّفْسِ مَعَ النُّورِ، وَأَوَّلُ رَفِيقٍ للحَيَاةِ النُّورُ؛ وَلِذَا تَرَى مَيْلَ الحَيَوَانَاتِ إِلَى النُّورِ، وَرُكُودَ الحَوَاسِّ وَهُدَوءَ الحَرَكَاتِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ...

قوله: «**وأول رفيق**»... إلخ، أي أوَّل ما يُرافق الحياةَ ويمازجها النورُ الذي هو الرُّوح الأمري المُدبِّر للذات المُمَدُّ بنور القُدس من عالَم الطهارة والتنزيه.

قوله: «**ولذا ترى ميل الحيوانات**»... إلخ: أي لأجل ما ذكر مِن أن أوَّل علاقةِ النفس النور مصحوبة وممدَّة به؛ لكونه هيولاها، ترى ميل الحيوانات إلى النُّور بحركتها فيه وسكونِها إلى الظُّلمة بعدَم الحركة فيها.

وَاعْلَمْ أَنَّ النُّورَ الجِرْمِيَّ هَيْئَةٌ فِي الجِرْمِ، فَهُوَ ظُهُورٌ لِغَيْرِهِ وَنُورٌ لِغَيْرِهِ، وَلَوْ كَانَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ لَكَانَ نُورًا لِذَاتِهِ، فَالأَوَّلُ هُوَ نُورُ النُّورِ المُفِيضُ للحَيَاةِ وَنُورِيَّتِهَا،

قوله: «**واعلم أن النور الجرمي**»... إلخ، يعني النُّور المضاف إلى الأجرام إنما هو هيئةُ النُّور الأوَّل، يعني المُمِدّ لسائر الأنوار، وذلك باعتبار تحقُّقه للغير، أما المُمدّ المذكور فهو المُفيض للحياة ونوريَّتِها، فتحصَّل أن النور الجِرمي ظهوره لغيره، وإلا لكان ظهورُه لذاته، وأنه النور المُمِدّ لسائر الأنوار، فنورُه لذاته، مفيضٌ على سائر الأنوار، فهو إذًا نُور الأنوار المفيضُ للحياة ونوريَّتها، كما صرَّح به المُصنِّف.

فَهُوَ ظَاهِرٌ لِذَاتِهِ، مُظْهِرٌ لِغَيْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥]، فَنُورِيَّةُ الأَنْوَارِ وَالنَّيِّرَاتِ ظِلٌّ لِنُورِهِ، قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ

قوله: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] ، يعني مُنوِّرهما؛ إذ لولا نورُه لَمَا تحقَّقت الأنوار، ولا كانت النيِّراتُ، فجميعُ الأنوارِ الكونية ظلالٌ لهذا النور الظاهر بذاته لذاته أوَّلًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، وستائر لمناظر المحجوبين، فالحقّ سبحانه وتعالى لا يتجلَّى تجلِّيًا جماليًا أو جلاليًا إلا بمظاهر أسمائه ونُعوته المُتعالية في مقام واحديَّته، أما مقامُ أحديَّته فلا يتأتَّى فيه ذلك؛ لكونه غيبًا محضًا؛ إذ لا مظهر[١].

---

(١) البحر المديد ٣/٢١٤.

رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، فَهُوَ الَّذِي يَكْسُوهَا البَهَاءَ وَالإِشْرَاقَ وَالنُّضْرَةَ، سُبْحَانَ مَنْ صَوَّرَهُ وَنَوَّرَهُ، وَفِي شَوْقِ جَلَالِهِ سَيَّرَهُ.

قوله: **قال تعالى**: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، دليلٌ على أن النُّور الأوَّل هو نورُ الأنوار ونورُ النيِّرات المفيضُ على سائرها النُّورَ، «**فهو الذي يكسوها البهاء... إلخ**»، البهاءُ: الحُسن والجمال، والإشراقُ: الإضاءة، يُقال: شرَقت الشمس شُرُوقًا من باب قَعَدَ وشَرْقًا أيضًا: طلعتْ، وأشْرقت بالألف: أضاءت[1].

قوله: «**والنضرة البهاء والحسن والبهاء والجمال**»، يُقال: نَضُرَ الوجهُ بالضم نَضارةً: حَسُنَ فهو نضيرٌ، والنَّضْرَةُ مثل تَمْرَة، والنَّضْرُ مثلُ فَلْس: الذهبُ، والنَّضير مثل كريم، والنَّضِيرُ: الجميلُ أيضًا[2].

قوله: «**سبحان من صوره... إلخ**»: أي تنزيهًا، «**لمَن صوره**» جَعَلَ لَهُ صورةً بإيجاده، «**ونوره**» جَعَلَ له نورًا بإظهاره وإمداده، «**وفي شوق جلاله سيره**» الشَّوْقُ نِزاع النفس إلى الشيء مصدر شاقَني الشيء شَوْقًا من باب قَالَ، والمفعولُ مَشُوق، والجلالُ: العظمةُ والجبروت، وكان الأحسنُ إبدالَ الجلالِ بالجمال؛ ليكونَ أنسبَ بالشوق، واللهُ أعلم[3].

قوله: «**صوره**»، يعني صوَّر الكائن بأسره بأن جعل له صورةً وهيئة وصفة مِن نور قُدسه، وعالَم نزاهته التي هي متعلَّقُ الروحِ الأمرية النورانية.

---

(١) المصباح المنير ٣١٠/١.

(٢) المصباح المنير ٦١٠/٢.

(٣) المصباح المنير ٣٢٧/١.

وَاعْلَمْ أيْضًا أنَّ النُّفُوسَ النَّاطِقَةَ وَالعُقُولَ وَإنْ كَانَتْ تَشْتَرِكُ فِي كَوْنِهَا مُجَرَّدَةً وَغَيْرَ جِسْمِيَّةٍ، وَلَا تَنْقَسِمُ لَا فِي الوَهْمِ وَلَا فِي العَيْنِ؛ لأنَّهَا بَرِيئَةٌ عَنِ المَقَادِيرِ،

قوله: «**سيره**»، جعلَه سائرًا على الانتظام بدون عُروض ما يُوجِب له خَللًا في سيره، وسار يُستعمل لازمًا ومتعدِّيًا، والسيرُ يكون ليلًا ونهارًا، فيُقال: سار البعير وسيَّرته، ويُقال: سار يسِير سَيْرًا ومَسِيرًا.[1] اهـ.

قوله: «**واعلم أيضًا أن النفوس الناطقة... إلخ**»؛ يُرِيد بها الأرواحَ الإنسانية، والعقولُ جمعُ عقل، والأوَّل من العقول يُسمى العُقاب؛ لكونه الأرفعَ طيرانًا وصعودًا، وهو القلَم الذي وُجِد أولًا، لا عن سبب ولا عن طلب استعداد قابل قطعًا؛ لأنه لا مُوجب للفيض الذاتي الظاهر أوَّلًا بهذا الوجود، ولهذا كان أعلى وأرفعَ ممَّا وجد في عالَم القُدس والطهارة والنزاهة، فافهمْ، واللهُ سبحانه العليم الأعلمُ.

قوله: «**وإن كانت تشترك**» يعني تُشارك غيرَها في كوْنها من المُجرَّدات اللاتي لا يَحتاجُ تحقُّقها إلى مادَّة تنشأُ عنها ولا إلى مُدَّة تتكوَّن فيها... إلخ، ما ذكره المصنف، وأقول: إنه مذهب فلسفيٌّ لا دليلَ عليه، والذي عليه جماعةُ السُّنة من المحقِّقين أن الأرواحَ والعقول حقائقُ نورانيَّة أوجدها اللهُ تعالى بقُدرته وإرادته، وجرى بها علْمُه القديم مثل سائر الكائنات العُلوية، كالعرش والكرسي والسماوات والأفلاك والملائكة عليهم السلام.

قوله: «**ولا تنقسم لا في الوهم ولا في العين**»، وذلك؛ لأن الوهم لا يكون إلا في ذي المقادير، وكذلك العينُ لا يشاهد فيه إلا إيَّاها.

---

(١) المصباح المنير١/٢٩٩.

إِلَّا أَنَّ النُّفُوسَ تَتَصَرَّفُ فِي الأَجْسَامِ، وَالعُقُولَ لَا تَتَصَرَّفُ فِيهَا؛ إِذْ هِيَ جَوَاهِرُ مُجَرَّدَةٌ مِنْ كُلِّ الوُجُوهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [النازعات: ٥]؛ يَعْنِي الجَوَاهِرَ

قوله: «**إلا أن النفوس تتصرف في الأجسام**»، يعني تتصرَّف فيها بالحركات والسَّكَنات، والعقولُ لا تتصرَّف فيها بهما؛ لأنه من خصائص الأرواح ووظائفِها الناشئ عنها الحياةُ والحركةُ والسكون بالإرادة الجزئية.

قوله: «**إذ هي جواهر من كل الوجوه**»: أي جواهر لا تقبل القسمةَ ولا التركيبَ بجهةٍ مِن الجهات، ولا تغفل عما قدَّمناه من أن هذا مذهبٌ فلسفي لا دليلَ عليه شرعيٌّ، وأن الحق هو ما عليه أهلُ السُّنة والجماعة من أنها حقائقُ نُورانية، واللهُ أعلم.

قوله: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [النازعات: ٥] يعني النَّاظراتِ في عواقب الأحوال؛ لقصْد سُلوك الأعلى منها والتحقُّقِ بحقائقها، فالأمرُ هنا بمعنى الحال، جمعُه أمورٌ، ومنه: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]، والتدبيرُ هو النظَرُ في عواقب الأمور؛ لاختيارِ الأحسن، والأوْلى يُقال: دبَّرت الأمر تدبيرًا، فعلته عن فكْرٍ ورَوِيَّة، وتدبَّرته تدبُّرًا: نظرت في دُبُره، وهو عاقبتُه[1].

---

(١) المصباح المنير١/١٨٨.

المُفَارِقَةَ المُدَبِّرَةَ للأَجْسَامِ، وَهِيَ النُّفُوسُ وَالعُقُولُ الفَعَّالَةُ، هَذَا...

قوله: «**يعني الجواهر المفارقة**»، يريد المفارقةَ في كَوْنها جواهرَ فردةً، لا تقبلُ القِسمة بوجهٍ من الوجوه؛ لبراءتها عن المقادير.

قوله: «**وهي النفوس والعقول الفعالة**»، يعني أنَّ المذكورَ، وهي الجواهرُ المُجرَّدة هي النُّور والعقولُ الفعَّالة.

واعلمْ أن العقول عند الصوفية ثلاثةُ أنواع: مَعاشيةٌ، ومَعادية، ومَعانيَّة، الأولى: يشارك فيها الإنسانَ الحيوانُ، والثانية: تدعو إلى العمل للمَعاد، والثالثة: وهي أعلاها تطلُب العلوم والمعارف، والمعاني الرقيقةُ غذاءً لها، فلا ترضى بغير ذلك في حياتها الدنيوية، وقليلٌ ما هم، بل أربابُ الثانية قليلٌ ما هم، فلا حولَ ولا قوَّة إلا بالله[١].

قوله: «**وهي النفوس والعقول الفعالة**»، العُقول جمعُ عقلٍ، وهو ما عُقِلَ به حقائقُ الأشياء، وهو أنواع: هَيُولانيٌّ، وهو الاستعدادُ المحض لإدراك المعقولات، وهي قوَّة محضة خالية عن الفعل، وجوهرٌ مجرَّد يُدرك به الغائبات بالوسائط الدَّالَّة والمحسوسات، وعقلٌ بالمَلَكة، وهو ما يُعلم به الضروريات، ومُستعِدّ لاكتساب النظريات، وعقلٌ بالفعل، وهو أن تكون النظريات مخزونةً عند القُوَّة العاقلة بواسطة تَكرار الاكتساب، بحيث تحصُل لها ملكةُ الاستحضارِ متى شاءت من غير كسب جديد، وعقلٌ مستفاد، وهو أن تحضُر عنده النظريات التي أدركها، بحيث لا تغيب عنه[٢].

---

(١) انظر: قاموس المصطلحات الصوفية، للشيخ أيمن حمدي -شيخ الطريقة الأكبرية- ص ٧٧.

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني ص١٥٢.

وَقَالَ النوريُّ فِي مَعْنَى الخَبَرِ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالضَّعْفِ، وَالافْتِقَارِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَالعُبُودِيَّةِ لَهُ عَرَفَ رَبَّهُ بِالقُدْرَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَالكَمَالِ المُطْلَقِ، وَالصِّفَاتِ

قوله: «**وقال النوري في معنى الخبر**»... إلخ، النوريُّ مِن رجال الرسالة القُشَيرية، عرَّفته فيما كتبته في حاشيتي عليها، فارجعْ إليها إن شئت، وقوله: «**في معنى الخبر**»؛ يعني على فرْض كوْنِه خبرًا وارِدًا عن رجال الأخبار الصحيحة.

قوله: «**من عرف نفسه بالضعف والافتقار إلى الله تعالى، والعبودية له**»، يريدُ أنَّ مَن عرف وصفَ نفْسِه الذاتيَّ لها الذي من جُملته الضعفُ، وهو ما قابل القُوَّة، والافتقارُ، وهو شدَّة حاجته إلى ربه في سائر أحواله وأوقاته، وعرَف أنه عبدٌ له تعالى مربوب، وأنه تعالى هو ربُّه لا ربَّ له غيره، «**عرف ربه بالقُدرة**» على كل ممكن قُدرة عامَّة تامَّة لا يُعجِزها شيء منها، وأنه ربُّه ومُبلِّغه كمالَه تدريجًا بحكمته الباهرة للعقول الكاملة، وعرَف أن الكمال المُطلقَ والصِّفاتِ العلى لا تكون إلا له جل جلاله.

العُلَى. وَقَالَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ بْنُ عَطَاءِ اللهِ فِي «لَطَائِفِ المِنَنِ» فِي مَعْنَاهُ: سَمِعْتُ شَيْخَنَا أَبَا العَبَّاسِ المُرْسِي يَقُولُ: فِي هَذَا الحَدِيثِ تَأْوِيلَانِ: أَحَدُهُمَا: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِذُلِّهَا وَعَجْزِهَا وَفَقْرِهَا، عَرَفَ اللهَ رَبَّهُ بِعِزِّهِ وَقُدْرَتِهِ وَغِنَاهُ، فَتَكُونُ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ أَوَّلًا، ثُمَّ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى مِنْ بَعْدُ.

قوله: «**تأويلان**»، تثنيةُ[١] تأويل، وهو حملُ اللفظ على بعض محملاته؛ لظهوره عن باقيها.

قوله: «**أحدهما**»، يعني أحد التأويلين «**مَن عرف نفسه**... إلخ»، يُريد مَن عرف ذاتَه «**بذُلها**»؛ أي خضوعِها وانكسارها،» **وعجزها**» ضدّ القُدرة، «**وفقرها**» ضدّ الغِنى، وكان علمُه ناشئًا من أدلّة الحس والعقل والشرع، «**عرف ربه بعزه**» مُقابل الذُّل له، «**وقدرته**» تعالى مقابل العجْز له، «**وغناه**» مُقابل الفقر له، فتكون معرفة ذاتِه أوَّلًا؛ ليتوصَّلَ بها إلى معرفة الله تعالى مِن بعدُ، «**وثانيها**»، يعني الثاني مِن التأويلينِ «**من عرف نفسه**» بالنُّعوت الذاتيةِ لها بالأدلّة القاطعة دلَّ ذلك الأمرُ منه على أنه قد عَلِمَ ربَّه بمُقابل ما عرَف به نفسَه مِن قبلُ.

---

(١) أي مثنى، فهو من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول.

وَثَانِيهِمَا: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهَ فَقَدْ دَلَّ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ عَرَفَ رَبَّهُ مِنْ قَبْلُ، فَالأَوَّلُ حَالُ السَّالِكِينَ، وَالثَّانِي حَالُ المَجْذُوبِينَ.

قوله: «**فالأول**»؛ يعني به التأويل الأوَّل في كلام ابن عطاء الله الذي نقلَه عن شيخه المرسي، «**حال السالكين**»؛ لعلَّه يُريد بهم علماءَ الرسوم؛ لكوْنهم يستدلّون بالحادث وتغيُّره على القديم عزَّ شأنه.

قوله: «**والثاني**»، يعني من التأويلين، «**حال المجذوبين**»، يعني مَن جُذِبتْ أرواحُهم القدسية إلى الحقيقة الصمدانية جذبةً دَفْعية أولية، ثم عادوا منها إلى العوالم الكونيَّة[1]، وربُّك على كل شيء قديرٌ، وهو بعباده خبيرٌ بصيرٌ ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ٢٠] ، فافهمْ.

---

(١) ويعرف السيد الشريف المجذوب بأنه: من اصطفاه الحق لنفسه، واصطفاه بحضرة أنسه، وأطلعه بجناب قدسه، ففاز بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب. التعريفات ص:٢٠٢.

وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ المَكِّيُّ فِي «قُوتِ القُلُوبِ»: مَعْنَى الخَبَرِ: إِذَا عَرَفْتَ صِفَاتِ نَفْسَكَ فِي مُعَامَلَةِ الخَلْقِ، وَأَنَّكَ تَكْرَهُ الاعْتِرَاضَ عَلَيْكَ فِي أَفْعَالِكَ، وَأَنْ يُعَابَ

قوله: «**في قوت القلوب**»، اسمُ كتابٍ له، «**يعني الخبر**... إلخ»، مقول القوْل.

قوله: «**إذا صرفت صفات نفسك**» الدَّاعيةَ إلى محبَّتك ما يعاملونك به، وإلى كراهتها ما يعاملونك به، فتقبَلُ منهم المحبوبَ لك، وتكره المكروهَ، ولا تقبله وتُعرِض به عنهم عرَفتَ من ذلك ما يحبُّك الله به وما يبغضك به، والله أعلم.

قوله: «**في معاملة الخلق**»، يعني فيما تُحبُّ منهم أنهم يعاملونك به، وما تبغض أن يعاملوك به، فقوله: «**في معاملة الخلق**»: أي معاملتهم إيَّاك على حسبِ ما فُطِرتْ عليه، وقوله: «**وأن تكره الاعتراض عليك**»: أي الواقعَ منهم في مقابلة شيء تقدَّم منك ممَّا لا يرضَوْنه مِن أفعالك، وقوله: «**وأن يعاب**»... إلخ : أيْ وتكره أن يُعاب عليك ما تصنَعُه معهم مِن أفعالك، وأنه يكره ذلك لديهم.

عَلَيْكَ مَا تَصْنَعُهُ عَرَفْتَ مِنْهَا صِفَاتِ خَالِقِكَ، وَأَنَّهُ يَكْرَهُ ذَلِكَ، فَارْضَ بِفِعْلِهِ، وَعَامِلْهُ بِمَا تُحِبُّ أَنْ تُعَامَلَ بِهِ.

قوله: «**عرفت منها صفات خالقك**» الجملةُ جوابُ إذا، يُريد أنَّ الذي ينبغي مِن العبد الرضا بما يكون منه تعالى لَاءَمَهُ أمْ لم يُلَائِمْه، خيرًا كان أو شرًّا باعتبار مصدْرِ ذلك الفعْل أو خيرًا، ولو باعتبار الواقع ممَّا لم يمنعْه حكمُ الشرع، فيعامل ربَّه في كل ما ذُكِرَ بما تحسبُ أن يعامل به الخلْق، وذلك أن يرفق بفعله سبحانه وتعالى.

وَقَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ: قَدْ ظَهَرَ لِي مِنْ سِرِّ هَذَا الحَدِيثِ مَا يَجِبُ كَشْفُهُ وَيُسْتَحْسَنُ وَصْفُهُ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَضَعَ هَذِهِ الرُّوحَ الرُّوحَانِيَّةَ فِي هَذِهِ

قوله: «**وقال الشيخ عز الدين**»... إلخ، ما ذكره هذا العارفُ من فائق هذه المعارف مما ينبغي أن يُلقَى له السمعُ ويُعَضَّ عليه بالنواجذ؛ لكوْنه ناشئًا من قلْبٍ صَفَتْ مِرآته، وراقَتْ وَرَقَتْ وارِداتُه، ولطفتْ إشاراته، وسرَّتِ القلوبَ منشوراتُه، وأغنَتِ النفوسَ إسعافاتُه، فتأمَّلْ بإنصافٍ، ولا تتابعِ العسف والاعتساف، وإن لم يكُ قاطعًا عقليًّا، ولا دليلًا شرعيًّا.

قوله: «**من سر هذا الحديث**»... إلخ: أي ما اندرج وأُضمِرَ في معناه مما يجب إيضاحُه وإظهارُه للإخوان والطُّلاب نصيحة للإرشاد بعد ذلك من الأمور المُستحسنة في الدين بإيضاح نعته، فقوله: «**وهو**»... إلخ، يعني دالة المذكور بصِفاته بيانه «**أنَّ الله تعالى وَضَعَ هذه الروح**»، يعني به الأمْرية الرُّوحانية، يعني المنسوبةَ إلى الرُّوح القُدسيّة «**في هذه الجثة**»، يعني الجِسم المنسوب للجثة المقابلة للرُّوح الروحانية بكوْنها ظُلمانية؛ لكوْنها من العناصر الأربعة، وهي: الماء، والتراب، والنار، والهواء.

واعلمْ أن الرُّوح باعتبار أنها مِن النُّور اللطيف لا تفنى بعد وجودها، بخلاف الجُثة باعتبار تركُّبها مِن العناصر وظُلمانيتها بالتركيب لا بُدَّ لها مِن الفناء بعد وُجودها؛ لكثافتها، واللهُ أعلم[1].

قوله: «**وضع الله هذه الروح**»... إلخ، يعني جعَلَها في هذه الجُثة سببًا لحياتها الدُّنيوية وتدبير شئونها فيها «**لطيفة**» مُقابلة لكثافتها، «**لاهوتية**» مقابلة لناسُوتيَّتها

---

(١) انظر: معارج القدس للغزالي ص١١٧، النكت المفيدة في شرح الخطبة والعقيدة ص١٥٧،والمسامرة في شرح المسايرة ص ٢١٨.

الجُثَّةِ الجثمَانِيَّةِ لَطِيفَةً لَاهُوتِيَّةً مَوْضُوعَةً فِي كَثِيفَةٍ نَاسُوتِيَّةٍ دَالَّةٍ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَرَبَّانِيَّتِهِ، وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنْ عَشْرَةِ أَوْجُهٍ:

«**دالة**» وهادية ومُرشدة لمَن تدبر ما ذكر إلى وَحدانية الحقِّ في الإيجاد والإمداد، وأنه هو الربُّ المبلِّغ للكمال تدريجًا بحكمته، لا ربّ للخلق غيره، وذلك ظاهرٌ غني عن البيان والكشف باعتبار العقول المنورة، والفطر السليمة مِن غلبة الحيواناتِ عليها.

قوله: «**في هذه الجثة الجثمانية**»، اعلمْ أنَّ الجُثَّة للإنسان إذا كان قاعِدًا أو نائمًا، فإن كان مُنتصبًا فهو طَلَل، والشخص يعُمُّ الكُلَّ، والجُثمان: الشخص، والجُثمان: الجسم، والجسد[1].

قوله: «**لاهوتيته**»: أي منسوبة للَّاهُوت، وهو عالَمُ الأرواح النُّورانية.

---

(١) المصباح المنير ٩١/١.

الأَوَّلُ: أَنَّ هَذَا الهَيْكَلَ الإِنْسَانِيَّ لَمَّا كَانَ مُفْتَقِرًا إِلَى مُدَبِّرٍ وَمُحَرِّكٍ، وَهَذِهِ الرُّوحُ مُدَبِّرَةٌ وَمُحَرِّكَةٌ لَهُ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا العَالَمَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُدَبِّرٍ وَمُحَرِّكٍ.

قوله: «**أن هذا الهيكل**»، يعني الشكلَ الثابت للإنسان «**لمَّا كان مفتقرًا إلى مدبر**»؛ أي لما كان شديدَ الافتقارِ إلى ما يُدبر شُئونَه في حالة وجوده افتقارًا لا ينفكُّ عن ذاته، وكانت هذه الروحُ هي المُدبِّرةَ له في سائر حركاته وسكَناته بإرادته الجزئية الاختيارية بشَهادة الظاهر المعاين والعادة المستمرة علِمنا وتحقَّقنا مِن ذلك أنَّ هذا العالَم المراد منه ما سواه تعالى لا بُدَّ ولا غنى له عن إلَهٍ مُدبِّر ومُحرِّك، هذا ويُقال: فَقِرَ يَفْقَرُ من باب تَعِبَ إذا قل ماله، ولم يقولوا: فقُر بالضم استغناءً عنه بافتقر[1].

---

(١) المصباح المنير ٢/٤٧٨.

الثَّانِي: لَمَّا كَانَ مُدَبِّرُ الجَسَدِ وَاحِدًا، وَهُوَ الرُّوحُ عَلِمْنَا أَنَّ مُدَبِّرَ العَالَمِ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي تَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ، لَا جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ، قَالَ تَعَالَى:

ووجه الدلالة من عشرة أوجه: ... ص ٢٠٩

قوله: «**ووجه الدلالة**»... إلخ: أي محلّ مأْخذها مِن عشْرة أوجُه.

قوله: «**الثاني**»... إلخ، يعني الوجه الثاني مِن أوجُه الدلالة، هو أنه «**لمَّا كان مدبر الجسد واحدًا**»؛ لعدَمِ وُجود ما يصِحُّ منه التدبيرُ غيرَه، «**وهو الروح علمنا** ...إلخ»، جوابُ «لمَّا»، يعني ثبتَ لنا مِن ذلك **أنَّ** «**مُدبِّر العالَم**»، وهو الكائناتُ بأسْرها «**واحد**» في ذاته، وفي صفاته، وفي أفعاله.

قوله: «**لا شريك له**»... إلخ، تأكيدٌ لقوْله واحد، يعني علِمنا وتحقَّقنا أنه لا مُشارِكَ له في تدبيره، كما أنه لا مُشارِكَ له في إيجاده وإبداعه، فقوله: «**وتقديره**» يعني إيجاده الأشياءَ على مِقدارٍ مخصوصٍ وصفةٍ وزمان كذلك.

قوله: «**لا جائز له**»: أي لاستحالتِه عقْلًا، وإن كان ما ذَكَره هنا مِن أدلَّة عدَم الجواز إقناعيًّا؛ لمَا لا يخفى على مَن له إلمامٌ بالعلْم، أقول: ومِن المُقنِعِ في إثبات الحقِّ الوُجودِ والوَحدةِ بناءُ هذا العالَمِ وترتيبُه على أبدَع وجهٍ وأعظم نِظام؛ إذ العقلُ السليم بالنظر لذلك يدُلُّ صاحبه على أنَّ ارتباطَ العالَم والأجزاء المختلطة، بحيث كأنها شيءٌ واحد يمدّ بعضه بعضًا، لا يكون إلا مِن واحد لا شريك له في التصرُّف؛ لأنَّ الترتيب في هذه المختلفات الذي لو غيّر لاختلَّ شاهدُ عدْلٍ على ما ذكر.

وتوضيحُه: أنه لو نَظَرَ إلى المُكوِّنات وإلى مدّ البعض البعضَ الآخر وما فيها مِن القوى والمنافع، وأحَاطَ بدقائقِ التشريحِ لا يشُكّ في أنه لا بُدَّ له مِن صانع واحدٍ مختار متَّصف بجميع صِفات الكمال والجلال والجمال، فتبارك اللهُ أحسن الخالقين.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا

قوله: **قال تعالى:** ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] : أي وذلك لأنَّ تعدُّد الآلِهَة يستلزمُ إمكانَ تخالُفهما وإلا لم يكونا، أو أحدهما مختارًا، والإله يجب أن يكون مُختارًا، وإمكان التخالُف يستلزمُ واحدًا من أمور ثلاثةٍ:

- إما انتجاز مُراد كلٍّ منهما.
- أو عدم انتجازِ مراد كلٍّ منهما.
- أو انتجاز مراد واحد منهما دون الآخر.

وجميعُها مُحالٌ؛ لأن إمكان المحال محالٌ، فالملزوم الأول؛ أعني التعدُّد محال.

وإنما قلنا: إنَّ الأمور الثلاثةَ كلها مُحالٌ؛ لأن الأوَّل يستلزِمُ اجتماعَ النقيضين، والثاني: عجزَ كلٍّ منهما، والثالث: عجزَ أحدهما، والعجزُ على الإله محالٌ، ويمكن أن يُراد بالفساد في الآية عدمُ التكوُّن، أو أنَّ بيان الملازمة أنَّ تعدُّد الآلهة يستلزمُ عدمَ الإله؛ إذ لو كان الإلهُ على هذا التقدير لكان إمَّا واحدًا، وهو خلافُ المفروض، أو مُتعدِّدًا، وهو يستلزمُ اجتماعَ النقيضين، أو عجز الإله، وعدم الإله يستلزمُ عدمَ تكوُّن السماوات والأرَضين؛ لأنهما مُمكنانِ، وهو باطل بدليل المشاهدة، واللهُ أعلم(١).

وأنا أقول وإن كان ذلك قد يعدّه الغيرُ مِن الفضول: لو كانت العلّة في الأزل

---

(١) انظر: المطالب العالية ١/٢٧٨، وأبكار الأفكار ٢/١٠٦.

﴿٤٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٢ – ٤٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

لكان المعلولُ لم يزل، فإيَّاك من ظهور الشُّبَه في صوَر الأدلة؛ فإنها مُضِلّة، فما عرفه تعالى سواه، وإذا كان المدلولُ لا يُعرف إلا بالدليل، فليس إلى العلْم به تعالى سبيل، فكلُّ عقلٍ له عقلٌ مثلُه، وليس للحَقِّ تعالى حَقٌّ مثلُه، فمَن عرَفه تعالى بعقله فما عرَفه، فافهمْ، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، إبطال لتعدُّد الآلهة، كما في اعتقادهم الباطل، فقوله: «لفسدتا»، يعني لبَطَلتَا بما فيهما؛ لأنَّ التاليَ يُفيد انتفاءَ المقدَّم قطعًا ببيانِ أنَّ الإلهيَّة تستلزمُ القُدرةَ على الاستِبداد بالتصرُّف فيها على الإطلاق تغييرًا وتبديلًا، أو إيجادًا أو إعدامًا، فبقاؤُهما على ما كانا عليه إما بتأثيرِ كلٍّ منهما، وهو محالٌ؛ لاستحالةِ بقاء وقوع المُعلَّل المُعيَّن بعِلَل مُتعدِّدة، وإما بتأثيرِ واحدٍ منهما، فالبواقي بمَعْزلٍ من الأُلوهية قطعًا، وجعل التالي فسادهما بعد وجودهما؛ لاعتباره في المُقدَّم لتعددهما، وإلا فالبرهانُ يقتضي استحالةَ التعدُّد؛ لأنه إن توافقتِ الكَلِم تطاردتْ عليه القدر، وإن تخالفت تمانعت، فلا يُوجد موجودٌ أصلًا، وحيث انتفى التالي تعيَّنَ انتفاءُ المقدَّم.

وقوله: «**فسبحان الله**»، الفاءُ فيه لترتيب ما بعدَها على ما قبلَها مِن ثبوت الوَحدة بالبرهان، قوله: «**رب العرش**»، صفةٌ للفظ الجلالة، «**عما يصفون**» متعلِّق بالتسبيح: أي تنزيهًا له عما يصفون مِن تعدُّد الآلهة.

قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ : أي لو كان معه تعالى آلهة كما يقولون: أي المشركون قاطبةً، ﴿ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٢]، يعني إلى مَن له الملك، والربوبية على الإطلاق «**سبيلًا**»: أي طريقًا بالمُغالبة والمُمانعة، كما هو ديدنُ

الثَّالِثُ: إِذَا كَانَ هَذَا الجَسَدُ لَا يَتَحَرَّكُ إِلَّا بِإِرَادَةِ الرُّوحِ وَتَحْرِيكِهَا عَلِمْنَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُرِيدٌ لِمَا هُوَ كَائِنٌ فِي كَوْنِهِ لَا يَتَحَرَّكُ مُتَحَرِّكٌ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، إِلَا بِتَقْدِيرِهِ وَإِرَادَتِهِ وَقَضَائِهِ.

الملوك بعضِهم مع بعض على طريقة قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فقوله: «إذًا»... إلخ، جَوابٌ عن مَقالتهم وجزاءٌ لـ «لو»: أي لطلبوا سبيلًا وطريقًا؛ لمَا قدَّمناه، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾[الإسراء: ٤٢ – ٤٣]، اللازم عليه محذورٌ لم يدخل في احتسابهم مع كوْنها، يعني مقالتهم عظيمةً في الجريمة التي هي أن يكون معه تعالى آلِهَة، أو أن يكون له بناتٌ ﴿ ... عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[الإسراء: ٤٢ – ٤٣] تعاليًا لا نهايةَ له؛ لأنها في أعلى طبقاتِ الوُجود، وهو الوجود الذاتيُّ المُنزَّه عما ذكر، واللهُ أعلم.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، يُريد نفيَ موجودٍ في الوجود يُشارِكه تعالى في الأُلوهية؛ لاستحالة ذلك كما تقدَّم قبلُ في بيان الآيات الشريفة، وقوله: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ : أي وذلك محالٌ أيضًا، ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، تعاليًا على أسلوبِ وديدنِ الملوك، وهو باطلٌ، سُبحان الله عما يصفون تنزيهًا له عما زَعَمه الكَفَرةُ من وجود إلَهٍ معه يُشارِكه في ملكه.

قوله: «**الثالث: إذا كان هذا الجسد**»... إلخ، فيه دلالةٌ على ثبوت الإرادةِ الإلهية وانحصار الفعَّاليَّة في الحقِّ تعالى جلَّتْ عظمتُه عن أن يُسأل عما يفعل؛ إذ لا نظيرَ

الرَّابِعُ: لَمَّا كَانَ لَا يَتَحَرَّكُ مِنَ الجَسَدِ شَيْءٌ إِلَّا بِعِلْمِ الرُّوحِ وَشُعُورِهَا بِهِ لَا يَخْفَى عَلَيْهَا مِنْ حَرَكَاتِ الجَسَدِ وَسَكَنَاتِهِ شَيْءٌ عَلِمْنَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَعْزُبُ

ولا مثيلَ حتى يصِحَّ منه أن يسألَه تعالى عن أفعاله في خلْقه؛ إذ هو الرب والمالك، لا ربَّ ولا مالِكَ غيرُه تعالى.

قوله: «**من حركات الجسد وسكناته**»، الحركةُ خلافُ السُّكون، يُقال: حَرُكَ حَرَكًا وِزان شَرُف وكرُم، والحركةُ واحدة منه، والأمرُ منه احرُكْ بالضم، وحرَّكته فتحرَّك، والحَراكُ مثلُ سَلَام: الحركةُ، والسكون ضد الحركة(١)؛ إذ هو ذَهابها يُقال: سَكَنَ المُتحرِّك سُكونًا: ذهبتْ حركتُه، ويتعدَّى بالتضعيف.

قوله: «**لم يكن فيه شيء أقرب إلى الروح**»: أي لسريانِها في جميع الأجزاء الحيوانيَّة على السَّواء.

---

(١) المصباح المنير ١/١٣١.

عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

الخَامِسُ: لَمَّا كَانَ هَذَا الجَسَدُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ أَقْرَبُ إِلَى الرُّوحِ مِنْ شَيْءٍ، بَلْ هُوَ قَرِيبٌ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي الجَسَدِ، عَلِمْنَا أَنَّهُ تَعَالَى أَقْرَبُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ، لَا بِمَعْنَى قُرْبِ المَسَافَةِ؛ لأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْهُ.

السَّادِسُ: لَمَّا كَانَ الرُّوحُ مَوْجُودًا قَبْلَ وُجُودِ الجَسَدِ عَلِمْنَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَوْجُودٌ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَكُونُ مَوْجُودًا بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ مَا زَالَ، وَلَا يَزَالُ، وَتَقَدَّسَ عَنِ الزَّوَالِ.

قوله: «**علمنا أنه تعالى أقرب**»... إلخ، لعلَّ الأحسنَ أن يقولَ: قريبٌ بدَلَ أقرْب على أنَّ أخْذَ ذلك مما قبلَه يستدعِي نَظَرًا للفرْق، نعم فيه تقريبٌ للعقول، واللهُ أعلم.

قوله: «**لما كان الروح موجودًا قبل**»... إلخ، يعني قبلَه بأدلّة الشرع، وإلا ففيه تأمُّل.

قوله: «**قبل وجود الجسد**» كان الأَوْلى أن يقول: «وبعد فنائه»؛ ليُتمَّ قولَه: «**علِمنا أنه سبحانه وتعالى**»... إلخ.

قوله: «**ما زال ولا يزال**»، يعني أنَّ وُجودَه تعالى أزليٌّ وأبديٌّ؛ لتنزُّهِه عن الزَّوال أزلًا وأبدًا.

السَّابِعُ: لَمَّا كَانَ الرُّوحُ فِي الجَسَدِ لَا يُعْلَمُ لَهُ كَيْفِيَّةٌ عَلِمْنَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَقَدَّسَ عَنِ الكَيْفِيَّةِ.

الثَّامِنُ: لَمَّا كَانَ الرُّوحُ فِي الجَسَدِ لَا يُعْلَمُ لَهُ أَيْنِيَّةٌ عَلِمْنَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الأَيْنِيَّةِ، فَلَا يُوصَفُ بِأَيْنٍ وَلَا كَيْفٍ، بَلِ الرُّوحُ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ الجَسَدِ مَا خَلَا مِنْهَا شَيْءٌ، فَكَذَلِكَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَوْجُودٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ مَا خَلَا مِنْهُ مَكَانٌ، وَتَنَزَّهَ عَنِ المَكَانِ وَالزَّمَانِ.

قوله: «**لا يعلم له أينية**» لعلَّه على ما قالَهُ بعضُ الفلاسفة من أنَّ الرُّوح من المُجرَّدات ليست من الجواهرِ ولا من الأعراض، وليس لها اتِّصالٌ بالجِسم ولا انفصالٌ عنه(١)، ودليلُ ذلك لا يظهر.

قوله: «**لا يعلم له كيفية**»: أي لا يُعلم كذلك عِلمًا قطعيًا، فلا يُنافي ما حكاه بعضُ العلماء في كيفيَّة الرُّوح فيه.

قوله: «**علمنا أنه تعالى تقدس عن الكيفية**» فيه أنَّ تنزُّه الإلهِ عنها واجبٌ عقلًا، بخلاف الرُّوح، ومثلُ ذلك يُقال في الأينية بعده.

قوله: «**موجود في كل مكان**» ...إلخ، يعني أن عِلْمه سُبحانه متحقِّق فيه ومحيطٌ به، ففي التفسير المذكور تجوُّز وارتكابٌ لِمَا يُوهِم.

---

(١) انظر «محصل أفكار المتقدمين» ص ٥٤٩.

التَّاسِعُ: لَمَّا كَانَ الرُّوحُ فِي الجَسَدِ لَا يُدْرَكُ بِالبَصَرِ عَلِمْنَا أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُدْرَكُ بِالبَصَرِ وَلَا يُمَثَّلُ بِالصُّوَرِ وَالآثَارِ، وَلَا يُشَبَّهُ بِالشُّمُوسِ وَالأَقْمَارِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

قوله: «**علمنا أنه تعالى لا يدرك بالبصر**»، يعني لا يدرك به بالفعْل لكلِّ أحد، خلافَ سيِّدنا ورسولنا مُحمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على ما ذهبَ إليه ابنُ عبَّاس رضي اللهُ عنهما[1].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٨٨٨.

العَاشِرُ: لَمَّا كَانَ الرُّوحُ لَا يُحَسُّ وَلَا يُمَسُّ عَلِمْنَا أَنَّ البَارِيَ مُنَزَّهٌ عَنِ الحِسِّ وَالمَسِّ، فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ، فَطُوبَى لِمَنْ عَرَفَ، وَبِتَقْصِيرِهِ اعْتَرَفَ.

قوله: «**لا يحس ولا يمس**»، يعني لا يحسّ ولا يمسّ بالفعْل، وإن كان كلٌّ جائزًا باعتبار الرُّوح، أمَّا بالنِّسبة له تعالى فهو مُستحِيلٌ عقلًا.

قوله: «**فطوبى**»، اسمُ مكانٍ في الجَنَّة، أو اسمُ شجرةٍ فيها.

قوله: «**لمن عرف**»: أي لمَن عرف نفسَه بوصْفِها الذاتيِّ، وتوصَّلَ بذلك إلى علْم ربِّه باعتبار وصفْه كذلك.

قوله: «**وبتقصيره اعترف**»: أي أقَرَّ بتقصيره عن معرفة ربِّه، كيفَ لا يكونُ كذلك، وقد قال سيِّدُ المُرْسلِينَ وإمامُ المُتَّقِينَ: «سُبحانَك ما عرَفناك حقَّ معرفتِك، ولا عبدْناك حقَّ عِبادتك»(١).

---

(١) لم أقف عليه، وذكر المناوي في فيض القدير٢/٤١٠، صدر الحديث، ولم يذكر مصدره.

غَيْرَ أَنَّ قَوْلَ الشَّيْخِ عِزِّ الدِّينِ فِي الوَجْهِ السَّادِسِ: لَمَّا كَانَ الرُّوحُ مَوْجُودًا قَبْلَ وُجُودِ الجِسْمِ، رُبَّمَا يُقَالُ عَلَيْهِ: إِنَّ وُجُودَهَا قَبْلَ الجِسْمِ كَيْفَ يُتَصَوَّرُ؛ لأَنَّهَا إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُتَكَثِّرَةً. وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مُتَّحِدَةً، أَمَّا الأَوَّلُ فَبَاطِلٌ؛ لأَنَّ التَّكَثُّرَ دُونَ مُمَيِّزٍ مُحَالٌ، وَلَا مُمَيِّزَ قَبْلَ الجِسْمِ، وَأَمَّا الثَّانِي وَهُوَ كَوْنُهَا مُتَّحِدَةً فَلَا يَصِحُّ أَيْضًا؛ لأَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي جَمِيعِ الأَجْسَامِ، فَيَكُونُ للجَمِيعِ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ؛ لأَنَّهُ حِينَئِذٍ كَانَ يَجِبُ أَنْ يُدْرِكَ جَمِيعُ النَّاسِ مَا أَدْرَكَ وَاحِدٌ، وَذَلِكَ غَيْرُ وَاقِعٍ، عَلَى أَنَّهَا لَا يَصِحُّ قِسْمَتُهَا بَعْدَ الوَحْدَةِ؛ لأَنَّ القِسْمَةَ مِنْ

قوله: «**ربما يقال عليه**» فيه أنه بحْثٌ فلسفيٌّ مبنيّ على أوهامٍ فاسدةٍ نشأتْ مِن ظنونٍ كاذبةٍ باطلة، لا حقيقةَ لها؛ لعدَمِ ظُهور دليلٍ يدلُّ عليها، فنسألُ اللهَ تعالى السلامةَ من طُغيان النفْس، ومِن غرورها بالعلْم مع كوْنه جُزئيًّا قاصِرًا غايةَ القُصور.

قوله: «**متكثرة**»: أي مُتعدِّدة ومتَّحدة تُقابلها وتباينها.

قوله: «**أما الأول**»: أي وهو كوْنها متكثرةً.

قوله: «**فباطل**» يعني لا حقيقةَ له، يُقال: بَطَلَ الشيء يبطُل بُطلًا وبُطولًا وبُطلانًا بضم الأوائل: فَسَدَ، أو سقَطَ حُكمه، فهو باطِلٌ، وجمعُه بَوَاطِلُ، وقيل: أباطيلُ على غير قياسٍ، ويتعدَّى بالهمزة، فيُقال: أبطلته، وذهبَ دمُه بُطْلًا: أي هَدَرًا.[1]

قوله: «**لأن التكثر دون مميز محال**» فيه أنَّه ما المانِعُ مِن المميز باعتباره تعالى خُصوصًا، وقد قيل: إنَّ الأرواحَ مِن عالَم المُجرَّدات، وإن كان قوْلًا فلسفيًّا لا دليلَ

---

(١) المصباح المنير ١/٥١.

عَوَارِضِ الأَجْسَامِ، وَقَدْ قَامَ البُرْهَانُ عَلَى امْتِنَاعِ جِسْمِيَّتِهَا، وَالَّذِي قَالُوهُ فِي حَدِّهَا أَنَّهَا جَوْهَرٌ غَيْرُ جِسْمِيٍّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُدْرِكَ المَعْقُولَاتِ وَيَتَصَرَّفَ فِي الأَجْسَامِ،

عليه ظاهرٌ، وفيه أيضًا أنه لا يُقال إلا في المُركَّبات لا المُجرَّدات، وفي الأركان الجُزئيَّة لا الكُلِّيَّة(١).

قوله: «**ولا مميز قبل الجسم**»، فيه أنه حُكْمُ عقلٍ قاصرٍ واقفٍ مع المألوفِ في الحادث في جرْي عادته.

قوله: «**وأما الثاني**» هو كوْنُها متَّحدة، وقوله: «**فلا يصح**»، يعني عقلًا؛ لامتناعه فيه.

قوله: «**أن تتصرف في جميع الأجسام**»: أي لتساويها في الحقيقة.

قوله: «**فيكون للجميع نفس واحدة**» : أي لأنَّ الغرَض اتِّحادُها بمعنى وَحْدَتِها في الحقيقة، وفيه أنَّ وَحدة الحقيقةِ لا يلزمُ منه عدمُ تحقُّقها في أفراد، وتعدُّدها باعتبارِ تلك الأفراد.

قوله: «**غير واقع**»، يعني غير واقعٍ بدَلالة المُشاهدة.

قوله: «**لأن القسمة من عوارض الأجسام**»، فيه أنَّ ذلك في الأجسام العُنصريَّة، لا في الجواهر النُّوريَّة.

قوله: «**جوهر غير جسمي**»، يعني غير جِسميّ عنصري، بل جوهرٌ نُورانيٌّ.

---

(١) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ٥٤٩.

فَالنَّفْسُ إِذًا حَادِثَةٌ مَعَ البَدَنِ، وَهِيَ نُورٌ مِنْ أَنْوَارِ اللهِ القَائِمَةِ لَا فِي أَيْنٍ، فَسُبْحَانَ فَاعِلِ العَجَائِبِ، مُبْدِعِ الهُوِيَّاتِ، وَمُظْهِرِ الآيَاتِ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ،

قوله: «**من شأنه أن يدرك المعقولات**» : أي حالُه وصِفتُه الإدراكُ والفَهم.

قوله: «**ويتصرف في الأجسام**»، يعني بها المُركَّبَةَ، وتصرُّفُه فيها بالإرادة الجُزئية بحركة أو سُكون.

قوله: «**فالنفس إذًا حادثة**»... إلخ، أقول: ذلك مبنيٌّ على مُقدِّمات الدليلِ الذي تمسَّكَ به، وقد علِمتَ ما فيه، وبذلك تعلمُ فسادَ النتيجةِ.

قوله: «**فسبحان فاعل العجائب**» : أي تنزيهًا له عما لا يليقُ بجلاله وكمالِه، والفاعِلُ: الموجِدُ والخالق، والعجائبُ جمعُ عجيب، وهو ما خَفِيَ عنَّا سببُه، فكوْنه عجيبًا باعتبارنا، لا بالنِّسبة إليه تعالى، أو جمعُ عجيبة، وهي ما يُتعجَّب منها لحُسنها، يُقال: عَجِبت من الشيء عَجَبًا من باب تعب، وتعجَّبت واستعجبت، وهي شيء عجِيب: أي يُعجب منه، وأعجبني حسنُه، وأُعْجِبَ زيدٌ بنفسه، بالبناء للمفعول إذا ترفَّع وتكبر[١].

قوله: «**مبدع الهويات**»، الإبداعُ والابتداعُ إيجادُ شيءٍ غيرِ مسبوق بمادَّة ولا بزمان كالعقول، وهو يُقابل التكوينَ؛ لسبقه بالمادَّة، والإحداثَ؛ لسبقه بالزمان، والتقابلُ بينهما تقابلُ التضادّ إن كانا وجوديينِ بأن يكونَ الإبداعُ الخلوَّ عن المسبوقيَّة بمادة، والتَّكوين عبارةً عن المسبوقيَّة بمادَّة، ويكون بينهما تقابلُ

---

(١) المصباح المنير ٣٩٣/١.

هَكَذَا أَوْرَدَ بَعْضُهُمْ مِمَّنْ يَذْهَبُ مَذْهَبَ تَحْكِيمِ العَقْلِ.

وَالصَّوَابُ الرُّجُوعُ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الحَقِّ وَالعَدْلِ مِمَّنْ يَقِفُ عِنْدَ صَحِيحِ

الإيجاب والسَّلْب إن كان أحدهما وُجوديًّا، والآخرُ عدميًّا[١]، والهُويَّاتُ هي الحقائق المُشارُ إليها بـ«هو».

قوله: «**ومظهر الآيات**» يعني كاشفَها، ويحتمل «مظهرها» بمعنى محلِّ ظهورِها ومَنْشئِه، والآياتُ جمع آية، وهي الدَّلالاتُ على وجوده تعالى بما يجبُ له من نُعوتِ الكمال، وتنزّهه عمَّا لا يليقُ بصفة الجلال.

قوله: «**تبارك الله أحسن الخالقين**»، يعني تعالى، **وأحَسْنُ** على غير بابه؛ إذ لا خالقَ غيره تعالى.

قوله: «**هكذا أورد بعضهم**» يعني مثل ما ذكرْناهُ مِن البحث المُتقدِّم، والظاهرُ أن ذلك تبرِّي منه؛ إذ لا حُكمَ قبل الشرع، ولا اعتبارَ لِمَا حسَّنَه العقلُ، بل بما حسَّنه الشرع أو قبَّحه، ولذلك قالوا في كتب الأصول: لا حُكمَ قبل الشرع.[٢]

قوله: «**فمن يذهب**»... إلخ، يُشِير إلى أنَّ بحْثَه لا يُعتبَر؛ إذ العقلُ يقصُر عن إدراك مثلِ ذلك؛ لأنّ له نهايةً ووقوفًا مع العادةِ والمألوفِ غالبًا.

قوله: «**والصواب**»... إلخ، الصّوابُ يُقابل الخطأَ، وقوله: «**الرجوع**»... إلخ، يعني اعتقاد مثل ما يعتقدونه والتَّسلِيم لِمَا يَرِدُ عن أحكم الحاكمين، والعدلُ: الإنصافُ، وقوله: «**ممن يقف**»... إلخ؛ بيانٌ لأهلِ الحقِّ، يعني فهُمُ الواقفون على ما يصِحُّ نقلُه عن

---

(١) التعريفات للجرجاني ص٨.

(٢) انظر «تشنيف المسامع».

المَنْقُولِ بِمَا تَوَاتَرَ عَنْ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّ الأَرْوَاحَ خُلِقَتْ قَبْلَ الأَجْسَامِ بِأَلْفَيْ عَامٍ، فَمَا أَوْرَدَهُ السَّائِلُ فِي تَرْدِيدَاتِهِ النَّاشِئَةِ

المُشرِّع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يُحكِّمون عقولَهُم في شيء أصلًا مِن المنقول.

قوله: «**مما تواتر**» بَدَلٌ مِن صحيحِ المنقول، والمُتواتر هو ما رواه جمعٌ عن جمعٍ يُؤمَن تواطؤُهم على الكذب، ولو كانُوا فسقةً أو كُفَّارًا؛ لأنه يُفِيد اليقينَ.

قوله: «**وقد ثبت عنه**»: أي عن المُشرِّع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الأرواحَ خُلِقت قبل الأجسام.

قوله: «**فما أورده السائل**»... إلخ مفرَّعٌ على قوله: «**والصواب**»... إلخ.

مِنْ وَاهِي تَشْكِيكَاتِهِ، لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ، وَلَا يُعَوَّلُ فِي شَيْءٍ عَلَيْهِ.

وَالحَاصِلُ أَنَّهَا خُلِقَتْ قَبْلَ الأَجْسَامِ مُتَعَدِّدَةً مُتَمَيِّزَةً عِنْدَ الحَكِيمِ، وَمَا أَوْرَدَهُ السَّائِلُ مِنْ عَدَمِ إِمْكَانِ تَمْيِيزِهَا، فَهُوَ بِالنِّسْبَةِ لِعَقْلِهِ القَاصِرِ عَنْ مَنَاطِهَا، هَذَا، وَفِي الحَدِيثِ تَفْسِيرٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّكَ تَعْرِفُ أَنَّ صِفَاتِ نَفْسِكَ عَلَى الضِّدِّ مِنْ

قوله: «**من واهي تشكيكاته**»: أي مِن ضعيفِها، يُقال: وَهَى الشيء إذا اشتدَّ ضعفُه، لا سَنَدَ ولا مقتضي لها، **لا يلتفت إليها**، يعني يجبُ ألَّا يَلتفِتَ إليها أحدٌ؛ لمُخالَفتها الواردَ عن سيِّد العالمين على لسانِ مَن يُؤمَن تواطؤهم على الكذب.

قوله: «**والحاصل**» يعني ما تحصَّل ممَّا يُعتمد ويعوَّل عليه ما ذَهَبَ إليه أهلُ الحقِّ من أنها خُلِقتْ قبل الأجسام إلخ.

قوله: «**فهو بالنسبة لعقله القاصر عن مناطها**» يعني وقصوره مِن وقوفِه مع مأْلوفه، وما دَرَجَ عليه مِن أحكامِ عادته، وبُعده عن مناط الأحكام الإلهية.

قوله: «**هذا**» معمولٌ لمحذوفٍ، تقديرُه: افهمْ هذا، فقوله: «**وفي الحديث**»... إلخ جملةٌ مُستأنَفة.

صِفَاتِ رَبِّكَ، فَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالفَنَاءِ عَرَفَ رَبَّهُ بِالبَقَاءِ، وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالجَفَاءِ وَالخَطَأِ، عَرَفَ رَبَّهُ بِالوَفَاءِ وَالعَطَاءِ، وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ كَمَا هِيَ عَرَفَ رَبَّهُ كَمَا هُوَ، وَلَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى مَعْرِفَتِكَ إِيَّاهُ، كَمَا إِيَّاكَ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَكَ سَبِيلٌ إِلَى مَعْرِفَتِكَ إِيَّاهُ كَمَا إِيَّاهُ، فَكَأَنَّهُ فِي قَوْلِهِ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ، عَلَّقَ مُسْتَحِيلًا عَلَى مُسْتَحِيلٍ؛ لأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ وَكَيْفِيَّتَهَا وَكَمِّيَّتَهَا وَأَيْنِيَّتَهَا، فَإِنَّكَ إِذَا كُنْتَ لَا تُطِيقُ أَنْ تَصِفَ نَفْسَكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ بِكَيْفِيَّةٍ

قوله: «**بالفناء**» هو العدَمُ بعد الوجودِ، **والبقاء** هو استِمرارُ الوجودِ ودوامُه في حُكم ما لا يزال.

قوله: «**بالجفاء**» مأخوذٌ مِن جفاء البدْوِ الذي هو غِلْظتُهم، **والخطأ** ما قابلَ الصَّوابَ.

قوله: «**بالوفاء**»، يعني بالوفاء للعهْد وللوعْد، **والعطاءُ**: الإحسان والفضلُ.

قوله: «**عرف نفسه كما هي**»: أي كما هي عليه في نفْس الأمر.

قوله: «**عرف ربه كما هو**»: أي كما يليقُ بجلاله وعظيمِ سلطانه، **ولا سبيل**... إلخ: أي ولا طريق تُوصِّلك إلى معرفة ربِّك بالكُنه، كما لا سبيلَ إلى معرفتك إيَّاك كما إياك، يعني بالكُنه؛ لأنَّ مِن حقيقة العبْد رُوحَه، ولا سبيلَ له إلى علْمها؛ لكوْنها مِن أمرِ ربِّه، وحيث كان الأمرُ كذلك في أقرب الأشياء إليك، فكيف يكونُ سبيلٌ إلى معرفتك إيَّاه كما إيَّاه؟! فالاستفهامُ المأخوذ مِن كيْف للإنكار بمعنى النفيِ وعدمِ الطمَع في ذلك.

وَأَيْنِيَّةٍ وَهَيْكَلِيَّةٍ وَسَجِيَّةٍ، وَلَا هِيَ بِمَرْئِيَّةٍ، فَكَيْفَ تُطِيقُ أَنْ تَصِفَ الرُّبُوبِيَّةَ بِكَيْفٍ وَأَيْنٍ، وَهُوَ مُقَدَّسٌ عَنِ الكَيْفِ وَالأَيْنِ.

قوله: «**علق مستحيلًا**»: أي وهو معرفةُ الربِّ تعالى، **على مستحيل**، وهو معرفة نفسِه، والمُرادُ المعرفةُ بالكُنه في الكُلِّ.

قوله: «**لأنه يستحيل أن تعرف نفسك**»... إلخ، محصّله أنَّه حيثُ جهِلتَ النفْس بالكُنه، فكيف تَعرِف لها كيفيَّةً، أوْ كَميَّة، أو أينيَّةً؟! لأنَّ الحقيقةَ متى جُهِلتْ جُهِلت نعوتُها وأحوالُها ومحلُّها.

قوله: «**التي بين جنبيك**»، أقول: ذلك بِناءً على أنَّ لها محلًّا، وهو القلْب، أمَّا إذا أجرَيْنا على ما ذكره آخرونَ وصحَّحُوه مِن أنَّها لا جوْهرٌ ولا عرَضٌ، ولا هي مُتَّصِلةٌ بالجسم، ولا مُنفصِلةٌ عنه، فيكون عدمُ المعرفة أوْلى، واللهُ أعلم بالحقائق.

وَيُؤَكِّدُ مَا ذُكِرَ قَوْلُ القَوْنويِّ فِي شَرْحِ التَّعْرُّفِ: ذَكَرَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الحَدِيثِ أَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّعْلِيقِ بِمَا لَا يَكُونُ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْرِفَةَ النَّفْسِ قَدْ سَدَّ الشَّارِعُ بَابَهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، فَنَبَّهَ عَلَى أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا عَجَزَ عَنْ إِدْرَاكِ نَفْسِهِ الَّتِي هِيَ مِنْ جُمْلَةِ المَخْلُوقَاتِ، وَهِيَ أَقْرَبُ الأَشْيَاءِ إِلَيْهِ، فَهُوَ عَنْ مَعْرِفَةِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ، بَلْ هُوَ عَاجِزٌ عَنْ إِدْرَاكِ حَوَاسِّهِ كَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَشَمِّهِ وَذَوْقِهِ وَكَلَامِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ للنَّاسِ فِي كُلٍّ مِنْهَا

قوله: «**ويؤكد ما ذكر**»: أي مِن أنَّ المُرادَ في الحديث تعليقُ مُستحيلٍ على مُستحيل.

قوله: «**من باب التعليق**»... إلخ، هو قريبٌ مِن القوْل بأنه مِن تعليق مُستحيل على مستحيل.

قوله: «**قد سد الشارع بابها**»: أي مَنَعَهُ.

قوله: «**أعجز**» يعني أشَدّ عَجْزًا عن معرفة خالقِه.

قوله: «**بل هو عاجز عن إدراك حواسه**»... إلخ، أقول: تصريحٌ بتفصيل ما علم؛ إذ النفْسُ كذلك؛ لمَا لا يخفى.

قوله: «**فإن للناس**»... إلخ، دليلٌ لمَا قبلَه مِن العجْز عن إدراك الحواسّ.

اخْتِلَافَاتٍ وَمَذَاهِبَ لَا يَحْصُلُ النَّاظِرُ فِيهَا عَلَى طَائِلٍ، فَإِذَا كَانَ الحَالُ عَلَى هَذَا المِنْوَالِ، فَكَيْفَ يَكُونُ الحَالُ فِي مَعْرِفَةِ الكَبِيرِ المُتَعَالِ، وَفِي ذَلِكَ المَعْنَى قِيلَ:

قوله: «**لا يحصل الناظر فيها على طائل**»: أي وذلك لعدَم ظهورِ الحقِّ فيها، واللهُ أعلم.

قوله: «**فإذا كان الحال على هذا المنوال**»... إلخ، يعني إذا كان الشأْنُ جهلَ العبد بنفسه وحواسِّه، وهي أقربُ إليه من كلِّ شيء، فكيف يطمَعُ أن يَعلَم العظيمَ البعيد عن مناطِ العُقول الكاملة فضلًا عن غيرها؟ فحينئذٍ لا سبيلَ له فيما أُمِرَ به مِن عبادة ربِّه وقصدِه تعالى بها إلا الرجوعُ إلى شهودِ نُعوته اللَّازمةِ لذاته لُزومًا لا ينفكُّ عنها، وينتقل إلى علْم صِفات ربِّه تعالى المتعالية المقابلة لنُعوته الدَّنيَّة، ويقصده تعالى في عبادته إيَّاه على هذا الشُّهود، وعلى صفة العبوديَّة المحضة انقيادًا وامتثالًا وإذعانًا على وجه الإخلاص المحض، عسى أن يصِلَ بذلك إلى مقام الاختِصاص، ويندرجَ في عباد اللهِ تعالى الخواصِّ.

قوله: «**وفي ذلك المعنى**»... إلخ، يعني في هذا المقام، وهو عدمُ الطمعِ من العبْد في معرفة ربِّه حقَّ المعرفة، حيث إنه لا سبيلَ له إلى معرفة نفسه وحواسِّه، وهي أقربُ الأشياء إليه، فكيف يكون حاله في معرفة ربِّه؟ والحالُ أنه الكبيرُ المتعالي: أي العظيمُ على كلِّ عظيم، والمتعالي عن كل عال؛ إذْ لا تُحيط به العقولُ، ولا تُدركه الأبصارُ، كيف يطمَعُ في إدراكه مع عدَمِ السبيل إلى إدراك سماواته؟ فقفْ على مقامِ الأدب؛ لئلَّا تقعَ في مهالك العَطَبِ.

قُــلْ لِمَــنْ يَفْهَــمُ عَــنِّي مَــا أقُــول
قَــصِّرِ القَــوْلَ فَــذَا شَرْحٌ يَطُــول

قوله: «**قل لمن يفهم عني ما أقول**» أمرٌ لمن يُتأتَّى منه الائتمارُ ممن يكون مِن الأبرار، وممَّن يصلح للخِطاب من الإخوان والأصحاب.

قوله: «**قل لمن يفهم**»... إلخ، أمرٌ بالقوْل، وهو استدعاؤه ممَّن هو دونه على سبيل الوجوبِ، وهو لا يقتضي تكرارًا بذاته، بل إذا دلَّ عليه دليلٌ، ولا يقتضي فَوْرًا؛ إذ الغرضُ منه إيجادُ القولِ من غير اختصاصٍ بزمان، والأمرُ بالشيء نهيٌ عن ضدّه، كما أن المنهيَّ عن الشيء مأمورٌ بضدّه، والنهيُ يقتضي فسادَ المنهيِّ عنه، إذا كان راجعًا إلى الذات، لا إلى خارج عنها[١]، والفهمُ: الإدراكُ، وهو بالعقل، وهو غريزيٌّ، ومُكتسَبٌ:

والأوَّل: يُوجَد في الطفل، كوجود النَّخلة في النَّواة، والسُّنبلة في الحَبَّة، وهو لا يقبل الزيادة والنُّقصانَ.

والثاني: يقبلُ الزيادةَ بكثرة التَّجارِب، وبهذا الاعتبارِ يُقال: إن الشيخ أعقلُ وأكثر دِرايةً، ولهذا قيل: مَنْ بَيَّضَتِ الحَوَادِثُ سَوَادَ لِمَّتِهِ[٢] وأخْلقتِ التجارِبُ لباس حَدَسَهُ، وَأَوْلَاهُ اللهُ تَعَالَى كَثْرَةَ مُمَارَسَةِ تَصَارِيفِ أَقْدَارِهِ وَأَقْضِيَتِهِ؛ كَانَ الجَدِيرَ بِرَزَانَةِ العَقْلِ وَرُجْحَانِ الدِّرَايَةِ، وقد يخصّ اللهُ تعالى بألطافه الخفيَّة مَن يشاء مِن عباده، فيفيض عليه مِن خزائنِ مواهبِه رزانةَ عقْل ودرايةً ومعرفةً تخرُج عن الحدِّ

---

(١) انظر «الإبهاج في شرح المنهاج» ٣/٢.

(٢) (اللِّمَّةُ) بِالْكَسرْ: الشَّعْرُ الِّذَي يَجُاوِزُ شَحْمَةَ الْأُذُنِ.[مختار الصحاح\ل م م]

....

المُكتسَب، يصير بها راجحًا على ذوي التجارِب والآداب.

قوله: «**لمن يفهم عني ما أقول**»، متعلِّقٌ بقوله: «قل»، ويَفهم بمعنى: يُدرِك، يعني لشخصٍ مِن أرباب الإدراك، شأنُه أن يفهمَ الذي أقولُه، أو شأنُه أن يفهم قولي، لا لمُطلق شخص، فإنَّ القولَ له لا يفيد ولا يبدي له علمًا ولا يفيد. اهـ.

قوله: «**قصر القول**» مقولٌ لقوله «قُلْ»، يعني قلْ لمَن يطلب معرفة الله إذا كان ممن شأنُه الفَهمُ والإدراك قصِّرْ قولَك في هذا الشأن؛ فإنه مما يطول القولُ فيه ولا يفيد فائدةً ترجع فيها بعائدة؛ لأنه لا مطمعَ لك في هذا المقام، فارجعْ إلى تقصيرِ مسألتِك بسلام.

قوله: «**قصر القول**»... إلخ، المقصودُ التَّيْئِيسُ مِن معرفة الله تعالى حقَّ المعرفة بدليل خبرِ: «مَن عرَف نفسَه عرَف ربَّه» حيث عُلِّقَ فيه محالٌ على محال، كما تقدَّم بيانُه لذوي الكمال.

قوله: «**فذا شرح يطول**» في قُوَّةِ التعليل، لقولِه: «**قصِّر القول**»، فكأنه قال: قصر القولَ في معرفةِ ربِّك؛ لأنَّ شرْح هذا المقام يطولُ عليك مع أنك ترجِعُ منه على غيرِ طائل؛ لِمَا تقدَّم بيانُه.

هُــوَ سِرٌّ غَامِــضٌ مِــنْ دُونِــهِ
ضُرِبَــتْ وَاللهِ أَعْنَــاقُ الفُحُــول

قوله: «**هو سر**»، يعني جواب مسألتك أنْ أقول لك: معرفتُه تعالى سِرٌّ: أي مناطُها السِّرُّ منك وعلمها به، والسِّرُّ لطيفةٌ مُودَعةٌ في القلْب كالروح في البَدَن، وهو مناطُ المُشاهدة لله تعالى[1]، فقوله: «**غامض**» نعتٌ للسرِّ، يعني: سّر خفّي، والكلامُ على تقديرِ كاف التشبيه: أي فمطلوبُك كالسِّرِّ في الخَفاء، بل هو أخفَى.

قوله: «**من دونه**»: أي مِن الأقربِ مِن مطلوبك في معرفة ربِّك، «**ضربت** إلخ»، يُقال: هذا دُون ذلك على الظَّرْف: أي أقربَ منه، وشيء من دونٍ بالتنوين: أي حقير ساقط، ورجل من دون، هذا أكثرُ كلامِ العرب، وقد تُحذَف «مِن» منه، ويُجعَل دونَ نعتًا، قالوا: ولا يُشتَقُّ منه فعْلٌ[2]، والمعنى حينئذٍ: أنَّ بينك وبين الأقرب مِن مطلوبك مهاويَ ومهالك، فقد ضُرِبتْ في مثلها أعناقُ فحولٍ وجهابذةٍ مِن السادة العلماء، فقوله: «**والله**»، قَسَم أُرِيد به التَّأكيدُ لقوله: «**ضربت أعناق الفحول**»، فتحصَّل مِن المقام أنه ما دامَ هذا الوجودُ الظِّلِّيُّ المستعارُ للعبد مشهودًا عنده لا يتأتَّى له وصولٌ إلى معرفة ربِّه، ولو كان مِن الرَّاسخينَ في العلْم الكاملين في العَمَل، نعم يُمكن بوجهٍ لائقٍ باستعداد العبْد إذا وصل في سبيل ترقِّيه إلى فكِّ التركيب العُنصريِّ المُقيَّد، وخرج إلى الفضاء الأُخرَويّ المُطلَق المؤبَّد، فافهمْ إن كنتَ ممَّن يفهَم، واللهُ هو العليم الأعلمُ.

---

(١) التعريفات ص ١١٨، وفيه هو محل المشاهدة.

(٢) المصباح المنير ٢٠٤/١.

أَنْــتَ لَا تَعْــرِفُ إِيَّــاكَ وَلَا
تَـدْرِي مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْـفَ الوُصُول

قوله: «**أنت لا تعرف إياك**»، شروعٌ في دليلِ امتناعِ معرفةِ الله تعالى حقَّ المعرفةِ بإيضاح العجْز عن معرفة النفْس الحَيَوانيَّة وحواسِّها ووظائفِها مع قُرْبها مِن الطالب قُربانًا، فالمعنى إذا كُنتَ أيُّها الطالبُ لمعرفةِ ربِّك لا تعرفُ نفسَك التي بين جنبَيك، ولا تدري مَن تُشير إليها بلفظ «أنا»، ولا تهتدي إلى مَن يدلُّك على معرفتها، فكيف يتأتَّى لك طريقٌ يُوصِّلك إلى معرفة مَن هُو غيبٌ مُطلَقٌ، وهُويَّةٌ فوق مناط العقولِ الكاملة النُّورانية؟

ثُم أقول كما قال بعضُهم مِن أرباب الحقائق: معرفةُ اللهِ تعالى ضروريَّةٌ بالفطرة، فالناسُ جميعُهم يُشيرون إلى الصانع الحكيم جَلَّ جلالُه، وإن اختلفتْ طرائقُهم وعِلَلُهم، ولا يجهلون إلا كُنْهَ الذَّات المُقدَّسة، ولذلك لم تأتِ الأنبياءُ والرُّسل؛ ليُعرِّفونَا بوجودِ الله تعالى، بل يدعوننا إلى توحيده، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وما قال: فاعلمْ أنَّ لك إلَهًا، فَعُلِمَ أنَّ العلْم بوجودِ الله تعالى ثابتٌ بالفِطرة[١].

قوله: «**ولا تدري من أنت... إلخ**»؛ يعني لا تدرِي أنت إذا قيل لك هذا اللفظُ بمعنى: لا تدري حقيقةَ ما أُشِيرَ إليه بهذا اللَّفظِ، ولا تدري كيف وصولُك إلى معرفةِ المُشار إليه، وإذا كان هذا الحالُ على هذا المِنوالِ فكيف تعرفُ ربَّك أَوْ تعرفُ طريقًا يُوصِّلُك إلى معرفته؟ فدَعْ مسألتَك، وَدُمْ على أدبك.

---

(١) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف ص٦٣، والذريعة إلى مكارم الشريعة ص١٥٣.

لَا وَلَا تَــدْرِي صِفَــاتٍ رُكِّبَــتْ
فِيـكَ حَـارَتْ فِي خَفَايَاهَـا العُقُـول

قوله: «**لا ولا تدري**»... إلخ، «**لا**» الأُولى لنفي إدراك معرفةِ اللهِ المُتقدِّم بنفي معرفةِ النفْس القريبةِ مِن العبْدِ، فهي حينئذٍ للتأكيد، و«**لا**» الثانية الداخلة على «تدري» لنفي معرفة صِفاتِ النفْس وحواسِّها ووظائفِها، فالمعنى: إذا كان لا سبيلَ لك إلى معرفةِ صفاتِك التي رُكِّبَتْ فيك وقامتْ بذاتك مِن السمع والبصر والشم والذوق والإحساس والعقل إلى غير ذلك من نُعوتك وأوصاف بشريَّتِك، فكيف تطمَعُ في معرفة ربِّك وخالقِك مع أنه لا نِسبةَ ولا مُناسبةَ لك في هذا، وقوله: «**ركبت**»: أي خلَقها اللهُ وأودعَها في ذاتك؛ لتكونَ سببًا لتهيُّئِك لِمَا أُريد مِن إيجادِك مِن العلْم والمعرفة بالأحكامِ، والقيامِ بعِبادة المعبود الحقِّ جلَّ جلالُه.

قوله: «**فيك حارت... إلخ**»، «فيك» مُتعلِّق بِرُكِّبَتْ، يعني رَكَّبَها اللهُ بقُدرته وخصَّصَ وظائفَها بإرادته على سابقِ علْمه وحكمته، وقوله: «**حارت... إلخ**»، يعني وقعتِ العقولُ في الحَيرة دَهِشَةً فيما خفيَ عليها مِن حقائقها ومِن وظائفها حَيرةً مانعةً مِن إدراكها ذاتًا وحالًا ومُستقرًا، فمَن تكلَّم مِن الخلق في أمرٍ من ذلك ما كان له فيه دليلٌ إلا ظنونٌ وأوهام لا مُستندَ لها يُعتمَد، فسُبحانَ العليم الخبيرِ.

والحَيرةُ هي عدمُ الاهتداءِ إلى وجهِ الصَّوابِ(١)، يقال: حَارَ يحَارُ حَيرًا مِن باب تَعِبَ وحَيْرةً: لم يدرِ وجهَ الصَّوابِ، فهو حيرانُ، والمرأةُ حَيْرَى، والجمعُ حَيَارَى، وحيَّرته فتحيَّرَ، وأصلُه أن ينظر الإنسانُ إلى شيء، فيغشاهُ ضوءٌ، فيُصرَفُ بصرُه عنه(٢).

---

(١) انظر: التوقيف على مهمات التعريف ص١٥٠.

(٢) انظر: تهذيب اللغة ١٤٩/٥، المصباح المنير ١٥٨/١.

أيْــنَ مِنْــكَ الــرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَــا
هَــلْ تَرَاهَــا فَــتَرَى كَيْـفَ تَجُـولُ؟

قوله: «**أين منك الروح**»، يعني في أيِّ جُزءٍ مِن أجزاء جسمِك حلولُ الرُّوح التي بها حياتُك وحركتُك وسُكونك وعلْمُك وإرادتك وغير ذلك مِن عوارض حياتِك؟

واعلمْ أنَّ الرُّوح قيل إنَّها مما استأثر الله بعلْمه ولم يُطلعْ عليها أحدًا مِن خلْقه، قال[ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبو سعيد الأشج] (١) : حدثنا أبو أسامةَ، عن صالح بن حيَّان، قال: حدثنا عبدُ الله بن بريدة قال: لقد قُبض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما يعلم الرُّوح، وقالتْ طائفة: بل علِمها وأطْلَعَه اللهُ تعالى عليها، وهذا الخلافُ نظيرُ الخلاف في الساعة، والحقُّ كما قالَه جمعٌ أنّ الله تعالى لم يقبضْه عليه الصلاة والسلام حتى أطلعَه على كل ما أبهمه عنه إلا أنه أمرَه بكتْمِ بعضٍ، والإعلامِ ببعضٍ. (٢)

واعلمْ أنه وقعَ اختلافٌ كثيرٌ في حقيقة الرُّوح بين الخائضِينَ في ذلك، وأصحُّ ما قيل أنّها أجسامٌ لطيفة مُتكوِّنة في القلْب ساريةٌ في الأعضاء من طريق الشَّرايين، وهي العُروق الضاربة، أو مُتكوِّنة في الرأس نافذةٌ في الأعصاب النابتة منه إلى جُملة البدَن، ولهذا يموتُ البدنُ إذا قُطع رأسه ولا يموتُ غالبًا بقطْع بعضِ الأعضاء، وجمهورُ المتكلمينَ فيها على أنها جسمٌ مخالِفٌ بالماهيَّة للجِسم الذي تتولَّد منه الأعضاءُ

---

(١) في النسخة الخطية سقط ما بين []، وأثبتناه من مصدر النقل وهو عمدة المريد ص ١٤٦٧، ومن المعلوم أن ابن أبي حاتم يروي عن أبي سعيد الأشج، ولا يروي عن أبي أسامة. ولم أقف عليه في تفسيره المطبوع.

(٢) النقل من شرح اللقاني على الجوهرة.عمدة المريد ١٤٦٧.

....

نُورانيّ عُلويّ خفيفٌ حيّ لذاته نافذٌ في جواهر الأعضاء سارٍ فيها سريانَ ماءِ الورد في الورد، والنار في الفحم، لا يتطرَّق إليه تبدلٌ ولا انحلال، بقاؤه [٣٥/ب] في الأعضاء حياةٌ، وانتقالُه عنها إلى عالَم الأرواح موتٌ، قال السَّعدُ: وهو مختارُ الفقهاءِ، وعزا ابن الرفعة القولَ بالجسمية للباقلانيّ وجميع أصحابه، وعلى قوْلهمُ المذكورِ لهَا شكلٌ كشكل الإنسان، وهو المعروضُ للقبْض والإخراج، وحياةُ الجسمِ معنًى لا يقومُ بنفسه، يخلُقه اللهُ عند اتِّصال الرُّوح به، وموته بانفصالها عنه ربطًا عاديًّا لا موجبًا عن الرُّوح؛ لأنَّ الأجسامَ لا تُوجب حُكمًا(١).

وقالَ ابن بطَّال: الحكمةُ في إخفائها تعريفُ الخلْقِ العجزَ عمَّا لا يدركونه مع شِدَّة قرْبِه منهم؛ ليَضطرَّهم(٢) إلى ردِّ العلْم إليه تعالى، والإقرارِ بالعجْز عن إدراك ما لم يُطلعهم عليه.

وقال القُرطبي: الحكمةُ في ذلك إظهارُ عجزِ المرء؛ لأنه إذا كان لا يعلَمُ حقيقةَ نفْسه التي بين جنبَيه مع القطْع بوجودِه كان عجزُه عن إدراكِ حقيقتِه سُبحانه وتعالى مِن باب أوْلى، وقريبٌ منه عجزُ البصرِ عن إدراك نفسه هذا.

وقالتِ الفلاسفةُ: إنها مِن المُجرَّدات، وهي مِن عالَم الأمرِ لا يتوقَّف وجودُها على مادَّة ولا على مُدَّة، وهو غيرُ ظاهرٍ؛ لعدَمِ ظُهور دليلٍ عليه، فالحقُّ الرجوعُ إلى قوْل

(١) شرح المقاصد ٢/٣٠.

(٢) في المخطوط: لبطرهم، وما أثبتناه موافق للسياق. وما أثبتناه أيضا موجود في مصدر النقل.

.

....

الفقهاءِ، واللهُ أعلم.

والإرادةُ للعبد صِفةٌ تُوجب للحيِّ حالًا يقعُ معه الفعلُ على وجهٍ دون وجه، فهي دائمًا لا تتعلَّق إلا بمعدوم؛ لأنها لتخصيصِ أمرٍ ما، وإن شئتَ قُلتَ: هي مطالبةُ القلبِ غذاءَ الرُّوح مِن طيب النفْس.[1]

قوله: «**في جوهرها**»، اعلمْ أنَّ أقسامَ الجوهرِ عند الحكماء خمسةٌ؛ لأنه إن كان محلًّا لجواهرَ أُخَرَ فهو الهَيُولَى، وإن كان حالًّا في جوهرٍ آخرَ، فهو الصُّورةُ، وإن كان مُركَّبًا منهما، فهو الجِسمُ، وإن لم يكن كذلك فإنْ كان مُتعلِّقًا بالأجسامِ تعلُّقَ تدبيرٍ فهو النفْس، وإلا فهو العقْلُ[2]، فعُلِم أنَّ المُراد هنا بالجوْهر هو المُركَّب مِن الهَيُولى، والصورة مما يقبلُ الأبعادَ، فهو ما قامَ بنفسه؛ لاستغنائِه بذاته عن الاحتياج إلى محلٍّ يقومُ به بمعنى أنه يتحيَّزُ بنفسه لا يتبعُ تحيزُه تحيزَ شيءٍ آخرَ بخلاف العرَض، وعند الفلاسفة هو المُستغنِي عن محلٍّ يقومُ به.

هذا، واعلمْ أنَّ المعارِفَ شُموس تَذهَب بكلِّ ظُلمة ونور وتكشِفُ عن حقائقِ الأمور، وأنَّ كل عبدٍ يأخذُ منها على قدْر استعداده، والآثار سُحُبُ ظُلماتٍ وظلالُ غفَلاتٍ تُعطى الحقيقةَ ولا تذهبُ بها، وتُضعِف النُّور ولا تذهب به، بل تعرِضُ له ولا تدومُ عليه، كمَن عرَف الحقَّ تعالى نسِيَ نفسَه، ومَن عرَف نفسَه نسيَ

---

(١) انظر: عمدة المريد ص ١٤٦٧.

(٢) انظر: شرح المقاصد ٢٨٦/١، والمطالب العالية ٢٠٢/٦، ومحصل أفكار المتقدمين ص٢١٦.

هَــذِهِ الأَنْفَــاسُ هَــلْ تَحْصُرُهَــا
لَا وَلَا تَــدْرِي مَــتَى مِنْــكَ تَــزُولُ

الحقَّ، وأعظمُ بابٍ في معرفةِ الحقِّ شُهودُ قهرِه تعالى مِن بِساط توحيدِه حيث حجبَك بما ليس بموجودٍ معه، فافهمْ، واللهُ أعلم.

قوله: «**هل تراها**...إلخ، يعني هل تعلمُها بذاتها، وهل تعلمُ مُستقرَّها منك، وكيف يكونُ تصرُّفُها في جوارحك الظاهرةِ والباطنة بالحركة والسُّكون والإرادةِ والذَّوْق والسَّمْع والبصر وباقي جوَلانها في ذلك، لا سبيلَ لك إلى شيءٍ من ذلك، فإذًا لا سبيلَ لك إلى معرفةِ ربِّك جلَّتْ عظمتُه عن الإدراك، إلا بما شاء إذا تولَّاك، فالاستفهامُ للإنكار والنفي.

قوله: «**هذه الأنفاس**»... إلخ، الأنفاسُ جمع نَفَس بفتحتين: نسيمُ الهواءِ، يُقال: تنفَّسَ أدخلَ النَّفَس إلى باطنه وأخرجه، ونفَّسَ اللهُ كُربته تنفيسًا: كَشَفها[1]، وقولهُ: «**هل تحصرها؟**»: أي هل تعدُّها؟ فالحصرُ الضبطُ بالعدَد، والاستفهامُ للإنكار والنفي، يعني لا تستطيعُ أن تَعُدَّ أنفاسَك مع قُربها منك، فكيف تطمعُ فيما هو أعلى مِن ذلك، وهو معرفةُ ربِّك.

قوله: «**لا ولا تدري**»... إلخ، «لا» الأُولى لتأكيدِ النفي قبلَه، و«لا» الثانيةُ لنفي العلْم بزمانِ زوالِ تلك الأنفاسِ الكائن بقبْض الرُّوح، فتحصَّل أنه حيث كان العبدُ جاهلًا بزمان حياتِه الدُّنيوية بكوْنها متى تنقضي بالموت فالذي ينبغي له التشميرُ والجِدُّ في صالح الأعمالِ عسى أن يبلُغَ درجةَ الإحسانِ منه تعالى والإفضال.

---

(١) المصباح المنير ٢/٦١٧.

أيْــنَ مِنْــكَ العَقْــلُ وَالفَهْــمُ إذَا
غَلَــبَ النَّــوْمُ فَقُــلْ لِي يَــا جَهُــولُ

قوله: «**أين منك العقل**»... إلخ، استفهامٌ إنكاريٌّ بمعنى النفيِ، ومحصّله نفيُ علْم ما يكونُ العقْل في حال غلبَةِ النوْم على مَن شأنُه العقلُ حيث لا يدري أين يكون عقلُه في هذه الحالة، فقوله: «**فقل لي يا جهول**»، ساقَه توبيخًا له بالمُبالغة في جهْله بذلك، وسُمِّي العقْلُ عقلًا؛ لأنه يعقِل المُتَّصفَ به عما يُعاب مِن الأمور، وهو لطيفةٌ نُورانيَّة مسكنُها القلبُ بظاهرِ الوارد في الكتاب العزيزِ نحو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦] لتلك اللطيفة أشعةٌ مُتَّصلة بالرأس، وقيل بالعكس.

أَنْـــتَ أَكْلُ الخُـــبْزِ لَا تَعْرِفُـــهُ
كَيْـفَ يَجْرِي مِنْـكَ أَمْ كَيْـفَ تَبُول

قوله: «**أنت آكل الخبز**»... إلخ، يعني أنتَ يا مُخاطب الذي تطلُب معرفةَ اللهِ تعالى، كيفَ يُفتَح لك هذا الطلبُ، وأنت لا تعرِفُ كيفيَّةَ جِهات الغِذاء في جوْفك بالانهضام والاستحالة إلى ما يكون مُغذِّيًا ومُمِدًّا للصحة بالنُّمو منه كدمٍ وغيره، ولا تعرفُ أيضًا كيفيَّةَ دفْعِه إلى الأمعاءِ بعد أَخْذ ثمَرتِه؛ ليخرج تفَله ممّا في بقائه، وحبسه عن الخروج ضرر وأيُّ ضرر! وحيثُ كانتْ هذه صفتَك وحالتَك لا يصِحُّ لك أن تطمعَ في جوابِ مَطْلبك مِن معرفة مَولاك، فقولُه: «**أم كيف تبول**» يُقال فيه مثلُ ما قيل في أكْلِ الخُبز، واللهُ أعلم.

فَــإِذَا كَانَــتْ طَوَايَــاكَ الَّــتِي
بَــيْنَ جَنْبَيْــكَ كَــذَا فِيهَــا جَهُــول

قوله: «**فإذا كانت طواياك**»... إلخ، يعني فإذا كانتِ القُوَى المَطْويَّة في ذاتك لتهيئك بَشرًا مُكلَّفًا تعبُد ربَّك لا تعْرِفُها مع كوْنِها قريبةً منك أشدَّ القُرب؛ لِطَيِّها فيما بين جنبَيك، وأنت بالنسبة إلى علْمها في غاية الجهلِ، فكيفَ تدري علْمَ مَن على العرْش استوَى، وتطمَعُ في جوابِ سُؤالك معرفتَه، تَعالَى اللهُ عُلُوًّا كبيرًا عن أن يُعرَفَ حَقَّ المعرفةِ، واستِواؤُه على العرْش مُلكه وخلْقه، وقيلَ: استِيلاؤه تَعالى، فحصَلَ الغَرَضُ أنَّك حيثُ كنتَ ضالًّا، وفي غايةِ الجهْل بمعرفةِ ما انطوَى في ذاتك مِن القُوى الظاهرة والباطنةِ، وما أمكنَكَ الوصولُ إلى معرفتِها، ولا معرفةِ وظائفِها وتصريفها مع شِدَّة قُربِها منك، فكيف تطلُب بعد ذلك معرفةَ مَن هو فوقَ مناطِ العُقول؟ فينبغي أن تقِفَ على حدِّك، ولا تطمعَ ما دُمتَ في هذه الدَّار في معرفةِ ربِّك، بلْ شمِّرْ في العمَل عن ساعدِ اجتهادِك وجِدِّك عسى أن تظفَرَ في الدَّار الأُخرى بقُربك.

قوله: «**كيف تدري من على العرش**»... إلخ، اعلمْ أنَّ الحقَّ تعالَى جعلَ العرْش محلَّ استواءٍ على ما يليق بجلاله، كذلك جعلَ الكرسيَّ محلَّ مُرورِ تدلِّي قدمَي الأمرينِ: الأوامر والنَّواهي، وذلك؛ لأنَّ العرْش محلُّ الكلمةِ المشتملة على الرحمة بإشارةِ تخصيصِ اسم الرحمن، والكُرسي قد انقسمتْ فيه الكلمةُ إلى أمرينِ، فظهرتِ الشَّفعيّة في الكرسيّ بالفعْلِ بعد أن كانتْ في العرْش بالقُوَّة، فظهر أثرُ هؤلاء للجَنَّة، وهؤلاء للنَّار، فاستقرَّتْ كُلُّ قدمٍ فِي مكانٍ غيرِ المكان الآخر، فسمَّى أحدهما جنَّةً، والآخرَ نارًا، وليس بعدهما مكانٌ، فافهمْ(١).

(١) انظر: لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية، ٢/٦٢٥.

كَيْفَ تَـدْرِي مَنْ عَلَى العَرْشِ اسْـتَوَى
لَا تَقُـلْ كَيْفَ اسْـتَوَى كَيْفَ النُّزُول

قوله: «**لا تقل**: **كيف استوى كيف النزول؟**» يعني به الوارد فِي الكتاب والسُّنة مما فيه استوى على العرشِ في الكتاب، وما فيه النُّزول في السُّنَّة في خبر: «ينزِلُ ربُّنا»[١] الحديث، فلا تسألْ عن كيفيَّةٍ بقوْلك: كيف استوى، أو كيف نزل؟ ولهذا قال بعضُهم: الاستواءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والسُّؤال عن ذلك بدعةٌ، واللهُ أعلم.

قوله: «**لا تقل كيف استوى**»... إلخ، يعنِي ولا تقُلْ ما المرادُ بتدلِّي القدمَينِ من الكرسيّ إلى العرْش الوارد به الحديثُ أيضًا.

واعلمْ أن المُرادَ بالقدمينِ فيه قدمُ الأمرِ وقدمُ النهيِ المُنقسِم بهما الكلمةُ الرُّوحانيّة إلى «هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَلَا أُبَالِي»[٢]، فتحصَّل أنَّ القدمينِ عبارةٌ عن الأمر والنهي، أو عن الخير والشرّ؛ إذ هما أثرُ الأمر والنهي، وهذا هو الصحيحُ خِلافًا لِمَا توهَّمَه المُجسِّمةُ تعالَى اللهُ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.[٣]

---

(١) أخرجه البخاري ١١٤٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٨٤.

(٣) انظر: لواقح الأنوار ٦٢٥/٢، ٦٢٦، وتفسير الرازي ١٣/٧، ومشكل الحديث لابن فورك ص٣٨٨.

كَيْـفَ تَجَـلَّى اللهُ أمْ كَيْـفَ يُـرَى
فَلَعَمْــرِي لَيْــسَ ذَا إلَّا فُضُــولُ

قوله: «**كيف تجلى**»، يعني لا تسألْ عن كيفيَّة تجلِّي الحقّ جَلاله، ولا تسألْ عن كيفيَّة رؤيته تعالى بالأبصار حيثُ السؤالُ عن ذلك فضولٌ؛ لزيادته عما أمرتَ به مِن أحكام التكليف.

واعلمْ أنَّ تجلِّيات الحقّ هي تنزُّلاتُه فيما يكون مُلائمًا لمصالح خلْقه، وهي حادثة لتجدُّدها.

قوله: «**لا تقل: كيف تجلى... إلخ**»، التجلِّي هو ما ينكشفُ للقُلوب مِن أنوار الغيوب[1]، ومنشؤها عن الحقِّ، وغيْبُ الخفاءِ المُنفصل مِن الغيْب المُطلَق بالتمييز الأخفى من حضرةٍ أو أدنى، وغيبُ السِّرِّ المُنفصل من الغيب الإلهيّ بالتمييز الخفيّ في حضرة قاب قوسينِ، وغيبُ الرُّوح المنفصل بالتمييز الأخفى، والخفيّ في التابع الأمري، وغيب القلب، وهو موقِع تعانُق الرُّوح والنفس، ومحلُّ استيلاء السِّرِّ الوُجوديّ وغير ذلك[2]، فارجعْ إلى ما ذكرْناه في حاشيتنا على شرح الرِّسالة القُشيرية إنْ أردتَّ الوقوفَ على باقي التجلِّيات وكشْف معانيها.

قوله: «**لا تقل: كيف تجلى**»... إلخ، اعلمْ أنَّ التجلِّيات للحقّ على بعض العبيد ما أفاضَهُ عليهم، وغشيتهم بها أنوارُه، وبرزتْ بذلك إشارة مِن جلال أو جمال، وكلُّها حادثة لتجدُّدها بحالاتها اللائقة بالمتجلي بها عليهم، فلا تسألْ عن ذلك بقولك:

---

(١) انظر: الفتوحات المكية ٢/٤٨٥.

(٢) التعريفات بتصرف من المؤلف: ص٥٣.

هُـــوَ لَا كَيْــفَ وَلَا أَيْـــنَ لَهُ
وَهْــوَ فِي كُلِّ النَّــوَاحِي لَا يَــزُول

كيف تجلى؛ لأنّ ذلك مِن سوء أدبك.

قوله: «**هو لا كيف**»؛ يعني هو تعالى مُنزَّه عن الكيف وعن الزمان وعن المكان وعن سائر ما يعرِض للحَدثان.

قوله: «**وهو في كل النواحي لا يزول**»، يعني هو تعالَى في سائر الجِهات **محيطٌ** بعلْمه وقُدرته وقهَّاريته وسُلطانه، لا يزول ولا يتغيَّر.

جَــلَّ ذَاتًــا وَصِفَــاتٍ وَسَــمَا
فِي التَّعَــالِي قَــدْرُهُ عَمَّــا أقُــول

قوله: «**أم كيف يرى**»؛ يعني لا تسألْ عن كيفيَّة ما يرَونه تعالى مِن الحالات؛ إذ لا كيفيَّة ولا أينيَّة له تعالى، ففي السُّؤال سوءُ أدبٍ أيضًا؛ لِمَا فيه مِن إيهامِ أنَّ له تعالى كيفيَّةً، واللهُ أعلم.

قوله: «**فلعمري ليس ذا إلا فضول**» يعني لحياتي ليس هذا السُّؤالُ المتقدِّم إلا مِن الفضول والزائدِ عما يَحِلّ من السؤال؛ حيثُ هو مما لا يعني الكاملَ في الإيمان.

قوله: «**جل ذاتًا**»... إلخ يعني عظُم اللهُ تعالى في ذاته العليَّة وصفاته السنيّة، وقدْرِه في العلوِّ على كلّ عالٍ ومُتعال، وقوله: «**عما أقول**» يعني عن قولي في بيان علوِّ ذاته وصفاته وقدره حيث إنَّ مرجعَه إلى ما أَلِفْتُه من نفسي وأدركته بحسِّي، وتعالَى ربِّي عن كلِّ ذلك عُلوًّا كبيرًا.

تنبيه[1]: «التصوُّف كلُّه جِدٌّ، فلا يخلط بشيء مِن الهزل»، وقيل: هو «تصفيةُ القلْب عن مُوافقة البريّة ومُفارقة الأخلاق الطبيعيّة، وإخماد صِفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الرُّوحانيّة، واستعمال ما هو أولى بالسرمدية، والنُّصح لجميع الأُمّة الأحمدية»[2]، وقيل: «هو معرفةُ الله تعالى على الحقيقة،

(١) غالب هذه التعريفات موجودة في حاشية المؤلف على حاشيته على شرح شيخ الإسلام على الرسالة القشيرية ٢/٤، وعند السيد الشريف في التعريفات ص ٥٩.

(٢) التعريفات بتصرف يسير ص٥٩، وهو تعريف سيد الطائفة الجنيد قدس سره، التعرف لمذهب أهل التصوف ص٢٥.

فَأَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ العَمِيمِ أنْ يُثَبِّتَ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِهِ القَوِيمِ...

واتِّباع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشريعة»[١]، وقيل: «هو حفظُ الحواسّ مع مراعات الأنفاس»[٢]، وقيل: «هو الإعراضُ عن الاعتراض»[٣]،وقيل: «هو صفاءُ المُعاملةِ مع الله تعالى، وأصلُه التفرُّغُ عن الدُّنيا الشاغلة»، وقيل: «هو الصبرُ تحت مجارِي الأمر والنهي»[٤]، وقيل: «هو خِدمة الشرف، وترك التكلُّف، واستعمال التظرف» ، وقيل: «هو الأخذُ بالحقائق، والكلامُ بالدقائق، واليأسُ مما في يد الخلائق»[٥]، وقيل غير ذلك مما يطول ذِكرُه؛ إذ كلُّ فاهَ بمَشْرَبه وعبَّر عن مأْرَبه.

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ٢٠ ﴾ [الإسراء: ٢٠]، واللهُ أعلمُ بما تفضّل على كلٍّ وعلَّمَ.

قوله: «**فأسأل الله**»... إلخ، أي أطلبُ منه تعالى مُستمِّدًا مِن فضله وإحسانه الذي عمَّ خلْقَه، شُروع في الدُّعاء، وحقيقتُه عند الصُّوفية الوقوفُ مع القضاءِ بوصْف الرِّضا حتى يبلغَ درجة العبوديّة، فيكون دعاؤُه امتِثالًا لا لحفْظ النفْس، وقيل لبعضهم: ادعُ اللهَ لي، فقال: كفاك مِن الأجنبيّة أن تجعلَ بينك وبين ربِّك واسطةً،

---

(١) هو تعريف سيد الطائفة الجنيد وذكر فيه: الوفاء لله على الحقيقة بدلا من: معرفة الله على الحقيقة، التعرف لمذهب أهل التصوف ص٢٥.

(٢) انظر: نتائج الأفكار القدسية للمؤلف ٢/٤.

(٣) هو قول أبي سهل الصعلوكي، انظر: الرسالة القشيرية ٤٤٤/٢.

(٤) هو قول أبي عمرو بن نجيد. انظر: سنن المهتدين ص١٤.

(٥) هو قول معروف الكرخي رضي الله عنه، الرسالة القشيرية ٤٤١/٢.

بِبَرَكَةِ نَبِيِّهِ السَّيِّدِ السَّنَدِ العَظِيمِ. وَأَنْ يَخْتِمَ لَنَا بِالحُسْنَى كَمَا اخْتَارَ لَنَا فِي المَبْدَأِ الدِّينَ الأَسِينَ ...

وقيل: سُئل يحيى بنُ معاذ عن الفقير، فقال: هو لا يستغني إلا بالله، ورسمُه عدمُ الأخذِ بالأسباب كلِّها استنادًا[٦] فافهمْ.

قوله: «**أن يثبت قلوبنا**»... إلخ: أيْ أن يُديمَها على مُتابعة أحكامِ دينه، يقال: ثَبَتَ الشيء دام واستمرّ، وثبت الأمرُ صحّ، ويتعدَّى بالهمزة والتضعيف، يُقال: أَثْبَتَهُ وثبَّته، والاسمُ الثَّبات[٢].

قوله: «**على دينه**»، وهو ما تعبّدْنا به مِن أحكام شريعته، يُقال: دان بالإسلام دِينًا: تعبَّد به وتديَّن به كذلك فهو دَيِّن مثل سيِّد[٣].

قوله: «**القويم**»: أي البالِغ في الاعتدال، يُقال: قوَّمْته بمعنى عدَّلته[٤].

قوله: «**ببركة**»... إلخ، البركةُ الزِّيادة والنمو، يُقال: بارك الله فيه فهو مُبارَك، والأصلُ مُبارَكٌ فيه[٥].

قوله: «**ببركة نبيه**»: أي مُتوسِّلًا بما فضَّل اللهُ به نبيَّه؛ مِن النبأ، وهو الخبر، فعيل

---

(٦) عوارف المعارف ١٠/٢. والنقل بالمعنى.

(٢) المصباح المنير ٨٠/١.

(٣) المصباح المنير ٢٠٥/١.

(٤) المرجع السابق ٥٢٠/٢.

(٥) تهذيب اللغة ١٣١/١٠، المصباح المنير ٤٥/١.

....

بمعنى فاعِل، أو مِن النُّبوة، وهي الرّفعة بمعنى فاعِل أو مفعول[١]؛ لأنّه رافِعٌ لمَن اتّبعه، وهو صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مرفوعٌ في الرُّتبة على غيره.

قوله: «**ختم**» بابُه ضَرَبَ، والخَتْمُ: الطَّبْع، ومنه الخاتَم بفتحِ التاء وكسرها، والكسرُ أشهرُ، وهو حلْقة ذاتُ فصّ[٢]، والمُراد هنا طَلَبُ جعلِها آخرَ الحياة الخصلة الحسنى بالموت على الإيمان.

قوله: «**السيد**»... إلخ، مِن ساد قومَه إذا تقدَّمَهم، يعني المُقدَّم على كلّ مقدَّم دُنيا وأخرى،» **والسَّنَد**» بفتحتين ما استُند إليه من حائط وغيره، وبابه قَعَدَ، وسَنِدت أسنَد من باب تَعِبَ لغة، ويعدَّى بالهمزة، يُقال: أسْندته إلى الشيء فسند هو، وما يُستند إليه مِسند بكسر الميم وضمها[٣]، «**والعظيمُ**» البالغُ في عظمته الغايةَ التي ما وراءها نهاية.

قوله: «**وأن يختم لنا بالحسنى**» معْطوف على قوله: «**أن يثبت**»... إلخ، فهو من جُملة المسئول والمطلوب.

قوله: «**كما اختار لنا**»... إلخ، يعني كما اصطفى لنا فَضْلًا وإحسانًا بدون تسبُّب

---

(١) تهذيب اللغة ٣٤٨/١٥، القاموس المحيط ٥٣/١، مختار الصحاح ٣٠٣.

(٢) تهذيب اللغة ١٣٧/٧، مجمل اللغة لابن فارس ص٣١٢.

(٣) المصباح المنير ٢٩١/١.

وَأَدْعُوكَ اللّٰهُمَّ يَا قَيُّومَ الوُجُودِ، وَمُنَزِّلَ البَرَكَاتِ...

منّا في مبدأ أمرِنا، «**الدين الأعلى**»[١] وهو دينُ الإسلامِ، وعادة الكريمِ إنْ مَنَّ تَمَمَ، كيفَ وهو سبحانه وتعالى أكرمُ الأكرمينَ؟ لا يتوقَّف إحسانُه على شيءٍ أصلًا مِن قبلنا.

قوله: «**اللّٰهُمَّ يا قيوم الوجود**»... إلخ، اللّٰهُمَّ بمعنى يا أَللهُ، والقيُّومُ مِن قامَ يَقوم قِيامًا فهو قوَّام وقائم واستقامَ الأمر، وهذا قَوامُه بالفتح والكسر، وتُقلَب الواو ياء جوازًا مع الكسرة: أي عِمادُه الذي يَقوم به ويَنتظِم، ومنهم مَن يقتصرُ على الكسر، والقِوام بالكسر ما يُقيم الإنسان من القُوت، والقَوام بالفتح: العدلُ والاعتدال، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ومنه حسنُ القَوام يعني الاعتدال[٢]، والمُراد به هنا العِمادُ الذي يقوم به الشيء بالفتح والكسر، والمعنى: وأدعوك وأطلب مِن فضْل جُودك يا أَللهُ يا قيُّومَ الوجود وعِماده الذي يَقوم وينتظم به وجودُ كلِّ موجود، وقوله: «**وفائض الجود**»: أي واسِع العطاءِ وزائده، مِن فاضَ السيل يفيض فَيْضًا: كثُر وسالَ مِن شَفة الوادي، وأفاضَ بالألِف لغةٌ، وفاض الإناءُ فَيْضًا: امتلأ، وأفاضَه صاحبُه: ملأه، وفاضَ الخيرُ: كثُر، وأفاضَه اللهُ: كثَّرَه[٣].

قوله: «**ومنزل البركات**»، يعني خالِقَها ومُوجِدها، والبركاتُ جمعُ برَكة، وهي الزِّيادةُ والنُّمو في الشيء، والمُراد الطَلبُ للزِّيادات مِن خالقِها لمَن يشاءُ على الوجه

---

(١) في المتن المشروح: الأسين.

(٢) المصباح المنير ٢/٥٢٠.

(٣) المصباح المنير ٢/٤٨٥.

وَمُنْتَهَى الرَّغَبَاتِ، وَنُورَ النُّورِ، وَمُدَبِّرَ الأُمُورِ أَنْ تُصَلِّيَ وَتُسَلِّمَ ...

الذي يَشاء فَضْلًا وإحسانًا.

قوله: «**ومنتهى الرغبات**»، يعني: ويا مَن تنتهي إلى جَنَبات قُدسِه رغباتُ الرّاغبين في طلب العطاءِ والإحسان، والرَّغَباتُ جمعُ رغبة بِهَاءِ التأنيث للمصدر: مثل سجدة وسجَدات، يُقال: رغَّبته في الشيء، ورَغِبته يتعدّى بنفسه أيضًا إذا أردته، رَغَبًا بفتح الغين وسكونها، ورغبى بفتح الراء وضمها، والرَّغباء بالفتح والمد، ورَغِبت عنه إذا لم تُرِدْه، والرَّغيبة: العطاءُ الكثير، والجمعُ الرغائبُ(١)، فتحصَّل في المعنى المراد دعاءُ مَن يُقصَد لكلِّ أمرٍ مرغوب فيه سواء كان مِن أمور الدُّنيا أو مِن أمور الآخرة.

قوله: «**ونور النور**» يعني مُنوِّر كلّ نيِّر؛ حِسِّيًا كان النور أو معنويًا.

قوله: «**ومدبر الأمور**»: أي مُوجدها على أحكمِ وجهٍ وأنْظَمه بحيثُ لا يتأتَّى لها انخرامُ نظامٍ مع اختلاف جواهرها وتنوُّعها وكثرتها علويّة وسُفليّة، حيوانيّة وجماديّة، ونباتية ومعدنيّة، تنزَّهَ أحكمُ الحاكمين، وتقدَّس ربُّ العالمين مِن أن يحتاج في وجوده إلى دليلٍ، وأن تتوصَّل إلى كُنه ذاتِه العقولُ بسبيلٍ سوى العجْز عن الإدراك، فإن شاء هداكَ وآلاك وتولّاك، فافهمْ، واللهُ سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: «**أن تصلي وتسلم**»... إلخ، هذا هو المطلوبُ والمسبول(٢) بالجملة قبلَه،

---

(١) المصباح المنير ١/١٢١، وكتاب الأفعال لابن القطاع ٢/٤٥.

(٢) كذا في المخطوط: وسبل أصل يدل على إرسال شيء من علو إلى سفل أو على امتداد شيء، وقولك طريق مسبول: أي مسلوك، انظر: العين ٧/٢٣٦، ومقاييس اللغة ٣/١٢٩،

عَلَى سَيِّدِنَا وَرَسُولِنَا وَالمُخْتَارِ لَكَ مِنْ خَلْقِكَ...

فالمقصودُ طلب رحمةٍ وأمانٍ لائقينِ بالحقيقة المحمديّة، والذات الشريفة الأحمدية، واسِطة نِظام عِقد الوُجود، والسبَب الأعظم في العَطاء والجود بإشارةِ خبرِ: «لولاك»[1]، فتدبَّرْ عسى أن تبلُغَ هُداك مِن مولاك.

قوله: «**سيدنا**»: أي معاشرِ أُمّته والمقدَّمِ عليها، بل سيِّد كلِّ مَن لك تعالى عليه سيادةٌ مِن سائر العوالم بشريّةً وَمَلكيَّة وغيرهما مِن سائر مخلوقاتك.

قوله: «**ورسولنا**»، يعني مَن أرسلتَه إلينا بأحكامِ شريعتك، بل وإلى كافّة خليقَتك.

قوله: «**والمختار لك من خلقك**»، يعني المُصطفى لك مِن جميع مخلوقاتِك.

قوله: «**من جعلته نقطة دائرة السعادات**»، يعني خلقتَه مبدأَ السعاداتِ الدُّنيويّة والأُخرويّة لسائرِ أربابِ العِنايات، ولا يخفى ما في التعبير بالنُّقطة والدائرة الموهمينِ مِن الإشارة إلى أنّ هذه الذات المحمدية والحقيقة النُّورانيّة مما يُضنّ بكشْف معناها وبيان مغناها؛ إذ لا غايةَ لرُقْياها، ولا نهايةَ لمَا بلغت مُناها، فكانت بهذا الاعتبارِ غيبًا محضًا، وطَلّسمًا صِرفًا، لا تصل إلى كُنهها العقولُ، ولا يبلغُ كمالَها فائقُ النقول، بل كلُّ كمالٍ فهو مِن كمالها، وكلُّ جمال فهو من أَشِعّة أنوارِها، وكلُّ جلال فهو مِن مُدهِشات عظَمتها، فقفْ إن كنت ذا أدبٍ عن طمَع عِرفانها، والزمْ ما أُمِرت به مِن مُتابعتها عسى أن تصِل إلى ذوْق معناها، أو تتخيَّلَ أضواءَ مغناها، واللهُ أعلمُ حيث

---

(١) يشير إلى « لولاك ما خلقت الأفلاك»، قال العجلوني في كشف الخفا ١٩٢/٢: «قال الصغاني موضوع، وأقول: لكن معناه صحيح، وإن لم يكن حديثا».

مَنْ جَعَلْتَهُ نُقْطَةَ دَائِرَةِ فَلَكِ سَمَاءِ السَّعَادَاتِ، وتَاجَ عِزِّ ذَوِي النُّبُوَّاتِ وَالرِّسَالَاتِ، وَوَاسِطَةَ عِقْدِ ...

يجعلُ الرِّسالة ويختارُ مَن يُؤدِّي الأمانة، فافهمْ.

قوله: «**نُقطة**»، هي بالضم: اسمٌ لمبدَأ موهومٍ للفعل[1]، والجمعُ نُقَط، مثل: غُرفة وغُرَف، وبالفتح المرَّة، والمُراد بها هنا الهَيُولى للأشكال والحروف، يعني فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالنُّقطة في الأصالة لغيره، فالمعنى أنّه عليه الصلاةُ والسلام جُعِلَ بالتقدير الأزليّ مَرْكزًا مُمتَدًّا منه كلُّ مَن قُدِّرتْ له سعادةٌ من الخلْق، تلك السعادةُ شبيهةٌ في رِفعتها بالسماء بالنِّسبة لِمَا دونها مِن أنواعها، ويدلُّ لذلك خبرُ جابرٍ رضيَ اللهُ عنه، قالَ: «أوَّلُ ما خلَقَ اللهُ نورُ نبيِّك مِن نُوره»[2]، فهو حينئذٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّوح الكُلِّيَّة لسائرِ الخلْق، والينبوعُ لكل عِزّ وشرَف وسعادةٍ وسيادة، وحيثُ كان الأمرُ كذلك ظهرَ معنى قوْلِ المُصنِّف «**وتاج عز ذوي النبوات والرسالات**»؛ لأنهم نُوّابه القائمون بالخِلافة عنه.

وكلُّهم مِن رسول الله مُلتمِسٌ
غَرْفًا مِنَ البحْرِ أوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ

قوله: «**وواسطة عقد**»... إلخ، الواسِطةُ لغةً مَا يُكشَف مِن جوانبه ولو مِن غير تساوٍ، غيرَ أنَّ المُرادَ هنا أنه المُتوسِّط بين الخالِق والخلْق في جميعِ المُقدَّرات، فلا يُعطَى أحدٌ ولا يُمنع إلا بواسطته، ويحتمل أن المُرادَ التشبيهُ بالدُّرَّة السَّمِينة تكونُ وسطَ العِقْد المُركَّب مِن اللآلئ والجواهرِ، ولا يخفَى أنّ الأوْلَى الحملُ على المعنى الذي

---

(١) انظر: دستور العلماء ٣/٣٨٨.

(٢) انظر: كشف الخفا ١/٣٠٢.

أَهْلِ الخُصُوصِيَّاتِ، مُحَمَّدِكَ المَحْمُودِ فِي جَمِيعِ سَمَاوَاتِكَ، وَأَحْمَدُكَ فِي سَائِرِ بِقَاعِ أَرْضِكَ، وَعَلَى إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ ...

قبلَه؛ إذ هو الأليقُ بحضرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «**أهل الخصوصيات**» يعني المُتأهّلين للخصوصيّة، والخاصّة خلاف العامّة، والهاءُ للتأكيد، يُقال: خصَّصته بكذا أَخُصُّه خُصُوصًا من باب قَعَدَ، وخصوصيّة بالفتح والضم إذَا جعلتَ الشيءَ له دونَ غيرِه[1]، ومحصّله أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُرَّةُ عِقْدِ مَن اختصَّهم اللهُ تعالى بمزايا، وشرَفٍ لم يجعلْه لغيرهم.

قوله: «**محمدك**» بدلٌ مِن سيِّدنا: أي مَن قدَّرتَ وأردتَ بحِكمتك تسميتَه بمُحمَّد، الدَّالِّ على كثْرة حامديه، فافهمْ.

قولهم: «**المحمود**»... إلخ؛ نعتٌ لمُحمَّدك مأخوذٌ معناه منه، يعني مَن كثَّرتَ حامديه في جميعِ السّماوات والأرض بالثّناء منهم اللائقِ برفيع منزلته.

قوله: «**وأحمدك**»... إلخ، عطْفٌ على محمّدك، وقوله: «**في سائر بقاع أرضك**» يعني مَن قدَّرتَ وأردتَ تسميتَه أحمد الدَّالّ على كثْرة صُدور الحمْدِ منه فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثرُ الخلْق حامديّةً، كما أنه أكثرُهم مَحْمُوديةً في جميعِ بِقاع الأرْض المخلوقة لك يا أللهُ.

قوله: «**وعلى إخوانه**» عطْف على سيِّدنا بإعادة علَى، وقوله: **من النبيين والمرسلين**» بيانٌ للإخوان له عليه وعليهم أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم، والمرادُ طَلَبُ الصّلاة والسلامِ عليهم اللائقينِ بحضَراتهم مثل ما طلبَ له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) المصباح المنير ١/١٧١.

وَآلِ كُلٍّ، وَالصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، فَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِهِمْ وَبِآلِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ أَنْ تُؤَيِّدَنَا بِنُورِكَ، وَأَنْ تُوَفِّقَنَا لِمَرْضَاتِكَ، وَأَنْ تُلْهِمَنَا رُشْدَكَ، وَأَنْ تُطَهِّرَنَا مِنْ رِجْسِ

قوله: «**وآل كل**»، يعني أتباع كلٍّ ممَّن ذُكِرَ؛ لأنَّ المقامَ مقامُ دعاءٍ، والأَوْلى فيه التعميمُ، والصحابةُ مَن اجتمعَ بهم عليهم الصلاةُ والسلامُ اجتماعًا متعارفًا في الحياة الدُّنيا، وقوله: «**أجمعين**» ذُكِرَ؛ للتأكيد.

قوله: «**فأتوسل إليك بهم**»: أيْ أجعلُ مَن تقدَّم مِن أنبيائك ورُسلك وأهلِ خُصوصيّتك وسيلةً لي إليك في إجابتي وإنجاز طِلْبتي؛ إنّك على ما تشاءُ قدير، وبالإجابة جدير.

قوله: «**أن تؤيدنا بنور**» يعني تُقوِّينا بإفاضةِ نُورك وإشراقِه في قلوبنا؛ لننتصرَ على أعدائنا مِن النفْس والشَّيطان والهوَى بهِدايتك وتوفيقك الماحيَينِ لظُلمات غواتِنا.

قوله: «**وأن توفقنا لمرضاتك**»: أي بأن تخلُقَ قُدرةً فينا نفعلُ بها ما يُرضيك عنا.

قوله: «**وأن تلهمنا رشدك**»: أي بأن تقذفَ في قلوبنا مِن أنوارِ وَارِدات الحقّ ما يحملُنا على فعْل الرَّشادِ مِن عبادتك.

قوله: «**وأن تطهرنا من رجس الظلمات**»، يعني: بأن تحيلَ بيننا وبين المعاصِي المحقّقة فينا لظُلماتِ مُخالفتِك الشبيهة بالرِّجس.

الظُّلُمَاتِ، وَأَنْ تُخَلِّصَنَا مِنَ الوَسْوَاسِ حَتَّى نَتَهَيَّأَ إِلَى مُشَاهَدَةِ أَنْوَارِكَ، وَشُمُولِ رِضْوَانِكَ، وَمُعَايَنَةِ أَضْوَائِكَ، وَمُجَاوَرَةِ تَقَرُّبِكَ، وَمُرَافَقَةِ سُكَّانِ مَلَكُوتِكَ، وَأَنْ

قوله: «**وأن تخلصنا من الوسواس**»، يعني: بأن تُصدَّ الشيطانَ عنا، وتمنعَه بكرمك من إغوائنا بالوَساوس الكاذبةِ الباطلة؛ عسى أن نتهيّأَ لمُشاهدة أنوارِ إلهامك الواردِ مِن قُدس طهارتك، ونندرجَ فِي زُمرة مَن عمَّهُم رِضوانك، وشَمِلهم أمانُك.

قوله: «**ومعاينة أضوائك**»، يُريد كثرة تَوارُد أدلّة الحقِّ على قلْبه؛ عسى أن يصِلَ بها إلى مقامِ حقِّ اليقين، وينخرطَ في سِلْك عقد المُقرّبين من إحسان ربِّ العالمين.

قوله: «**ومجاورة تقربك**» تقريرٌ وتأكيدٌ لمَا قبلَه، وتحقيقٌ له؛ لأنّ من وصَل إلى حقِّ اليقين بعدَ علْم اليقين كان في مراتبِ المُحبّين، بل قد تدركه العنايةُ، فيصل إلى مقام عيْنِ اليقينِ، وإلى درجة المحبُوبين، واعلمْ أنَّ مكان المَلَكُوت، وهو ما غاب عنا، هُم الأرواحُ المُقدّسة، والجواهرُ النُّورية المُجرّدة.

قوله: «**وأن تحشرنا**»... إلخ، الغرَضُ بعدَ ما تقدَّم طَلَبُ حظِّه الأُخروي بعدَ الذي قسَمه الله تعالى له في الأولى.

تَحْشُرَنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ بِدُونِ سَابِقَةِ فِتْنَةٍ وَمِحْنَةٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ

قوله: «**بدون سابقة فتنة**»: أي مِن غير مِحنةٍ سابقةٍ، فالإضافة مِن إضافة الصِّفة للموصوف، بل مع العفْو والعافية دُنيا وأخرى.

قوله: «**يا أرحم الراحمين**»، إنّما أتى بخُصوص هذه الصيغةِ الشريفة؛ لقُوَّة رجاءِ القَبول لدُعائه لمَا ورد مِن أنها إذا خُتِمَ بها الدُّعاءُ وكُرِّرَتْ ثلاثَ مرَّات يُجيب اللهُ تعالى عبدَه الداعيَ الخاتم بها[1]، وقوله **بعد**: «**والحمد لله رب العالمين**» أتى به بعد ما ابتدأَ به رجاءَ قَبولِ الله تعالى ما بين ذلك مِن هذا المجموع بأن يثبتَ عليه وينفعَ به مَن اطَّلعَ عليه، واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ.

قالَ أستاذُنا العلّامةُ البحر الحبر الفهّامة، علامة الأنام، شيخ مشايخ الإسلام، شيخ الجامع الأزهر، والمعبد الأقمر الأنور، كان بمنِّ الله سُبحانه وتعالى وإعانته جمعُ هذه الحاشية في نحو عشرةِ أيامٍ مِن شهر ذي الحجّة الحرام سنة ١٢٨٥ خمسةٍ وثمانين بعد المائتين والألف، مِن هجرة صاحبِ الفخْر والشرَف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وأصحابه، ومن مَنِّ بحر فضلِهم اغترفَ، وداعي اشتغالِه بجمعها رجاءُ مَثُوبتِها، وصرْفُ نفسِه عن الاشتغالِ بمضرّتها، بما فاهَ به مَن لا خلاق له ولا دين إلا في الكَذِب والبُهتان مع العالمين، مَن هو متصدّ بالزُّور والرياء، سلّط اللهُ عليه المحْقَ والوباء، المدعوّ حسن العدوي، وهو القبيحُ في الرياء والسّيئات يأوي، فأسأل اللهَ أن

---

(١) أخرج الحاكم في المستدرك ح١٩٩٦: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ للهِ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِمَنْ يَقُولُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، فَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ الْمَلَكُ: إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَاسْأَلْ».

وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَأَحْبَابِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

يعاملَه بعمله، وأن يخيب جميعَ أملِه؛ إنه على ما يشاءُ قدير، وهو تعالى العليم الخبيرُ، والحمدُ لله على كلّ حال، ونعوذُ بالله مِن حالِ أهل النار، والصلاةُ والسلامُ على البشير النذير، والشمسِ الساطع المُنير، وعلى آله وأصحابه الأبرار، ومَن تبِعهم بإحسان في هذه الدار وفي تلك الدار، ما تعاقَبَ الليلُ والنهار، وتصادقَ المؤمنونَ وتكاذبتِ الأشرار والفُجّار، آمين ربّ العالمين، آمين مُجيبَ السائلين وخاذِلَ المنافقين، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم، والحمدُ لله ربّ العالمين.

تمت

فهرس المراجع

- **أبكار الأفكار في أصول الدين،** أبو الحسن علي بن أبي علي محمد الآمدي، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، الطبعة: الثانية / ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤ م.

- **الإبهاج في شرح المنهاج،** تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، عام النشر: ١٤١٦هـ- ١٩٩٥ م.

- **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين،** محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

- **إحياء علوم الدين،** المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

- **الإسعاد في شرح الإرشاد،** عبد العزيز بن إبراهيم الشهير بابن بزيزة، تحقيق: د عبد الرازق بسرور، د عماد السهيلي، دار الضياء للتوزيع والنشر- الكويت، ط: الأولى ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

- **إشارات المرام من عبارات الإمام**، القاضي كمال الدين البياضي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الاولى - ٢٠٠٧ م..

- **الأطول** شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

- **الاقتصاد في الاعتقاد**، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م.

- **الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى**، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، ضبط نصه: عبد الله التوراتي، خرج أحاديثه ووثق نقوله: أحمد عروبي، الناشر: دار الحديث الكتانية.

- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين**: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

- **الأولياء**، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي أبو بكر المعروف بابن أبي الدنيا،

المحقق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣.

- **البحر المديد،** أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية ـ بيروت/ الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ.

- **تاج اللغة وصحاح العربية،** إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر : دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- **تاريخ ابن حجي،** شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي السعدي الحسباني الدمشقي، ضبط النص وعلق عليه: أبو يحي عبد الله الكندري، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م.

- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: عمر عبد السلام التدمري الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣ م.

- **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه،** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت –

لبنان.

- **تحفة الحبيب على شرح الخطيب** = حاشية البجيرمي على الخطيب، سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي، الناشر: دار الفكر، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

- **تحفة المريد على جوهرة التوحيد،** إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي الباجوري، حققه وشرح غريب ألفاظه: أد. علي جمعة محمد الشافعي ، مطبعة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠٢ م.

- **تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة،** المؤلف: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ. تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م.

- **التذكرة في الأحاديث المشتهرة= اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة،** محمد بن عبد الله بن بهادر أبو عبد الله بدر الدين الزركشي الشافعي، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.

- **التعرف لمذهب أهل التصوف،** محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم

بن يعقوب أبو بكر الكلاباذي البخاري الحنفي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

- **التعريفات،** علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- **تهذيب اللغة،** محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.

- **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك،** أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر : دار الفكر العربي، الطبعة : الأولى ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م

- **التوقيف على مهمات التعريف،** زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: عالم الكتب-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه** = صحيح البخاري، محمد بن

إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام** صلى الله عليه وسلم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

- **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي= الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي**، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، ٣٢/١، دار النشر: دار صادر – بيروت.

- **الحاوي في الفتاوي**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م. فقد نقل السيوطي الكلام السابق.

- **حروف المعاني والصفات**، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، المحقق: علي توفيق الحمد، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، ١٩٨٤م.

- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، عبد الرحمن بن أبي

بكرٍ، جلال الدين السيوطي، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

- **الحكم الغوثية**، مع شرحها للشيخ العارف العلامة أحمد بن علان الصديقي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الآفاق العربية، القاهرة.

- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران أبو نعيم الأصبهاني، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

- **دستور العلماء** = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ

- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار التراث

للطبع والنشر، القاهرة.

- **الذريعة إلى مكارم الشريعة،** أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى،

- **الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب،** محمد بن محمود بن أحمد البابرتى الحنفي، المحقق: ضيف الله بن صالح بن عون العمرى (جـ١) - ترحيب بن ربيعان الدوسري (جـ٢)، الناشر: مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- **الرسالة القشيرية،** عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، ٢/٣٧٢، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

- **الزاهر في معاني كلمات الناس،** محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢.

- **الزواجر عن اقتراف الكبائر ،** أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- **الشامل في أصول الدين،** عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين،

حققه وقدم له: علي سامي النشار، فيصل بدير عون، سهير محمد مختار، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، طبع في سنة: ١٣٨٩ – ١٩٦٩.

- **شرح التسهيل**، **محمد** بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- **شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب**، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي، تحقيق وتصحيح وتعليق: أ. د. يوسف حسن عمر، تاريخ الطبع: ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م، الناشر: جامعة قار يونس – ليبيا.

- **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤١١،مكان النشر: بيروت.

- **شرح المقاصد في علم الكلام**، المؤلف: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي، الناشر: دار المعارف النعمانية – باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- **شرح المكودي على ألفية ابن مالك**، : عبد الرحمن بن علي بن صالح ، أبو زيد المكودي، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي،

الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥.

- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

الطبعة الأولى، ١٩٩٧، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة.

الطبعة: الأولى، ١٤٠٨.

الطبعة: الأولى، ١٤١٢.

الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٦.

- العظمة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأَبِي الشيخ الأصبهاني، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة - الرياض

- العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

- غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)

- فتاوى النووي، يحي بن شرف النووي أبو زكريا محيي الدين ، ترتيبُ: تلميذه الشيخ عَلَاء الدِّين بن العَطّار، تحقِيق وتعلِيق: محمَّد الحجَّار،الناشر: دَارُ البشائرِ الإسلاميَّة للطبَاعَة وَالنشرَ والتوزيع، بَيروت – لبنان، الطبعة: السَادسَة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

- الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني، المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

- الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران أبو هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

- الفوائد، تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد البجلي أبو القاسم الرازي ثم الدمشقي، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض،

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي

ثم المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي ٦٨/٢،الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م.

- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

- كتاب المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، الناشر: دار الجيل - بيروت

- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي الفاروقي الحنفي التهانوي، ١٢١٧/٢، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم الزمخشري جار الله، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.

- لطائف المنن، أحمد بن محمد ابن عطاء الله السكندري، ص: ٢١١، مكتبة المقطم، حققه واعتنى به: نجاح صام، ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م.

- لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية، دار الإحسان، تحقيق: محمد عبد القادر نصار.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية أبو محمد الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، محمد بن عمر فخر الدين أبو عبد الله الرازي، راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية. المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٤ م.

- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.

- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد ، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، أبو الحسن، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ١٩٩٦م.

- المسامرة في شرح المسايرة في علم الكلام، أبو المعالي كمال الدين بن أبي شريف المقدسي،

- مساوئ الأخلاق ومذمومها، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.

- المسايرة في علم الكلام: للكمال بن الهمام، الطبعة: الأولى -المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر الحمية-سنة ١٣١٧ هجريه.

- المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، الناشر: دار المعرفة – بيروت. بإشراف: د. يوسف المرعشلي.

- المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م.

- مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٤.

- مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الطبعة: مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ.

- مشكل الحديث وبيانه، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر، المحقق: موسى محمد علي، الناشر: عالم

الكتب – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٥م.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت .

- المطالب العالية من العلم الإلهيّ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين أبو عبد الله الرازي خطيب الري، تحقيق: الدّكتور أحمد حجازي السّقا، الناشر: دار الكتاب العربي، ط: الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م - بيروت لبنان.

- معارج القدس في مدراج معرفة النفس، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٥.

- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الرومي أبو عبد الله الحموي، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثانية ١٩٩٥م.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله

- مفاتيح الغيب، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر:

دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى.

- المفصل في صنعة الإعراب، محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم الزمخشري جار الله المحقق: د. علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- المقتضب، المؤلف: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر: عالم الكتب. – بيروت.

- الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور ، الناشر: مكتبة لبنان، الطبعة: الأولى ١٩٩٦.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.المؤلف: محمد بن سلامة الأنصاري التونسي، دراسة وتحقيق: د. الميلودي بن جمعة ... الأستاذ الحبيب بن طاهر، الناشر: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيرون – لبنان. الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥.

- النحو الوافي، عباس حسن، ٣٧/١، دار المعارف.الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

- النكت المفيدة في شرح الخطبة والعقيدة، (للشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني)

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية – مصر.

فهرس الموضوعات

المطلب الثالث: المدخل إلى الكتاب

تم بحمد الله